الجيش في العصر المملوكي الثاني

٧٨٤ - ٩٢٣ هـ

الدكتور
محمد عبدالله سالم العمايرة



الجيش في العصر المملوكي الثاني

(٧٨٤هـ - ٩٢٣هـ)

الدكتور
محمد عبدالله سالم العمايرة

الطبعة الأولى: 1431هـ - 2010م



المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (2326/ 6 / 2009)

956.071

العمايرة، محمد عبدالله

الجيش في العصر المملوكي الثاني/محمد عبدالله العمايرة._ عمان: دار كنوز المعرفة، 2009

(   ) ص.

ر.أ: (2326/ 6 / 2009)

الواصفات: / المماليك ١٢٥٠-١٥١٧ / الجيوش/ تاريخ العرب/

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ردمك: ISBN: 978 - 9957 - 74 - 046 - 7



دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - وسط البلد - مجمع الفحيص التجاري
تلفون: 4655877 6 962+ - فاكس: 4655875 6 962+
موبايل: 5525494 79 962+ - ص. ب 712577 عمان
الايميل: dar_konoz@yahoo.com

الإهداء

إلى والدي الحبيبين.

إلى زوجتي وأخوتي.

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

مقدمة

تبحث هذه الدراسة في نظم المماليك العسكرية في دولة المماليك الثانية من حيث البنية والتنظيم والإدارة.

وقد دفع الباحث لدراسة هذا الموضوع عدة عوامل أهمها: قلة الدراسات المتخصصة في دراسة جيش المماليك من تلك النواحي باللغة العربية(١)، وتركيز أغلب الدراسات المتخصصة المتوفرة عن الجيش المملوكي على فعاليات الجيش السياسية المتعلقة بصراع الطوائف المختلفة لذلك الجيش. وعلى دراسة النشاط العسكري للجيش خارج حدود السلطنة(٢).

والعامل الثاني رغبة الباحث في الكشف عن جوانب هامة في بنية وتنظيم وإدارة الجيش خاصة في دولة المماليك الثانية التي ظل الاهتمام بها مهملاً حتى ظهرت بعض الدراسات المتخصصة في بعض جوانب تلك الفترة(٣). أما العامل الثالث فهو توفر المعلومات بغزارة حول الموضوع في المصادر الأولية المطبوعة والمخطوطة، مما ساهم في تغطية عناصر هذه الدراسة تغطية مناسبة.

تركزت منهجية البحث في هذه الدراسة على قراءة واسعة للمصادر الأولية التي أرخت للفترة موضوع الدراسة، وعلى جمع المعلومات واستقصائها من تلك المصادر ومقارنتها وتحليلها، والوصول من خلال طرح الأفكار وإيراد الأمثلة عليها

---

(١) من الدراسات الجيدة باللغة العربية عن جيش المماليك، كتاب «المماليك» للسيد الباز العريني وكتاب «النظم الإقطاعية» لإبراهيم طرخان، وأبرز من درس جيش المماليك من تلك النواحي هو Ayalon، انظر قائمة المراجع والمصادر في نهاية الدراسة.

(٢) من تلك الدراسات: كتاب الجيش المصري في العصر الإسلامي – الجزء الثاني – لعبد الرحمن زكي.

(٣) ظهرت دراسات حول نظام السلطنة والتجارة الداخلية ومدن ونيابات بلاد الشام في تلك الفترة.

من حوادث تلك الفترة، إلى أبرز التطورات التي حصلت على الأنظمة المتعلقة بجيش المماليك في تلك الفترة.

قسمت هذه الدراسة إلى خمسة فصول، وخاتمة تردفها مجموعة من الملاحق: ويعتبر الفصل الأول مقدمة سعى الباحث من خلالها إلى دراسة بنية وتنظيم وإدارة الجيش في دولة المماليك الأولى ٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م. كمدخل للدراسة في محاولة لملاحظة الخطوط العريضة لتلك المواضيع، والتي تعد هامة لفهم التطورات التي حدثت في دولة المماليك الثانية لتلك المواضيع، وجاء الحديث عن هذه النواحي في هذا الفصل عاماً وشاملاً ومركزاً خالياً من التفاصيل.

وبحث الفصل الثاني موضوع البنية البشرية للجيش في دولة المماليك الثانية، فتم الحديث في البداية عن مصطلح المماليك، ومصادر الحصول على العناصر البشرية التي تكون منها الجيش في ذلك الوقت وأصولها البشرية وحجمها في الجيش ونفوذها السياسي والعسكري ودورها في الصراعات السياسية القائمة في تلك الفترة.

أما الفصل الثالث فيعتبر محور الدراسة وأساسها، إذ عالج هذا الفصل فرق الجيش المملوكي وتقسيماتها في تلك الفترة، وتم الحديث عن حجم الفرق ونفوذها وما طرأ عليها من تطورات إيجابية أو سلبية، وتأثير ذلك على فعاليات الجيش آنذاك، كما تم الحديث عن الفرق التي استجدت في تلك الفترة ونشاطها العسكري وما طرأ عليها من تطورات.

وخصص الفصل الرابع لدراسة الرتب والمرتبات في جيش المماليك، وقسم هذا الفصل إلى قسمين: درس الأول نظام الرتب العسكرية عند المماليك وتقسيمات تلك الرتب وما يتعلق بها من أنظمة الترقية والتقاعد، أما القسم الثاني فتم الحديث فيه عن نظام المرتبات الإقطاعية والنقدية والعينية للجيش، وما طرأ عليها من تطورات خلال تلك الفترة.

أما الفصل الخامس فخصص لدراسة إدارة الجيش المملوكي، فتم الحديث عن الدواوين القائمة على خدمة وإدارة الشؤون الإقطاعية والمالية للجيش، وعلى

دراسة إدارة وقيادة فرق الجيش، ومؤسساته الأخرى كخزائن السلاح والقضاء العسكري.

أما الخاتمة فجاءت مجملة للتطورات التي لوحظت من خلال الدراسة على أنظمة جيش المماليك في الفترة موضوع البحث، كما تطرقت الخاتمة لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة. أما الملاحق فاحتوت على الجداول والنصوص الهامة المتعلقة بموضوع الدراسة.

وفي النهاية أتقدم بالشكر لكل من قدم المساعدة والعون، وأخص بالذكر الأستاذ سليمان العمايرة والزميل الأستاذ حسن صُبح، ولكل من ساند الباحث ولو بكلمة تشجيع.

«المؤلف»

الفصل الأول

الجيش في دولة المماليك الأولى

١- البنية البشرية

٢- فرق الجيش

٣- الرتب والمرتبات

٤- إدارة الجيش

٥- خاتمة

الفصل الأول

الجيش في دولة المماليك الأولى

تُعد دراسة بُنية وتركيب وإدارة الجيش في دولة المماليك الأولى، ضرورية لفهم التطورات التي حدثت في دولة المماليك الثانية، لذا فقد عُني هذا الفصل بدراسة عامة للجيش في دولة المماليك الأولى من الجوانب التالية:

١ - البنية البشرية.

٢ - الفرق العسكرية.

٣ - الرتب والمرتبات.

٤ - إدارة الجيش.

١ - البنية البشرية:

نشأت دولة المماليك وجيشها في سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م في ظروف سياسية وعسكرية حرجة، تمثلت بوجود الحملة الفرنجية، وظهور المغول وسيطرتهم على شرقي العالم الإسلامي ودولة الخلافة العباسية، وتفكك البيت الأيوبي، مما أثّر على تنوّع البنية البشرية للجيش آنذاك، وقد تكوّن الجيش من عناصر مختلفة كان أهمها العنصر التركي الذي يُعد العنصر الأكثر استخداماً في الجيوش الإسلامية في فترات سابقة للمماليك.

والترك اسم أطلق إطلاقاً عاماً على سكان سهوب آسيا الوسطى وبالتحديد حول حوض نهر إرتش[1] وهم شعوب بدوية كثيرة مكونة من عشرين قبيلة[1] اشتهر

---

(١) بارتولد، فاسيلي فلاديميرويج: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ، ترجمة أحمد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨، ص١٢٢. سيشار إليه: بارتولد: تاريخ الترك.

العريني: السيد الباز: المماليك، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٧، ص٥٤- ٥٥. سيشار إليه: العريني: المماليك.

منها قبيلة القَبْجاق أو القَفْجاق، التي استوطنت في منطقة بحر قزوين على نهر جيحون وعلى حوض الفلجا (في روسيا)[٢].

وتفرعت عن هذه القبيلة قبائل عدة من أهمها طقصبا، برج أغلي، أوغلي، دودت وغيرها[٣]، ثم عُرفت فيما بعد باسم القبيلة الذهبية[٤]، وقد تعرضت هذه القبيلة لغارات التتار ضمن التوسع المغولي باتجاه الغرب[٥]، وخاصة في السنوات ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م، ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، وكان السبي والنهب سمة

---

(١) العيني، بدر الدين محمود (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق فهيم شلتوت، القاهرة، ١٩٦٧، ص١٩- ٢٠. سيشار إليه: العيني: السيف المهند.
والعيني: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر (ططر)، تحقيق: هانس ارنست، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٢، ص٤. سيشار إليه: العيني: الروض الزاهر.

(٢) ماجد، عبد المنعم: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٩، ج١، ص١٠. سيشار إليه: ماجد، نظم، العريني: المغول، دار النهضة العربية، ١٩٦٧، ص٣١. سيشار إليه: العريني: المغول.

(٣) المنصوري، ركن الدين بيبرس الدوادار (ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م): زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، مخطوط مصوّر ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية، شريط رقم ٢٠، ورقة ٥٠أ، سيشار إليه: المنصوري: زبدة الفكرة.
ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٨ج، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٨، ج٥، ص٨٠٧، سيشار إليه: ابن خلدون: العبر.

(٤) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ج، نسخة مصوّرة عن الطبعة الأميرية، القاهرة د.ت، ج٤، ص٢١٦. سيشار إليه: القلقشندي: صبح الأعشى، وسمّيت بهذا الاسم نسبة إلى خيام معسكراتها ذي اللون الذهبي.
العريني: المماليك، ص٤٢.

(٥) الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (ت٧١٨هـ/ ١٣١٨م): جامع التواريخ، تحقيق محمد صادق وآخرون، القاهرة، د.ت، م٢ ج١، ص٢١٢. سيشار إليه: الهمذاني: جامع التواريخ.
المنصوري: زبدة الفكرة، ورقة ٤٩أ.

Ayalon, D: Mamluk, The Encyclopaedia of Islam, New edition, Lieden, London, 1960, Vol. (6), P. 314,

سيشار إلى هذه الموسوعة فيما بعد هكذا: EI_2

بارزةً هٰذه الغزوات حيث يَسبون السكان ويبيعونهم للتجار[1].

وجاءت سياسة المماليك في جلب الأتراك، استمراراً لما اعتاد عليه بنو أيوب من جلب هذا العنصر واستخدامه في جيوشهم، الذي بلغ ذروته أيام الصالح نجم الدين أيوب [٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٣٩-١٢٤٩م] الذي أكثر من جلبهم، وأسّس فرقته المعروفة بالبحرية وأسكنها جزيرة الروضة، بعد أن لمس غدر طوائف الجيش الأيوبي الأخرى من أكراد وغيرهم، في صراعه مع الأمراء الأيوبيين، وبلغ عدد أفراد هذه الفرقة بين ٨٠٠- ١٠٠٠ مملوك[2].

استطاعت «البحرية» بعد وفاة الصالح أيوب سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م أن تتغلب على التحديات الخطيرة التي واجهتها، فأنهت الوجود الفرنجي في دمياط، وأسست حكم المماليك في مصر، ومن هذه الفرقة نشأت نواة الجيش المملوكي[3].

---

(١) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، ١٢ج، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩- ١٩٨٢، ج١٢، ص٣٨٥- ٣٨٦، ٣٨٧- ٣٨٨. سيشار إليه: ابن الأثير: الكامل.
ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، د.ت، ١٢ج، والأجزاء (١٣-١٦) حققها فهيم شلتوت وإبراهيم طرخان وجمال الدين الشيال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢، ج٦، ص٢٥٥. سيشار إليه: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة.

(٢) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٥، تحقيق حسنين ربيع وزميله، القاهرة، ١٩٧٧، ج٥، ص٢٧٤- ٢٧٥، ٢٧٨. سيشار إليه: ابن واصل: مفرج الكروب.
المنصوري: زبدة الفكرة، ورقة ٤٩أ-ب؛ أبو الفداء، المؤيد عماد الدين (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر، ٧ج في ٢ مجلد، دار البحار، بيروت، ١٩٦١، ج٦، ص٨٣. سيشار إليه: ابن واصل: المختصر.
ابن دقماق: صارم الدين إبراهيم (ت٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٤ و٥، بولاق، ١٣١٠هـ، ج٤، ص١١٠. سيشار إليه: ابن دقماق: الانتصار.
المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٢ج، بولاق، ١٢٧٠هـ، ج٢، ص٢٣٦. سيشار إليه: المقريزي: المواعظ والاعتبار.

(٣) المنصوري: التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق عبد المجيد حمدان، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٧. سيشار إليه: المنصوري: التحفة.

وفي عهد المعز أيبك [٦٤٨-٦٥٤هـ/ ١٢٥٠-١٢٥٦م] حدث انقسام كبير في صفوف فرقة البحرية، نتيجة سياسة أيبك في التخلص من زعمائها المتنفذين، وفرار قسم منهم إلى بلاد الشام، وتنافس أمراء بني أيوب في الاستعانة بهم في محاولاتهم اليائسة لإستعادة الحكم الأيوبي في مصر، سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م(١).

وسمح السلطان قطز [٦٥٧-٦٥٨هـ/ ١٢٨-١٢٥٩م] بعودة البحرية للمشاركة في صد المغول عن عين جالوت في رمضان سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م(٢).

واحتاج الظاهر بيبرس [٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٥٩-١٢٧٧م] لتقوية جيش المماليك لمواجهة التتار والفرنجة، فأكثر من جلب المماليك القَبْجاق، وحسّن علاماته مع الملك بركة [٦٥٥-٦٦٦/ ١٢٥٧-١٢٦٧م] خان القبيلة الذهبية لتحقيق ذلك الهدف(٣).

كما حرص الظاهر بيبرس على تحسين علاقاته مع الإمبراطور البيزنطي ميخائيل باليولوج [٦٥٨-٦٨١هـ/ ١٢٥٩-١٢٨٢م]، عن طريق إرسال الهدايا إليه، مقابل الحصول

الصفدي، خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، ١٦ج، نشر ديدرنغ وآخرون، فيسبادن، بيروت، ١٩٥٣-١٩٨٠، ج٩، ص٤٧٢. سيشار إليه: الصفدي: الوافي.
المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٣٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٤٦، ٣٦٤-٣٦٧.

(١) المنصوري: التحفة، ص٣١، ٣٤-٣٥؛ وزبدة الفكرة، ورقة ٤٥ب-٥٥أ.
ابن خلدون:العبر، ج٥، ص٧٨٨-٧٨٩، ٨١٦-٨١٧.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧،ص٦- ١٠، ٤٤-٤٦، ٥٣، ج٨، ص٩٧.
Ayalon, D: Bahriya, E12, Vol. 1, P. 944.

(٢) المنصوري: التحفة، ص٤٣-٤٤، ابن خلدون: العبر، ص٧٩٥-٧٩٦، ٨١٩-٨٢٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٥٤-٥٥، ٧٨-٨١.

(٣)ابن عبد الظاهر، محي الدين عبد الله بن رشيد (ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م) الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٩٧٦، ص١٣٨. سيشار إليه: ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر.
القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٧٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٨٢، ٢٣٢، ويذكر ابن تغري بردي أن جيش الظاهر بيبرس بلغ أربعين ألف جندي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٩٧.

على إذن منه بمرور سفينتين محمّلتين بالمماليك عبر البسفور والبحر الأسود ذهاباً وإياباً[1]، كما رحب بالمغول الوافدين إلى مصر، إذ شهدت السنوات [٦٦٠-٦٦٢هـ/ ١٢٦١-١٢٦٣م] هجرات متتابعة من التتار المستأمنين إلى مصر، وضُموا إلى الجيش المملوكي[2]، كما ضُمّ إلى الجيش بعض الأسرى[3] وبعض الفارين من وجه التتار[4].

وأحدث المنصور قلاوون [٦٧٨-٦٨٩هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٠م] تغيراً هاماً في بنية الجيش المملوكي عندما أدخل العنصر الجركسي[5]، الذي توفر في أسواق الرقيق آنذاك بأسعار قليلة[6] وأسس فرقته «البرجية» المكونة من ثلاثة آلاف وسبعمائة مملوك من الجركس والروم في سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م[7].

وفي المقابل قام قلاوون بتجديد فرقة البحرية التي أصابها الخلل والانقسام، فجمع ذراري البحرية الصالحية، وأجرى لهم الجوامك (الرواتب) والمخصصات،

---

(١) العبادي، أحمد مختار: قيام دولة المماليك الأولى، قيام دولة المماليك الأولى، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٩م، ص٢١٧. سيشار إليه: العبادي: قيام دولة المماليك.

(٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص١٠٥-١٠٦، ١٣٧-١٣٨، ١٨٠.
المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤ج، تحقيق زيادة وآخرون، القاهرة ١٩٣٢-١٩٧٢، ج١ ق٢ ص٤٧٤، ٥٠٠، ٥٠١، ٥١٢، ٥١٥. سيشار إليه: المقريزي: السلوك.
Ayalon, The wafidiya in the mamluk kingdom, (Islamic culture, Vol.xxv 1951), P.98.
سيشار إليه: Ayalon, wafidiya.

(٣) أبو الفداء: المختصر، ج٧، ص٧.

(٤) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م): تاريخ ابن الفرات، ج٧-٩، تحقيق قسطنطين زريق وزميلته، بيروت ١٩٣٩-١٩٤٢، ج٧، ص٥. سيشار إليه: ابن الفرات: تاريخ.

(٥) انظر: عن الجركس وأصولهم في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(٦) عاشور، سعيد: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢، ص٢٢٣. سيشار إليه: عاشور: مصر والشام.

(٧) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٤.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٢٧، ٣٣٠.

ورتبهم بباب القلعة[1]، ويبدو أن هدف قلاوون من انشاء البرجية هو مواجهة تحدي فرق الجيش الظاهرية التي ظلت على ولائها للظاهر بيبرس وأولاده من بعده.

وحرص قلاوون على تأمين سُبل جلب المماليك إلى مصر، فعقد معاهدات مع بعض الملوك لهذا الغرض، كالاتفاق مع الملك الاشكري [٦٥٢-٦٥٥هـ/ ١٢٥٤-١٢٥٧م] صاحب القسطنطينية سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م[2]، والملك ليون الثالث ملك الأرمن سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م[3]، وما كتبه إلى أكابر ملوك اليمن والسند والهند والصين في ربيع الآخر سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م لتأمين حرية تنقل تجار المماليك حتى وصولهم إلى مصر[4]، وكان توجهه إلى عكا لفتحها سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م لاعتراض أهلها تجار المسلمين الذين كانوا يحملون رقيقاً إليه[5].

وتابع الأشرف خليل بن قلاوون [٦٨٩-٦٩٣هـ/ ١٢٩٠-١٢٩٣م] سياسة والده في جلب المماليك الجركس، فاشترى منهم في حكمه القصير ألفي مملوك من ثغر كفا[6]، الذي أصبح مصدراً هاماً في جلب الجركس[7].

وتبدأ منذ اشتراك البرجية إلى جانب الوزير سنجر الشجاعي[8] ضد نائب

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٧؛ السلوك، ج١، ق٢، ص٦٥٨.

(٢) ابن الفرات: تاريخ، ج٧، ص٢٢٩-٢٣٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص٧٣-٧٤، ٧٧-٧٨.

(٣) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة ١٩٦١، ص٩٩-١٠١. سيشار إليه: ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام.

(٤) ابن الفرات: تاريخ، ج٨، ص٦٥-٦٧.

(٥) المنصوري: التحفة، ص١٢٢؛ ابن الفرات: تاريخ، ج٨، ص٩٦-٩٧.

(٦) ثغر كفا: تقع كفا على ساحل بحر القرم شرقي صوداق، وتقع إلى الشمال والشرق منها صحراء القبجاق؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٦٠-٤٦١.

(٧) عبد السيد، حكيم: قيام دولة المماليك الثانية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧، ص١٣. سيشار إليه: حكيم: قيام.

(٨) علم الدين سنجر بن عبد الله الشجاعي المنصوري، ولي شد الدواوين أوائل عصر الناصر محمد بن قلاوون، وكان سيئ السيرة، توفي سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٥١.

السلطنة كتبغا في سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م، في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الأولى [٦٩٣-٦٩٤هـ/ ١٢٩٣-١٩٦٤م]، مرحلة الصراع بين الترك والجركس، التي استمرت حتى قيام دولة المماليك الثانية، وأدى فشل الوزير الشجاعي إلى التنكيل بمن سانده من البرجية على يد كتبغا، فأخرجهم من القلعة، وأبقى على أربعة آلاف وسبعمائة مملوك، وحدّ من نشاطهم(١)، وتصدى لثورتهم في ١١ محرم سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م، وقمعها بقسوة ونكّل بمن شارك فيها(٢).

وتميز عهد كتبغا [٦٩٤-٦٩٦هـ/ ١٢٩٤-١٢٩٦م]، بقدوم أكبر جماعة وافدة من المغول إلى دولة المماليك، وهي طائفة الأويراتية(٣)، وذلك في ربيع الأول سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م، مكونة من عشرة آلاف فارس، فارين من وجه غازان ملك التتار، ونالت هذه الطائفة اهتمام هذا السلطان لأنه من جنسهم، فاستقدم كبارهم إلى مصر وأمّرهم وأعطاهم الاقطاعات، وتغاضى عن عدم إسلامهم وتقاليدهم الوثنية، واتخذهم سنداً له، فأثار سخط العامة وكبار الأمراء عليه(٤)، إلا أن نفوذ الأويراتية انتهى بخلع السلطان كتبغا وتولي حسام الدين لاجين السلطنة في محرم سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م، إذ نكّل السلطان الجديد بهذه الطائفة، فسجن بعضهم وقتل آخرين وفرّق من بقي منهم على الأمراء(٥).

---

(١) المنصوري: التحفة، ص١٣٩-١٤٠؛ ابن الفرات: تاريخ، ج٨، ص١٧٩-١٨١؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٩٨-٨٠٢.

Ayalon, D: Burdjiya, E12, vol. 1, P. 1324.

(٢) المنصوري: التحفة، ص١٩١-١٩٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٤٨-٤٩.

(٣) الإويرات: قبيلة مغولية كانت تقطن ما بين نهر اونن onon، وبحيرة بايكال؛ العريني: المغول، ص٣٤.

(٤) مجهول توفي في سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م: تاريخ سلاطين المماليك، نشره زترستين، ليدن ١٩١٩، ص٣٨-٣٩. سيشار إليه: زترستين: تاريخ.

ابن حبيب، الحسن بن عمر (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م): تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد أمين، القاهرة ١٩٧٦-١٩٨٦، ج١، ص١٨٥ . سيشار إليه: ابن حبيب: تذكرة النبيه.

أبو الفداء: المختصر، ج٧، ص٤٢؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢-٢٣.

(٥) المنصوري: التحفة، ص١٤٧-١٤٩؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٣؛ السلوك، ج١، ق٣، ص٨٨٣-٨٨٤؛ العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، [حوادث ٦٤٨-٦٩٨هـ] تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧-١٩٨٩، [٦٨٩-٦٩٨هـ]، ص٣٥٥-٣٥٦. سيشار إليه: العيني: عقد الجمان.

وعاد للبرجية نفوذها عندما أعادت الناصر بن قلاوون للسلطنة ثانية [٦٩٨-٧٠٧هـ-١٢٩٨-١٣٠٨م] في أعقاب اغتيال السلطان لاجين، في ربيع الآخر سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م، وعبّر المقريزي عن هذا النفوذ بقوله: «وقويت شوكة البرجية بديار مصر، وصارت لهم الحمايات[١] الكبيرة، وتردد الناس إليهم في الأشغال وقام بأمرهم بيبرس الجاشنكير»[٢].

وساهمت البرجية مساهمة فاعلة في التصدي لخطر التتار على بلاد الشام في السنوات [٦٩٨-٧٠٢هـ/ ١٢٩٨-١٣٠٢م][٣]، وأمام تعاظم نفوذ البرجية ثارت بقايا الإويراتيه ضدها أثناء توجه الجيش المملوكي لقتال التتار في سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٥م إلا أن الثورة كُشفت وتم إخمادها[٤].

وتعاظم نفوذ البرجية في سلطنة بيبرس الجاشنكير الجركسي [٧٠٨-٧٠٩هـ/ ١٣٠٨-١٠٣٩م] وقد عبّر عن نفوذ الجركس أحد الأمراء بقوله: «إن هؤلاء الجراكسة متى تمكنوا منا أهلكونا وراحت أرواحنا معهم، فقوموا بنا نعمل شيئاً قبل أن يعلموا بنا»[٥]، وكانت خطوة الأتراك لمواجهة نفوذ الجراكسة هي إعادة الناصر محمد للسلطنة

---

(١) الحمايات: مغارم فرضها السلطان والأمراء المقطعون على العقارات من أراض ونحوها نظير ما يقومون به من حماية للشخص الذي يدفع هذا المقرر.
طرخان، إبراهيم: النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكاتب العربي- القاهرة، ١٩٦٨، ص٤٧٩، سيشار إليه: طرخان: النظم.

(٢) المقريزي: السلوك، ج١، ق٣، ص٨٧٥-٨٧٦؛ والمقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠، ج٢، ص٥٣٥. سيشار إليه: المقريزي: المقفى.

(٣) المقريزي: السلوك، ج١، ق٣، ص٨٨٢-٨٨٥، ٩٣٠، ٩٣٨، العيني: عقد الجمان [٦٨٩-٦٩٨هـ]، ص٦٤٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص١٦٠-١٦١.

(٤) المنصوري: التحفة، ص١٥٦-١٥٧؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٨٨٢-٨٨٥؛ والمقفى، ج٢، ص٥٣٥؛ العيني: عقد الجمان [٦٨٩-٦٩٨هـ]، ص٤٦٢-٤٦٣ وانتهى مصير الإويراتيه إلى الخدمة عند الأمراء كأجناد، وتزاوجوا مع أهل الحسينية في مصر وذابوا في مجتمعهم؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٣.

(٥) الصفدي: الوافي، ج٢، ص٥٠٥؛ المقريزي: المقفى، ج١٠، ص٢٩٦.

للمرة الثالثة [٧٠٩-٧٤١هـ/ ١٣٠٩-١٣٤٠م][١]، الذي شن حملة اضطهاد واسعة ضد الجركس، فنفى بعضهم وسجن آخرين وأغرق الكثير منهم في النيل[٢].

وأعرض السلطان الناصر عن جلب الجراكسة، وشجع تجار المماليك على جلب الأتراك ودفع أثماناً باهظة لهم[٣]، ويعدّ التاجر مجد الدين السلامي [٦٧١-٧٤٣هـ/ ١٢٧٢-١٣٤٢م] من أبرز تجار المماليك الذين جلبوا الأتراك للناصر محمد ونالوا ثقته واهتمامه[٤]، واهتم الناصر بهؤلاء المماليك، ورقّاهم بسرعة حتى يضمن ولاءهم في الصراع المحتدم بين الأتراك القدامى والجراكسة[٥] كما قام الناصر محمد بالاستغناء عن بقايا طائفة الإويراتيه التي حاولت إعادة وضعها السابق[٦].

وفي أيام الناصر محمد دخلت عناصر وافدة من المغول إلى جيش المماليك لا نعرف مدى تأثيرها في بنية الجيش[٧]، وذلك في السنوات ٧١٧هـ/ ١٣١٧م[٨]، وسنة

---

(١) الصفدي: الوافي، ج٢، ص٥٠٥؛ المقريزي: المقفى، ج١٠، ص٢٩٦.

(٢) المنصوري: التحفة، ص٢٠١-٢٠٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٢٤٣-٢٤٧، ٢٧١، ٢٧٦.

Ayalon, Burdjiya, EI_2 (1), P. 1325.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٢، ص٥٢٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢٦، ٧٣؛ مجهول: تاريخ الخلفاء والسلاطين، مخطوط مصوّر ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية، رقم الشريط ٥٦٢، ورقة ٥٦أ. سيشار إليه: مجهول: تاريخ.

(٤) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٤٣؛ والمقفى، ج٢، ص١٨١-١٨٢؛ ابن ناظر الجيش، تقي الدين بن محب الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م): تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، مخطوط مصوّر ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية، رقم الشريط ٤٤٣٩، ورقة ٧٥أ. سيشار إليه فيما بعد: ابن ناظر الجيش: تثقيف التعريف.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٤١؛ السلوك، ج٢، ق٢، ص٥٢٤-٥٢٥.

(٦) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٨٣.

(٧) دخلت جماعة منهم في سلطنته الثانية سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م. انظر المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٥-٦.

(٨) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص١٤٧.

٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م[١]، وسنة ٧٤١هـ/ ١٣٤١م[٢] إضافة إلى هجرات فردية أخرى[٣].

وأعقبت فترة أبناء الناصر محمد [٧٤١-٧٤٧هـ/ ١٣٤٠-١٣٤٦م] صراعاً بين الأتراك والجراكسة، إذ نجح الجراكسة بالإطاحة بالسلطان الكامل شعبان سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م[٤]، وأصبح نفوذهم قوياً في أيام المظفر حاجي الذي جعلوا منه سلطاناً في ذلك العام وهو طفل، ومال المظفر إلى الجراكسة وجلبهم من كل مكان[٥] وأمام هذا الوضع ثار الأتراك ضد الجراكسة في رمضان سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م وأطاحوا بالمظفر حاجي[٦] وجعلوا الناصر حسن بن الناصر محمد سلطاناً، وتبع ذلك التنكيل بالجراكسة، وبيع طائفة منهم بحجة تخفيف مصاريف القصر في ذلك العام[٧].

وظهرت في سلطنة الناصر حسن الثانية [٧٥٥-٧٦٢هـ/ ١٣٥٤-١٣٦٠م]، منافسة شديدة بين كبار الأمراء في اقتناء المماليك من أتراك وجركس وغيرهم[٨] ورأى السلطان حسن أن يعتمد على أولاد الناس[٩] في مواجهة نفوذ الأمراء، مما أثار سخط هؤلاء الأمراء، وعلى رأسهم يلبغا العمري الخاصكي[١٠] أستاذ فرقة اليلبغاوية

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٣٦.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٥١٥-٥١٦.

(٣) المقريزي: المقفى، ج٢، ص٣٨٨.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٣٤، ١٣٦، ١٤٠.

(٥) ابن الوردي، زين الدين عمر(ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): تتمة المختصر في أخبار البشر، ٢ج، تحقيق أحمد البدراوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠، ج٢، ص٤٩٣. سيشار إليه: ابن الوردي: تتمة المختصر؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٤؛ السلوك، ج٢، ق٣، ص٧٤٧.

(٦) ابن خلدون: العبر، ج٥، ص٩٥٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٦٥-١٦٧.

(٧) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٧٤٧-٧٥١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٨٨-١٩٠.

(٨) Mignaneli: Asecnsus Barcoch (Arabica, Tom vl Bril, 1959), P. 64.
سيشار إليه: Ascensus Barcoch؛ حكيم: قيام، ص٣٠-٣١.

(٩) انظر عنهم الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(١٠) يلبغا بن عبد الله الخاصكي، كان له نفوذ عظيم أيام الأشرف شعبان، قتل في سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م؛ ابن حجر، شهاب الدين أحمد (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٥ج، تحقيق محمد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت، ج٥، ص٢١٣-٢١٥. سيشار إليه: ابن حجر: الدرر الكامنة.

المعروفة، فأطاح بالسلطان الناصر حسن في جمادي الأولى سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م[١].

ومن فرقه اليلبغاوية التي ضمت عناصر مختلفة من أتراك وجركس وغيرهما، ظهر الأمير برقوق الجركسي، الذي استطاع أن يوظّف الظروف المحيطة به، لخدمة أهدافه في الوصول إلى السلطنة، وبالتالي تحويل الدولة إلى العنصر الجركسي، فعمل على الوصول إلى المناصب العسكرية العليا حتى يسيطر على الجيش، ويسند المناصب العسكرية للجراكسة[٢]، إلاّ أن منافسه الأمير بركة الجوباني[٣] – وهو زميله في فرقة اليلبغاوية – كا ن يشجع الأتراك ويكثر منهم، حتى قال الناس: «برقوق وبركة نصبا على الدنيا شبكة»[٤].

وسعى برقوق إلى التخلص من كبار الأمراء عن طريق الدسائس، حتى حصل على أكبر منصب عسكري وهو إتابك العسكر[٥] كما أخذ في استمالة الجراكسة حتى رجحت كفتهم على الأتراك[٦]، وأخذ يسعى إلى التخلص من منافسه الأمير بركة – زعيم الأتراك – حتى اعتقله ثم قتله في سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م[٧].

وتبع التخلص من الأمير بركة حملة اعتقالات واسعة قام بها برقوق ضد الأتراك، عقّب عليها المقريزي بقوله: «فانقرضت دولة الأتراك بأسرها وتتبعوا بالأخذ، فقتلوا ونفوا وسجنوا»[٨]، وفي المقابل، فتح برقوق باب جلب الجراكسة على

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٣١٢-٣١٤.

(٢) حكيم: قيام، ص٣٩-٤٠.

(٣) الأمير الكبير زين الدين بركة بن عبد الله الجوباني اليلبغاوي، رأس نوبة الأمراء، قتل في الاسكندرية سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٠٤.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٧٤-١٨٠.

(٥) إتابك العسكر: القائد العام لجيش المماليك، انظر الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٦) حكيم: قيام، ص٤٥-٤٦.

(٧) ابن خلدون: العبر، ج٥، ص١٠٠٥-١٠٠٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٧٤-١٨٠؛ ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي المصري (ت٩٣٠هـ/ ١٥٣٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٥ج، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤، ج١، ق٢، ص٢٥٦، ٢٦١. سيشار إليه: ابن إياس: بدائع.

(٨) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٦٨٣؛ حكيم: قيام، ص٥٣.

مصراعيه[1] وجعل التاجر عثمان بن مسافر[2] تاجره الخاص، وخصّه بالعطايا وشجعه على جلب الجركس، وإحضار أقاربه إليه[3].

وفي الاجتماع الذي عقد في ١٩ رمضان سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م، أُعلنت سلطنة برقوق بعد أن تبين أن البلاد بحاجة إلى سلطان كبير يقف في وجه التحديات بدلاً من السلطان الصغير الصالح أمير حاج بن الأشرف شعبان[4]، وبذلك انتقلت السلطنة إلى الجراكسة لتبدأ مرحلة جديدة ساد فيها العنصر الجركسي على باقي العناصر الأخرى في دولة المماليك الثانية[5].

٢- فرق الجيش:

تكوّن الجيش في دولة المماليك الأولى من ثلاث فرق رئيسة، وهي المماليك السلطانية ومماليك الأمراء وأجناد الحلقة، وتعد المماليك السلطانية من أهم هذه الفئات نظراً لما تميزت به في هذه الفترة من تدريب علميّ وعسكريّ دقيقين في الطباق[6] التي أنشئت لهذا الغرض[7].

وكان اهتمام أغلب السلاطين في هذه الفترة بتعليم المماليك اهتماماً كبيراً، تجلى في مظهرين وهما: جلب المماليك صغار السن كأساس للتعليم[8]، والثاني إشراف السلاطين على تعليم المماليك ومراقبة ذلك[9] كالسلطان قلاوون الذي حرص على تربية

---

(١) حكيم: قيام، ص٥٧.

(٢) فخر الدين عثمان بن مسافر جلب برقوق إلى مصر ثم عمل لحسابه عندما عين إتابكاً ونال عنده الحظوة البالغة؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٠.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٥، ص١٠١١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٨٢-١٨٣.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢١.

(٥) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(٦) الطباق: هي الأماكن التي جرى فيها تعليم المماليك في قلعة الجبل بالقاهرة، انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٧) عن تربية المماليك في الطباق انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٨) انظر مثلاً: المقريزي: المقفى، ج٢، ص٢٢٤، ٢٥٨، ٦٠٧، ج٣، ص١٠.

(٩) ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م): تاريخ الملك الظاهر،

المماليك السلطانية، إذ كان يراقب تعليمهم ويتفقد طعامهم ويباشر أحوالهم بنفسه[1] كما اهتم هؤلاء السلاطين باختيار مقدمي المماليك من ذوي الصرامة والمهابة وحسن الإشراف[2] إلا أنه وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون [٧٠٩-٧٤١هـ/ ١٣٠٩-١٣٤٥م] اتجه تعليم المماليك في الطباق اتجاهاً جديداً، إذ رأى الناصر محمد أن الترقية السريعة للمملوك دون تدرجه في الطباق تؤدي إلى تعلق المملوك بالسلطان وعاب على تربية المملوك في الطباق، وكان يسفّه رأي الملوك في ذلك[3].

واختلفت أعداد المماليك في دولة المماليك الأولى من وقت لآخر، وذلك تبعاً للظروف العسكرية واهتمام السلاطين، فبلغت مثلاً أيام الظاهر بيبرس بين ١٢-١٦ ألف مملوك[4] وفي أيام قلاوون ستة آلاف وسبعمائة مملوك[5] وفي أيام الأشرف خليل عشرة آلاف مملوك[6]، وبلغت أيام الناصر محمد بن قلاوون في الروك[7] الناصري سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م

تحقيق أحمد حطيط، ڤيسبادن، بيروت، ١٩٨٣، ص١٣٣. سيشار إليه: ابن شداد: تاريخ؛ ابن الفرات: تاريخ، ج٧، ص٥٣.

(١) العيني: عقد الجمان [٦٨٩-٦٩٨هـ]، ص١٩، المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٣.

(٢) ابن الفرات: تاريخ، ج٨، ص١٠٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٢٢٨؛ العريني: المماليك، ص١١٨-١١٩.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٢، ص٥٢٤-٥٢٥.

(٤) الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين (ت٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م): زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح بولس راويس، مطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م، ص١١٦. سيشار إليه: ابن شاهين: زبدة.
طرخان: النظم، ص١٥١؛ العريني: المماليك، ص١٦٣.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٤؛ طرخان: النظم، ص١٥١؛
Ayalon, D: Studies on the Structure of the Mamluk Army (B.S.O.A.S.) 1,2,3 , 1953- 1954 (1) P. 233.
سيشار إليه: Ayalon: Studies.

(٦) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٤؛ Ayalon: Studies (1), P. 223

(٧) الروك: مصطلح يعني إعادة النظر في التوزيع الإقطاعي توزيعاً شاملاً، ومسح الأراضي لتقدير خصوبتها وفرض خراج عليها بما يتناسب وطاقتها الإنتاجية.
طرخان: النظم، ص٩٥.

ألفا مملوك[١]، وتناقصت هذه الأعداد بعد وفاة الناصر محمد سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م) بسبب إنتهاء الحروب الصليبية وإنحسار الخطر المغولي، وقِصر عهود السلاطين[٢].

وفي الوقت الذي تناقصت فيه أعداد المماليك السلطانية، في أواخر هذه الفترة، نشطت جهود كبار الأمراء في زيادة أعداد مماليكهم للإعتداد بهم في النزاعات الداخلية بين الأمراء وبين السلاطين، فالأمير قوصون الناصري[٣] كان يملك سبعمائة مملوك يفتخر بهم ويقول: «إيش أبالي بالأمراء وغيرهم وعندي سبعمائة مملوك ألقى بهم كل من في الأرض»[٤].

ومن أبرز الأمراء الذين حازوا المماليك بأعداد كبيرة في هذه الفترة، الأمير يلبغا العمري الخاصكي، الذي كان يملك بين ٣٥٠٠-٤٠٠٠ مملوك[٥] عُرفوا بفرقة المماليك الأجلاب[٦] اليلبغاوية، التي كان لها حضورها الواضح على مسرح الأحداث، إذ شاركت أستاذها في صراعه مع السلطان شعبان، والذي انتهى بقتل يلبغا في ١٢ ربيع الآخر سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م[٧].

وأصبحت اليلبغاوية فرقة يستغلها الطامحون من الأمراء لتحقيق أهدافهم، إذ

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٤؛ Ayalon: Studies (1), P. 223

(٢) العريني: المماليك، ص١٦٣-١٦٤.

(٣) قوصون الناصري: نال الحظوة البالغة عند الناصر محمد بن قلاوون، وأمّره تقدمة ألف، قتل في شوال سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٣، ص٣٤٢-٣٤٣.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٠.

(٥) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٥، ص٢١٣؛ Ascensus Barcoch, P. 64

(٦) الأجلاب: مصطلح ظهر في دولة المماليك الثانية ليدل على فئة المشتروات التي ينشئها السلطان الحاكم وتسمى جلبان أيضاً، واطلاق هذا المصطلح في هذه الفترة على مماليك أحد الأمراء لا تفسره المصادر ويبدو أن سبب اطلاق هذا اللقب يعود إلى أن هذا الأمير جلب المماليك جلباً فاق ما يجلبه السلطان من المماليك في هذه الفترة.

(٧) ابن خلدون: العبر، ج٥، ص٩٧٤، ٩٧٩-٩٨١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٧، ٣٥-٤٠؛ ومورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، مخطوط مصوّر ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية، رقم الشريط (١٠٠)، ورقة ٧٨أ. سيشار إليه: ابن تغري بردي: اللطافة.

استمال الأمير ألجاي اليوسفي[1] جماعة منهم في صراعه مع السلطان الصالح صالح في محرم سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م[2]، واستخدم الأمير أسندمر الناصري[3] أعداداً كبيرة منهم في انقلابه الفاشل ضد السلطان شعبان في محرم سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م، مما أدى إلى نفيهم إلى الكرك[4]، وفي أواخر دولة المماليك الأولى كثرت النزاعات بين الأمراء، ونشط استخدام الأمراء لمماليكهم في هذه النزاعات استخداماً واضحاً[5].

وشهد العصر الأول لدولة المماليك، تطور فرقة أجناد الحلقة[6]، وقد أطلق هذا المصطلح في البداية على خاصة جند السلطان صلاح الدين الأيوبي[7]، وأصبح يدل في

---

(١) ألجاي اليوسفي: الأمير الكبير سيف الدين ألجاي اليوسفي أحد مماليك الناصر حسن، كانت له وقعة مع الأشرف شعبان، قتل فيها سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٥٤م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٢٩.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص١١٧-١١٨.

(٣) الإتابك أسندمر بن عبد الله الناصري، كانت له وقعة مع الأشرف شعبان، توفي سجيناً في الاسكندرية سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٠٣.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص١١٧-١١٨.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٣، ق١، ص٣٣١.

ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٢٠١-٢٠٣، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٤-٢٢٥، ٢٥٦-٢٦١.

(٦) اختلف في تفسير مصطلح الحلقة، إذ يعتقد كترمير أن «الحلقة» لفظ أطلق عليه الجنود الذين يشكلون حلقة لحماية السلطان، انظر: Ayalon: Studies (2), P. 448

على حين يرى بولياك أن «الحلقة» تنظيم عسكري مغولي يعني الإحاطة بالعدو:

Ploiak, A, N: The Influence of Chingiz-Khan's yasa upon the general organization of the Mamluk state. (B.S.O.A.S, 10, 1939-1942), P. 872.

سيشار إليه: Poliak: the Influence

ويبدو أن تفسير كترمير أقرب إلى الصحة لقربه من تشكيل الحلقة في العصر الأيوبي.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٥٥٦-٥٥٧، ج١٢، ص٥١.

جب، هـ: جيوش صلاح الدين، في (دراسات في حضارة الإسلام)، ترجمة إحسان عباس وآخرين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤، ص٩٨. سيشار إليه: جب: جيوش صلاح الدين. محسن حسين: الجيش الأيوبي في عصر صلاح الدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤، ص١٤٨-١٥١. سيشار إليه: محسن: الجيش الأيوبي.

Ayalon, D: The Mamluk military society, London, 1979, P. 14-15.

عصر المماليك على الجيش الذي ينشئه السلطان دون مماليكه ومماليك الأمراء ولا يتغير بتغير السلطان، إلاّ أن نطاق هذه الفرقة تجاوز هذه الخصوصية في تلك الفترة، إذ شملت فئات متباينة الأصول، فضمت بعض زعماء البدو والتركمان والأكراد، وبعض المماليك السلطانية، وبقايا البحرية الصالحية[١] وبعض الوافدين إلى بلاد السلطنة[٢] وبعض مماليك الأمراء الذين انحلت إمرة أساتذتهم[٣].

كما دخل أبناء الأمراء الذين أطلق عليهم أولاد الناس[٤] فرقة أجناد الحلقة منذ سلطنة الناصر حسن الثانية سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م، الذي رأى الاعتماد عليهم في مواجهة نفوذ الأمراء والمماليك السلطانية[٥] ورقّاهم إلى الرتب العليا في الدولة[٦]، ودخلت في أجناد الحلقة أيضاً فرقة أجناد المئتين التي أنشئت في الاسكندرية للدفاع عنها سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٨م في أعقاب غزو القبارصة لها في ذلك العام، وعدد أفرادها ٢٠٠ جندي[٧].

ثم أخذت فرقة الحلقة تضم أجناداً مسنين، ومرضى وعميان وأصحاب عاهات، فلجأ الناصر محمد بن قلاوون إلى الاستغناء عن خدمات هؤلاء، فمثلاً عرض أجناد الحلقة سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م وقطع اقطاعات من كان كبيراً في السن من الأجناد، وزاد في اقطاعات

سيشار إليه: Ayalon: mamluk military

Ploiak: the influence, P. 872.

(١) العريني: المماليك، ص١٦١؛ Ayalon: Studies (2), P. 461.

(٢) ابن الفرات: تاريخ، ج٨، ص١٧٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٤٢.

(٣) العريني: المماليك، ص١٦١.

(٤) انظر عنهم الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٣٠٩-٣١٠؛ Ayalon: Studies (2), P. 458.

(٦) ابن دقماق، صارم الدين بن إبراهيم (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م): الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، ٢ج، تحقيق محمد كمال الدين، عالم الكتب، بيروت- ١٩٨٥، ج٢، ص٢١٥. سيشار إليه: ابن دقماق: الجوهر الثمين؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٣١٧؛ ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٥٧٨-٥٧٩.

(٧) Ayalon: Studies (2), P. 450
ازدادت أعداد هذه الفرقة حتى بلغت أيام ابن شاهين (ت٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) ٣٦٠ جندياً؛ زبدة كشف الممالك، ص١٣٤.

بعضهم[1]، وكرر ذلك في سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م[2]، وفي أواخر عهده سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، قطع إقطاعات المرضى والعميان والضعفاء وأرباب العاهات[3].

وبدأت الحلقة بالتراجع منذ وفاة الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، ويعود ذلك إلى عمليات مسح الأراضي (الروك)، التي أدت إلى تدني دخل الحلقة من الاقطاعات[4]، وبالتالي لجأ أغلب أجناد الحلقة إلى بيع اقطاعاتهم للحرفيين والعامة، ودخلت هذه الفئات في فرقة الحلقة[5]، وساعدت الأوبئة والطاعون التي حدثت في مصر، على تشجيع بعض أجناد الحلقة على بيع اقطاعاتهم، وانحلال بعض الاقطاعات لوفاة أصحابها، إضافة إلى تنقّل الاقطاعات بين عدة أجناد في فترة قصيرة[6].

وجرت عدة محاولات للحد من تراجع الحلقة في هذه الفترة، وهي محاولات تُشعر بحدوث تحول كبير في بنيّة فرقة الحلقة، حدّ من نشاطها العسكري، ففي رمضان سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م، عُرضت أجناد الحلقة لقطع إقطاعات الشيوخ والمسنين والمستجدين، إلا أن الأمراء عارضوا هذا العرض فأبطل[7]، وفي شوال سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م كتبت أوراق بديوان الجيش بأسماء من اشتروا اقطاعات في الحلقة من أرباب الصنائع، ورُسم بقطع ما حصلوا عليه منها، وتوسّط الأمراء في كثير منهم ولم يقطع غير عشرين نفراً[8]، وفي ذي الحجة سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م عُرضت أجناد الحلقة بسبب «دخول جماعة كبيرة من

---

(١) ابن أيبك: الدرر الفاخر، ص٢٣٨.

(٢) ابن أيبك: الدرر الفاخر، ص٢٤١.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٢، ص٥١٧-٥١٨.

(٤) سيتم الحديث عن الروك وبيع الاقطاعات عند الحديث عن المرتبات فيما يلي من هذا الفصل.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٦؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٩؛ العريني: المماليك، ص١٦١، ١٩١.

Ayalon: Studies (2), P. 452-453. Ayalon: Halka El_2 (3), P. 99.

(٦) Ayalon, D: The plague and its effects upon the mamluk army (J.R.A.S, 1946), P. 73.

سيشار إليه: Ayalon: the plague.

(٧) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٦٧٢.

(٨) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٧٤٧.

أرباب الصنائع في جملة أجناد الحلقة، وأخذ جماعة كثيرة من الاقطاعات حتى فسد العسكر»[1]، وتولى الأمير بَيْبُغا ططر[2] عرض الأجناد، وبرز إليه عدة أيتام مع أمهاتهم، وجماعة من أرباب الصنائع فساءه ذلك، وكره أن يقطع أرزاقهم وصرفهم إلى اليوم التالي، وتحدث بيبغا مع الأمراء في إبطال العرض، إلاّ أن بعض الأمراء عارضه، وأشار الأمير مُنْكلي بُغا[3] بأن العرض «فيه مصلحة، وأن القصد من إقامة الأجناد إنما هو الذب عن المسلمين، فلو تحرك العدو ما وجد فيه عساكر مصر من يدفعه» إلا أن العرض أُبطل «وقد اجتمع عالم كبير، فكان يوماً مهولاً من كثرة الدعاء والبكاء والتضرع»[4].

هذا ما وصلت إليه فرقة أجناد الحلقة في النصف الثاني من دولة المماليك الأولى من تراجع خطير استمر مع مرور الزمن، حتى أصبحت هذه الفرقة في دولة المماليك [illegible] فئةً اجتماعيةً أكثر منها عسكرية، بحيث وصفها بولياك بأنها «هيكلاً جيشياً جُرد من قيمته العسكرية»[5].

واعتمد سلاطين المماليك البحرية على عناصر محلية مساندة لجيوشهم، أهمها العربان الذين شاركوا في جيوش الظاهر بيبرس ضد الفرنجة والتتار[6]، وكلّفهم بمهمات استطلاعية ومراقبة الحدود مع التتار، والإغارة عليهم، إضافة إلى تقديم الخيول

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٨٣٠.

(٢) الأمير سيف الدين بيبغا ططر (تتر) المعروف بحارس الطير، تولى نيابة غزة بعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون، ولاّه الناصر نيابة السلطنة في مصر، ثم اعتقل في سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م؛ الصفدي: الوافي، ج١٠، ص٣٥٨-٣٥٩.

(٣) منكلي بغا: أحد مماليك الناصر محمد، ولي نيابة السلطنة سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م ثم عين إتكاباً في العام نفسه، توفي سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٥، ص١٣٧.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٨٣٠-٨٣١.

(٥) بولياك، أ.ن: الاقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان، ترجمة عاطف كرم، دار المكشوف، بيروت، ١٩٤٨، ص٨٨-٨٩. سيشار إليه: بولياك: الاقطاعية.

(٦) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص١٣٦، ٤٣٩؛ ابن الفرات: تاريخ، ج٧، ص٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٥٩، ١٦٥.

Ziadeh, N: Urban life in Syria in the early Mamluk period (Beirut, 1970), P. 25

سيشار إليه: Ziadeh: urban life.

نظير ما حصلوا عليه من اقطاعات وامتيازات، كما حصل سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م[١] وسنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م[٢] وسنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م[٣]، كما كلف بيبرس الأمير عيسى بن مهنا[٤] بالإغارة على التتار من ناحية الأنبار[٥].

وفي أيام قلاوون، شارك العربان في معركة حمص سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م، ضد التتار في ميمنة الجيش، وعُدّت تلك المشاركة من مفاخر آل فضل وآل مرا وآل مهنا وكان اشتراك آل مهنا في هذه المعركة بحوالي ٤٠٠٠ فارس[٦].

وقام العربان إضافة لذلك بتقديم الخيول والجمال للدولة لغايات البريد وغيرها[٧] واشتهرت قبائل آل فضل ومهنا ومُرا بتقديم الخيول أيام الناصر محمد بن قلاوون الذي شغف كثيراً بخيول هؤلاء العربان، ومنحهم الاقطاعات والعطايا

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج٥، ص٨٢٧، ٩٣٦؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٦٥؛ بولياك: الاقطاعية، ص٣٨؛ الحياري، مصطفى: الإمارة الطائية في بلاد الشام، عمان، ١٩٧٧، ص٩٠. سيشار إليه: الحياري: الإمارة الطائية.

(٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص١٤٩، ١٨٢؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٦٥.

(٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص١٩٤.

(٤) الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا، أمير آل فضل ملك العرب في زمانه، نال الحظوة البالغة عند السلطان بيبرس وقلاوون الذي ملّكه تدمر.

اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م): ذيل مرآة الزمان، ٤ج، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٥٤-١٩٦١، ج٤، ص٩١. سيشار إليه: اليونيني: ذيل.

(٥) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٤٥٦؛

Trition: The tribes in Sryia in the fourteenth and fifteenth centuries (B.S.O.A.S.,XII, 1948), P. 568.

سيشار إليه: Trition: the tribes

(٦) المنصوري: زبدة الفكر، ورقة ١٥٨ب، اليونيني: ذيل، ج٤، ص٩١. وعن مشاركات العربان الأخرى، انظر: ابن أيبك: الدرر الفاخر، ص١١٥؛ أبو الفداء: المختصر، ج٦، ص١١٢، ج٧، ص٩٦-٩٧؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج١، ص٢٤٦؛ ابن الفرات: تاريخ، ج٨، ص٥٢.

(٧) ابن أيبك: الدرر الفاخر، ص١١٦؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٨١، ج٢، ق٢، ص٥٢٥-٥٢٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٦٧، ج١٠، ص١٣٢.

مقابل ذلك[١].

وفي وسط بلاد الشام قام أمراء بيروت بمهام الدرك[٢] وحماية الثغور، إذ التزم أمراء الغرب بني بحتر من تنوخ لبنان بحفظ الثغور في صيدا وبيروت، والتجسس على أخبار العدو[٣]، وقامت العشير[٤] بحماية الثغور[٥]، واستخدم الظاهر بيبرس جماعة منهم ورتبهم في حصن الكرك سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م، إلا أنه نفاهم من الحصن بعد ثورتهم فيه[٦].

واشترك التركمان في جيوش المماليك[٧]، وأسكنهم الظاهر بيبرس مع قبائل كردية في سواحل بلاد الشام لحمايتها من الفرنجة[٨] وعندما ظفر الناصر محمد بن قلاوون بكسروان في لبنان سنة ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م أعطى شريط الساحل من شمالي بيروت إلى جنوبي طرابلس لـ ٣٠٠ من التركمان اقطاعاً لهم مقابل حمايتها من التجسس الفرنجي[٩].

كما استخدمت عناصر كردية في جيش المماليك، وهي قبائل محاربة من بقايا

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢٥؛ السلوك، ج٢، ص٥٢٥-٥٢٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٦٧؛ الحياري: الإمارة الطائية، ص٩٢؛
Ayalon, D: The system of payment in the Mamluk military society (J.E.S.H.O (1) Brill, 1958), P. 264.

سيشار إليه: Ayalon: the system

(٢) الدرك: حماية الأطراف والثغور في الدولة؛ طرخان: النظم، ص٤٨٢.

(٣) الشدياق، طنوس: أخبار الأعيان في جبل لبنان، تحقيق فؤاد البستاني، بيروت، ١٩٧٠، ٢ج، ج١، ص٢١٩، ٢٢٢. سيشار إليه: الشدياق: أخبار الأعيان؛ طرخان: النظم، ص١٩٨.

(٤) العشير: اسم أطلق على بدو الشام وعلى سائر الدروز؛ طرخان: النظم، ص٤٩٨.

(٥) بولياك: الاقطاعية، ص٤٤.

(٦) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٣٥-١٣٦.

(٧) المنصوري: زبدة الفكر، ورقة ١٥٨ب، ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص١٤٩، ٤٣٦؛ أبو الفداء: المختصر، ج٧، ص٢٠؛ ابن الفرات: تاريخ، ج٧، ص٣٤؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٨١؛ العيني: عقد الجمان (٦٦٥-٦٨٨هـ)، ص٢٧٤.

(٨) المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٥٦٥؛ بولياك: الاقطاعية، ص٣٧؛ العريني: المماليك، ص٧٣.

(٩) الشدياق: أخبار الأعيان، ج١، ص٣٠؛ بولياك: الاقطاعية، ص٣٧-٣٨؛ طرخان: النظم، ص١٩٨؛
Ziadeh: Urban life, P. 46

المالك الأيوبية السابقة[١] ومن أشهر طوائفهم الأكراد الشهرزورية[٢] التي استقرت في أوائل عصر المماليك في سواحل بلاد الشام، ثم قدموا إلى القاهرة أيام الظاهر بيبرس إلا أن مؤامرتهم لاغتياله أدت به إلى تشريدهم، ولم تبق منهم إلا فئة قليلة شاركت في فتنة الشجاعي وكتبغا في سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م[٣].

٣- الرتب والمرتّبات

تشكل رتب الجيش عند المماليك أحد أهم تنظيماتهم العسكرية، وهي تعبر عن دقة مراتب الجيش المملوكي وامتيازاتها، وما ارتبط بها من أنظمة المرتبات التي خصصت للجيش من اقطاعات ونفقات ومخصصات، والتي كانت توزع حسب تلك المراتب.

أ- الرتب:

عرف المماليك في بداية حكمهم نظام الرتب العسكرية التي ينتقل فيها المملوك بعد تأميره في مراتبها المختلفة، وهي أربع رتب أعلاها رتبة «إمرة مائة مقدم ألف»، ثم «إمرة طبلخاناه»، ثم «إمرة عشرة» ثم «إمرة خمسة»[٤].

أما نظام الترقية في سلم هذه الرتب فقد خضع في هذه الفترة لاعتبارات عدة، فهي أيام السلاطين الأوائل أمثال بيبرس وقلاوون إعتبارات موجبة للترقية كالأقدمية والكفاءة العسكرية، فالسلطان قلاوون إهتم بتدرج مماليكه في سلم الترقية «من

---

(١) Ayalon: Mamulk Military, P. 29 , Ziadeh: Urban Life, P.25 , Poliak: The Influnce, P.867.

(٢) الأكراد الشهرزورية: يسنبون إلى مدينة شهرزور في كردستان، قدموا دمشق سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م هرباً من هولاكو وكان عددهم ٣٠٠ فارس مع نسائهم وأولادهم تنقلوا في الخدمة عند بعض الملوك الأيوبيين ثم استقروا في سواحل بلاد الشام؛ العريني: المماليك، ص٧٣.

(٣) زترستين: تاريخ، ص٣٠؛ ابن الفرات: تاريخ، ج٨، ص١٨٠؛ المقريزي: المقفى، ج٢، ص٣٤٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٤٤؛ العريني: المماليك، ص٧٣؛ Ayalon: wafidiya, P.97.

(٤) انظر عن الرتب العسكرية الفصل الرابع من هذه الدراسة.

الجامكيات (الرواتب) إلى الاقطاعات، ومن المفاردة[١] إلى إمرة العشرات ثم إلى الطبلخانات، ومنهم من انتقل إلى تقدمة الألوف وإمرة المئين»[٢].

ورأى بعض السلاطين في الترقية وسيلة لدعم حكمه الجديد، فعندما تسلطن لاجين سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م «أنعم على جماعة كثيرة من خشداشيته[٣] بتقادم ألوف وعلى جماعة منهم باقطاعات سنيّة فتم أمره في السلطنة وخضع له العسكر»[٤].

أما السلطان الناصر محمد بن قلاوون فقد رأى أن الترقية السريعة هي السبيل إلى تعلق المملوك بالسلطان والإخلاص له، فعاب على من تقدمه انتهاج أسلوب الترقية البطيئة في مدارج الرتب[٥]، وعبّر الأمير سيف الدين قوصون عن هذا التوجه عندما نال الترقية السريعة من أستاذه الناصر محمد وقال: «أنا ما تنقلت من الإسطبلات إلى الطباق بل اشتراني السلطان وجعلني خاصكياً مقرباً عنده دفعة واحدة»[٦].

ولم تخلُ مزاجية بعض السلاطين من التدخل في الترقية، ففي ٨ شوال سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م أنعم السلطان حاجي بن الناصر محمد على أحد المماليك بتقدمة ألف من الجندية دفعة واحدة لحسنه وجماله «فكثر كلام المماليك بسبب ذلك»[٧].

وأصبحت الترقية السريعة شائعة بين الأمراء في أواخر دولة المماليك الأولى، عندما كثر النزاع بين الأمراء والسلاطين، فالأمير طشْتمر اللفاف[٨] رُقّي

---

(١) المفاردة: لفظة ترادف الحلقة، انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٢) العيني: عقد الجمان [٦٦٥-٦٨٨هـ] ، ص٣٨٥.

(٣) الخشداشية: رابطة الزمالة بين المماليك، انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج١، ص٣٩٥.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٢، ص٥٢٥؛ وانظر مثلاً: الصفدي: الوافي، ج١٠، ص٢٩٩؛ مجهول: تاريخ، ورقة ٥٦أ.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٤٧؛ وانظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٣، ص٣٤٢؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٣٠٧-٣٠٨.

(٧) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٧٤١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٥٤.

(٨) الأمير طشتمر اللفاف المحمدي ثار على الأشرف شعبان، وحصل على إتكابة العسكر، توفي قتيلاً في محرم سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٩٠.

بعد وفاة الأشرف شعبان سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م من الجندية إلى إتابكة العسكر[١]، «فعُدَّ ذلك من النوادر»[٢] وترقى الأمير برقوق العثماني من الجندية إلى إمرة طبلخاناه، ثم إلى تقدمة ألف خلال شهرين[٣]، وترقى الكثير من الأمراء إلى أعلى الرتب العسكرية في الفترة [٧٤١-٧٨٤هـ/ ١٣٤٠-١٣٨٢م] من الجندية أو من إمرة عشرة عن طريق الثورات والانقلابات في هذه الفترة[٤].

وجاء نظام التقاعد في دولة المماليك الأولى، أقل وضوحاً من نظام الترقية، إذ لم تحكمه اعتبارات معينة، فلم تكن هناك مثلاً سناً معينة يتقاعد عندها الأمير، وكان طلب الأمير الاعفاء من الخدمة العسكرية مبنياً في غالب الأحوال على اعتبارات صحية، فالأمير بُكتاش الفخري[٥] طلب الاعفاء من الخدمة نتيجة مرضه سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م فلزم داره إلى أن مات عن عمر ثمانين عاماً[٦].

وطلب الأمير كراي[٧] الاعفاء من الخدمة سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م «واعتذر بكثرة أمراضه فأجيب إلى ذلك»[٨] أما الأمير قُندس الناصري[٩] فقد «كف بصره واستعفى فرتب له السلطان ما يكفيه وبقي طرخاناً» وذلك سنة ٧٦٥هـ/ ١٢٦٣م[١٠].

وخضعت أغلب ظروف التقاعد في هذه الفترة لأسباب سياسية، فتزايد

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٤٩-١٥١، ١٩٠، ٢١٤؛ ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص١٨٩-١٩٠.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص١٩٠.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٢٧٨.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢١٤.

(٥) بكتاش الفخري أمير سلاح، من أكابر الأمراء المنصورية (قلاوون)، توفي سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص١٥.

(٦) الصفدي: الوافي، ج١٠، ص١٨٨-١٨٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص١٥.

(٧) كراي المنصوري من مماليك قلاوون، ولي نيابة السلطنة في دمشق وصفد توفي سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٣، ص٣٥٣.

(٨) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٢٧.

(٩) لم أقف له على ترجمة.

(١٠) ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص١١.

نفوذ بعض الأمراء كان مبرراً لإخراجهم من الخدمة عن طريق عزلهم وسجنهم، وكان سجن الإسكندرية الأكثر استخداماً في دولة المماليك الأولى، إذ أرسل إليه أغلب الأمراء المغضوب عليهم[1] إضافة إلى سجون كثيرة أخرى أنشئت لاعتقال الأمراء فيها[2].

وكانت هنالك الكثير من حالات التقاعد المؤقتة في هذه الفترة، يعود الأمير بعدها أو قبل نهايتها للخدمة العسكرية، فالأمير بهادر التركماني[3] سجن سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م، ثم أفرج عنه الناصر محمد بن قلاوون، واختص به وأمّره إمرة مائة[4]، والأمير بشتاك العمري[5]، تأمّر طبلخاناه سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م، ثم عزل عن الخدمة وأعيد إلى مصر بعدها على إمرة مائة[6].

ب- المرتبات:

سار المماليك في بداية حكمهم على نهج الأيوبيين فيما يتعلق بالتوزيع الاقطاعي حسب الروك الصلاحي الذي أجري سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م، والذي قسمت أراضي مصر بموجبه إلى أربعة وعشرين قيراطاً، إختص السلطان منها بأربعة قراريط، وعشرة للأمراء، وعشرة لأجناد الحلقة[7]، واستمر المماليك يعملون به حتى سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٦٧م عندما راك السلطان لاجين أول روك شامل للديار المصرية، حين أثيرت

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٣٣٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص١٥-١٦، ج٣، ص٣٤٣؛ ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٥٤، ٥٦، ٥٧، ١٢٨-١٢٩، ٢٠٢، ٢١١، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٣١، ٢٧٣؛ Ayalon: Mamluk Military, P. 42.

(٢) Ayalon: Mamluk Military, P. 40-41.

(٣) بهادر بن عبد الله التركماني السيفي، من مماليك المنصور لاجين، توفي في شعبان سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٩.

(٤) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٩.

(٥) بشتاك العمري: صهر السلطان الأشرف شعبان، توفي سنة ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص١٠.

(٦) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص١٠.

(٧) طرخان: النظم، ص٩٦.

مشكلة أخذ الأمراء لناتج اقطاعاتهم دون إعطاء مماليكهم حصة منها[1].

وقد أجرى السلطان لاجين في توزيع القراريط تعديلاً مجحفاً أضرّ الجيش، إذ إختص هو بأربعة قراريط، وجمع الأمراء وأجناد الحلقة بعشرة قراريط، وأفرد تسعة قراريط لمن يستجد من العسكر، وترك قيراطاً واحداً لمن يتضرر من قلة إقطاعه[2]، ولم تجد شكوى الأمراء والأجناد أذناً صاغيةً، فكان «هذا الروك سبباً كبيراً في إضعاف الجند بديار مصر وإتلافهم، فإنه لم يعمل فيه طائل، ولا حصل لأحد منهم زيادة يرضاها»[3].

وراك الناصر محمد بن قلاوون الروك الثاني للديار المصرية سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م لتصفية ما حصلت عليه فرقة البرجية من اقطاعات كبيرة[4] ولم يحاول الناصر في هذا الروك أن يُصلح ما فعله السلطان لاجين إذ اختص بعشرة قراريط، وترك للأمراء وأجناد الحلقة معاً أربعة عشر قيراطاً موزعة في أماكن شتى[5] وألغى كثيراً من المكوس التي كانت مقطعة لعدد كبير من الأجناد[6].

وكانت لعمليات الروك نتائجها السيئة على المدى البعيد، وخاصة فيما يتعلق بأجناد الحلقة، فبعد أن قلت مدخولات اقطاعاتها، لجأ أغلب أجناد الحلقة إلى بيع اقطاعاتهم، فشهدت سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م وما بعدها نشاطاً ملحوظاً في هذا المجال، واتخذ تنازل أجناد الحلقة عن إقطاعاتهم صفةً رسميةً عندما أُسُس ديوان البدل في جمادى الأولى سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م للإشراف على ذلك، فاشترت العامة من حرفيين

---

(١) العريني: المماليك، ص١٧٢-١٧٣.

(٢) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج١، ص٨٨؛ السلوك، ج١، ق٣، ص٨٤٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٩٢-٩٣.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٩٥؛ وانظر زترستين: تاريخ، ص٤٥.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٢، ص١٤٩.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج١، ص٩٠؛ العريني: المماليك، ص١٨١.

(٦) المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص١٥٠-١٥٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٤٤-٤٨.

وصنّاع إقطاعات في الحلقة وأصبحوا بموجب ذلك أجناداً فيها[1].

وساعد وباء عام ٧٤٩هـ/ ١٣٨٤م في تنازل أغلب أجناد الحلقة عن اقطاعاتهم، إذ هلك في هذا الوباء الكثير من الفلاحين وأجناد الحلقة، وأصبح الاقطاع الواحد ينتقل من شخص لآخر حتى إلى السابع والثامن، فأخذ أرباب الصنائع والحرف اقطاعات كثيرة في الحلقة[2].

وقرر سلاطين المماليك لأفراد الجيش من أمراء ومماليك مخصصات عينية من لحوم وكساوي وأضاحي وأعلاف، إضافة إلى النفقات النقدية التي اشتملت على نفقة البيعة، ونفقة الحرب، والجامكية الشهرية (الرواتب) للمماليك السلطانية[3].

وجاءت النفقات النقدية منتظمة إلى حد كبير في دولة المماليك الأولى، فكانت نفقة البيعة التي يوزعها السلطان على الجيش عندما يتولى السلطنة توزع حسب الرتب ومن الأمثلة على ذلك نفقة البيعة التي أنفقها السلطان علاء الدين كجك، عندما تسلطن في ١١ صفر سنة ٧٤٢هـ/ ١٣١١م، إذ أعطى كل مقدم ألف ١.٠٠٠ دينار وكل أمير طبلخاناه ٥٠٠ دينار، ولأمراء العشرات لكل منهم ٢٠٠ دينار، ولمقدمي الحلقة ٥٠ ديناراً لكل منهم، ولكل جندي ١٥ ديناراً[4].

وعندما تولى المنصور علي بن شعبان السلطنة في ذي القعدة سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م وزعت نفقة البيعة على المماليك السلطانية لكل مملوك ٥٠٠ دينار، وكان إجمالي هذه النفقة مليون وخمسمائة ألف دينار، صودر بسببها العديد من الكتّاب

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٩؛ عبد الباسط، القاضي زين الدين عبد الباسط الغرسي (ت٩٢٠هـ/ ١٥١٤م): نيل الأمل في ذيل الدول، ٢ج، مخطوط مصوّر ميكروفيلم – مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية – رقم الشريط (٢٨٥، ٦١٠)، ج١، ص٢٣ب. سيشار إليه: الباسط: نيل الأمل.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٧٨٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٢-٢٣؛ Ayalon: The Plauge, P.60, 73.

(٣) انظر الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٧٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٢-٢٣.

والخدّام وفرضت فيها بضائع كثيرة على التجار لدفع ثمنها، ولم يُسمع بمثل هذه النفقة في الدولة التركية[١].

وأنفق سلاطين المماليك البحرية بسخاء على الحملات العسكرية، وقد بلغ متوسط نفقة الحرب في هذه الفترة كما يلي:

أمير مائة	٨٠٠-١٠.٠٠٠ دينار
أمير طبلخاناه	٤٠٠-١٠٠٠ دينار
أمير عشرة	٢.٠٠٠ درهم
مقدم الحلقة	١.٠٠٠ درهم
أجناد الحلقة	٥٠٠ درهم
المماليك السلطانية	٥٠٠ درهم
أجناد؟	٥٠ ديناراً[٢]

وبلغت جامكية المماليك السلطانية في بداية عصر المماليك سبعون ألف درهم شهرياً، ثم ازدادت باستمرار حتى بلغت سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧ مائتين وعشرين ألف درهم شهرياً[٣]، إلا أنه عندما تولى الأمير منجك اليوسفي[٤] الوزارة في ذلك العام، وفّر من جامكية المماليك السلطانية مبلغ ستين ألف درهم شهرياً، ضمن اصلاحاته التي هدفت إلى خفض مصاريف الدولة لتوفير الأموال للخزينة التي كانت تشكو الإفلاس عندما تولى الوزارة آنذاك[٥].

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٣، ق١، ص٢٩٥، وقد بلغ سعر صرف الدينار في هذه النفقة ٢٠ درهماً؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٥٢.

(٢) ابن أيبك: الدرر الفاخر، ص٣٧؛ زترستين: تاريخ، ص٥٨؛ ابن دقماق: الجوهر الثمين، ج٢، ص١٣٠-١٣١؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٦٢-٦٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٢٥٩-٢٦٠، ج٩، ص٧٩، ١٤٦؛ Ayalon: the system, P. 49

(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٤.

(٤) منجك اليوسفي: الأمير الكبير سيف الدين منجك بن عبد الله اليوسفي إتابك العسكر ونائب السلطنة، توفي سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٣٣.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٣٢١.

الدخل الاقطاعي السنوي للجيش في دولة المماليك الأولى حسب الروك الناصري للديار المصرية سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م

فئة الجيش	العدد	الدخل الاقطاعي لكل نفر بالدينار	سعر صرف الدينار	الدخل الاقطاعي لكل نفر بالدرهم	التكاليف (درهم)	الدخل الصافي		عبرة الاقطاع العادي (دينار)
						درهم	دينار	
أمراء ألوف خاصكية	١٠	١٠٠ ألف	١٠ دراهم	١.٠٠٠.٠٠٠	١٠٠.٠٠٠	٩٠٠.٠٠٠	٩٠.٠٠٠	٢٠٠.٠٠٠-٨٠.٠٠٠
أمراء ألوف خرجية	١٤	٨٥ألف	١٠ دراهم	٨٥٠.٠٠٠	٧٠.٠٠	٧٨٠.٠٠٠	٧٨.٠٠٠	٢٠٠.٠٠٠-٨٠.٠٠٠
أمراء طبلخاناه خاصكية	٥٤	٤٠ ألف	١٠ دراهم	٤٠٠.٠٠٠	٣٥.٠٠٠	٣٦٥.٠٠٠	٣٦.٥٠٠	٣٠.٠٠٠-٢٣.٠٠٠
أمراء طبلخاناه خرجية	١٤٦	٣٠ألف	٨دراهم	٢٤٠.٠٠٠	٢٤.٠٠٠	٢١٦.٠٠٠	٢٧.٠٠٠	٣٠.٠٠٠-٢٣.٠٠٠
أمراء طبلخاناه كشاف	١٤	٢٠ ألف	٨دراهم	١٦٠.٠٠٠	١٥.٠٠٠	١٤٥.٠٠٠	١٨.١٢٥	٣٠.٠٠٠-٢٣.٠٠٠
أمراء طبلخاناه ولاة	١٤	١٥ ألف	٨دراهم	١٢٠.٠٠٠	١٠.٠٠٠	١١٠.٠٠٠	١٣.٧٥٠	٣٠.٠٠٠-٢٣.٠٠٠
أمراء عشرات خاصكية	٣٠	١٠ آلاف	١٠ دراهم	١٠٠.٠٠٠	٧.٠٠٠	٩٣.٠٠٠	٩.٣٠٠	٩.٠٠٠ فما دون
أمراء عشرات خرجية	١٧٠٠	٧آلاف	١٠ دراهم	٧٠.٠٠٠	٥.٠٠٠	٦٥.٠٠٠	٦.٥٠٠	٩.٠٠٠ فما دون
أمراء عشرات ولاة أقاليم	٧	٥آلاف	٧دراهم	٣٥.٠٠٠	٣.٠٠٠	٣٢.٠٠٠	٤.٥٧١.٤	٩.٠٠٠ فما دون
أمراء الخمسات	–	–	–	–	–	–	–	٣.٠٠٠
مقدم المماليك السلطانية	٤٠	١٢٠٠	١٠ دراهم	١٢.٠٠٠	١.٠٠٠	١١.٠٠٠	١.١٠٠	–
المماليك السلطانية	٢٠٠٠							
فئة١	٤٠٠	١٥٠٠	١٠ دراهم	١٥.٠٠٠				
فئة٢	٥٠٠	١٣٠٠	١٠ دراهم	١٣.٠٠٠				
فئة٣	٥٠٠	١٢٠٠	١٠ دراهم	١٢.٠٠٠				

فئة الجيش	العدد	الدخل الاقطاعي لكل نفر بالدينار	سعر صرف الدينار	الدخل الاقطاعي لكل نفر بالدرهم	التكاليف (درهم)	الدخل الصافي		عبرة الاقطاع العادي (دينار)
						درهم	دينار	
فئة٤	٦٠٠	١٠٠٠	١٠دراهم	١٠.٠٠٠				
مقدم الحلقة	١٨٠	١٠٠٠	٩دراهم	٩.٠٠٠	٩٠٠	٨.١٠٠	٩٠٠	١٥٠٠ فما دون
نقيب ألف (حلقة)	٢٤	٤٠٠	٩دراهم	٣.٦٠٠	٤٠٠	٣.٢٠٠	٣٥٥٤	–
أجناد الحلقة	٨٩٣٢							
فئة١	١٥٠٠	٩٠٠	١٠دراهم	٩.٠٠٠	–	–	–	٢٥٠ وأكثر
فئة٢	١٣٥٠	٨٠٠	١٠دراهم	٨.٠٠٠	–	–	–	٢٥٠ وأكثر
فئة٣	١٣٥٠	٧٠٠	١٠دراهم	٧.٠٠٠	–	–	–	٢٥٠ وأكثر
فئة٤	١٣٠٠	٦٠٠	١٠دراهم	٦.٠٠٠	–	–	–	٢٥٠ وأكثر
فئة٥	١٣٠٠	٥٠٠	١٠دراهم	٥.٠٠٠	–	–	–	٢٥٠ وأكثر
فئة٦	١١٠٠	٤٠٠	١٠دراهم	٤.٠٠٠	–	–	–	٢٥٠ وأكثر
فئة٧	١٠٣٢	٣٠٠	١٠دراهم	٣.٠٠٠	–	–	–	٢٥٠ وأكثر

المصادر:

- المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٧-٢١٩.
- الأسدي، محمد بن محمد بن خليل (ت بعد ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م): التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار، تحقيق أحمد طليمات، القاهرة، ١٩٦٨، ص٦٩-٧٢. سيشار إليه: الأسدي: التيسير والاعتبار.
- Poliak, A.N. : Some nots on the feudal system of the Mamluk (J.R.A.S 1937), P.103, سيشار إليه: Poliak: some nots
- طرخان: النظم، ص١٥٩-١٦٣.

٤- إدارة الجيش:

أشرف على إدارة شؤون الجيش في دولة المماليك الأولى مجموعة من الدواوين التي قامت على تنظيم الأمور الاقطاعية والمالية، ففي الشؤون الاقطاعية أشرف ديوان الجيش على فئات الجيش المملوكي الثلاث في هذا المجال، كما يعد أكبر الدواوين المختصة بالشؤون المالية[١]، ومنه تصدر الوثائق الخاصة بالتوزيع الاقطاعي على فئات الجيش[٢]، وعرفت دولة المماليك ديوانين للجيش أحدهما خاص بالديار المصرية والآخر خاص بالبلاد الشامية[٣].

ويرأس ناظر الجيش هذا الديوان، وهي وظيفة استحدثها السلطان قلاوون[٤]، ومهمتها «التحدث في أمر الاقطاعات بمصر والشام والكتابة بالكشف عنها، ومشاورة السلطان وأخذ خطه (توقيعه)»[٥]، ويعاون صاحب هذا الديوان العديد من الموظفين الآخرين[٦]، ومن أبرز من تولى هذا المنصب في دولة المماليك الأولى هو القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله المعروف بالفخر[٧] مرتين أيام الناصر محمد بن قلاوون[٨] كما ساعد ديوان الإنشاء هذا الديوان في إصدار المناشير والوثائق الخاصة بالاقطاعات[٩].

---

(١) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م): نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٨، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، د.ت، ج٨، ص٢٠٠-٢٠١. سيشار إليه: النويري: نهاية الأرب؛ Gottschaik: Diwan EI_2 (2), P. 366

(٢) طرخان: النظم، ص١١٩ وما بعدها.

(٣) ابن شاهين: زبدة، ص١٠٣؛ ماجد: نظم، ج١، ص١٣٩.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٣٤٩.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٠؛ ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٣٤٩.

(٦) انظر الفصل الخامس من هذه الدراسة.

(٧) فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش، كان نصرانياً ثم أسلم، تولى نظر الجيش أيام الناصر محمد بن قلاوون مرتين، توفي سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢٩٥-٢٩٦.

(٨) زترستين: تاريخ، ١٥٧.

(٩) طرخان: النظم، ص١٢٢.

ومن الدواوين المتعلقة بالإقطاعات في هذه الفترة، ديوان البدل الذي أنشأ سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م في سلطنة الكامل شعبان بن محمد، فقد فتح الأمير شجاع الدين غرلو[١] باب المقايضة باقطاعات الحلقة والنزول عنها، وأنشأ هذا الديوان للإشراف على هذه التنازلات، إلا أن معارضة الأمراء لموضوع التنازلات أدى إلى إلغاء هذا الديوان في هذه الفترة[٢].

وأنشأ السلطان الناصر محمد بن قلاوون ديوان الخاص، سنة ٧١٨هـ/ ١٣٢٧م، عندما ألغى الوزارة، واختص هذا الديوان بالشؤون المالية للسلطان[٣] وتولى أيضاً الإشراف على ما يقدم للمماليك السلطانية من لحوم وكسوة[٤]، وترأس هذا الديوان ناظراً سمي ناظر الخاص، ويعد شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله الكاتب المعروف بالنشو، أبرز من تولى هذا المنصب سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م، ونال نفوذاً عظيماً أيام الناصر محمد بن قلاوون، وأكثر من المصادرات للكتّاب وأصحاب الأموال، مما أدى إلى القبض عليه ومصادرته من قبل السلطان سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٨م[٥].

وأشرف على الأمور القضائية للجيش في دولة المماليك الأولى، وظيفة قضاء العسكر، وهي امتداد لما كانت عليه في العصر الأيوبي[٦]، وقد مثَّل القضاء في هذه الفترة المذاهب الثلاثة، الحنفي والشافعي والمالكي[٧] وأحياناً نجد القاضي الحنبلي[٨] إلا أنه

---

(١) الأمير شجاع الدين غرلو السيفي، استقر في ولاية القاهرة سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م، ثم ولي وظيفة شد الدواوين، توفي سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م؛ المقريزي: المقفى، ج٢، ص٢٢٤-٢٢٦.

(٢) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٩.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٢؛ Ayalon: The system, P. 286.

(٤) ابن شاهين: زبدة، ص١٠٨؛ حسن، علي إبراهيم: تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧، ص٣٣٥. سيشار إليه: على إبراهيم: تاريخ المماليك.

Gottschiak: Diwan, EI_2 (2), P. 330.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٢، ص٤٧٥-٤٧٦؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٣، ص٤٣.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٦.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٦.

(٨) عاشور: مصر والشام، ص١٥٢.

استثني في الغالب إما لعدم وجود رجل من الحنابلة يصلح لهذا المنصب، أو لعدم وجود حنابلة في جيش المماليك[1].

وتأثر قضاء العسكر في دولة المماليك الأولى بقوانين أليـاسا المغولية، خاصة في أيام الظاهر بيبرس عندما ازدادت هجرات المغول إلى بلاد السلطنة[2] واستمر تأثير أليـاسا في أمور الحكم بين أعضاء الجيش المملوكي فيما بعد، فالأمير أوتامش الأشرفي[3]، كان مغولياً «يحكم في بيت السلطان بين الخاصكية باليسق (أليـاسا) الذي قرره جنكيز خان»[4].

واستحدثت كثيراً من الوظائف الإدارية في بداية عصر المماليك، إذ تأثر السلطان بيبرس بالمغول وقوانينهم (أليـاسا) [5]، فظهرت كثير من الوظائف الإدارية والعسكرية ذات الأصول المغولية، كالدوادارية، والخازندارية، والأمير آخورية، والسراخور، والسقاة والجمدارية ورؤوس النوب وأمير سلاح وأمير مجلس وأمير شكار[6].

كما تحولت بعض الوظائف إلى اختصاص أرباب السيوف من الأمراء[7] واتخذت بعض هذه الوظائف شكلاً جديداً منذ أيام الظاهر بيبرس، ففي حين كانت وظيفة أمير المجلس تعني حراسة مجلس السلطان وفرشه، أصبحت تعني التحدث في أمور الأطباء والكحالين والمجبرين[8]، وتطورت وظيفة الحاجب حتى أصبحت وظيفة

---

(١) على إبراهيم: تاريخ المماليك، ص٣٧٩-٣٨٠.

(٢) Kister: Hadjib EI_2 (3), p. 48.

(٣) الأمير سيف الدين أوتامش الأشرفي، مغولي الجنس، ولي نيابة الكرك أيام الناصر محمد بن قلاوون، توفي سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م؛ الصفدي: الوافي، ج٩، ص٤٤٠.

(٤) الصفدي: الوافي، ج٩، ص٤٤٠.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٨٢-١٨٣.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٨٤-١٨٥، وانظر الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٨٣، ١٨٥.

(٨) المصدر ذاته، ج٧، ص١٨٣-١٨٥.

«جليلة في الدولة التركية»[1]، وأصبح من مهام الحاجب الفصل في خصومات الأجناد، وفقاً لقوانين ألياسا في أيام الظاهر بيبرس الذي اهتم بهذه الوظيفة حتى أصبحت أيام الناصر محمد بن قلاوون تعادل نيابة السلطنة[2].

٥- خاتمة:

يتضح من دراسة بنية وتركيب وإدارة الجيش في دولة المماليك الأولى، تأثير الأوضاع السياسية والعسكرية التي رافقت نشوء دولة المماليك على البنية البشرية لهذا الجيش، إذ يتضح مدى تنوع تركيب الجيش في هذه الفترة من عناصر بشرية متوفرة في المنطقة كالأتراك، أو من عناصر دخيلة مرافقة للغزاة، كالمغول الذين تدفقوا إلى بلاط السلطنة، وشكلوا نسبة كبيرة في جيش المماليك نتيجة توجه بعض السلاطين ذوي الأصول والميول المغولية – للترحيب بهذا العنصر.

ويُعدّ ادخال العنصر الجركسي الذي توفر في أسواق الرقيق آنذاك، نتيجة طبيعية لاستخدامه في جيش المماليك، عندما لمس السلطان قلاوون عدم اطمئنانه إلى العناصر التركية ذات الولاء القوي لبيت الظاهر بيبرس، وهي خطوة شبيهة بما فعله الصالح نجم الدين أيوب عندما استخدم الأتراك ضد نفوذ الأكراد في البيت الأيوبي، والواقع أن تدفق العنصر الجركسي إلى سلطنة المماليك، كان وراء نمو وازدياد نفوذ هذا العنصر في مواجهة الأتراك، والاستمرار في هذه الزيادة حتى أصبح يحتل مركز السيادة في الجيش بدل الأتراك.

ولما كان عصر المماليك امتداداً لعصر الأيوبيين، أخذ المماليك البحرية عن الأيوبيين بعض الأنظمة المتعلقة بفرق الجيش مع اجراء بعض التطوير الملحوظ فيها. كتنظيم الحلقة ونشوء فرقة مماليك الأمراء، التي تشبه نظيرها في الجيش الأيوبي، أما المماليك السلطانية فهي تطوير لفئة مماليك السلطان (الحلقة) أيام الأيوبيين.

---

(١) المصدر ذاته، ج٧، ص١٨٣-١٨٥.

(٢) المصدر ذاته، ج٧، ص١٨٥-١٨٦؛ Kister: Hadjib EI_2 (3), P. 48

وكما أثّر الغزو المغولي وما رافقه من تغيّر سياسي وعسكري في المنطقة على بنية الجيش المملوكي، أثّر كذلك بالمستوى نفسه على تنظيم المماليك لرتب الجيش التي أخذت عن التنظيم المغولي في الغالب، وما يتصل بالرتب من أنظمة الترقية والتقاعد.

وجاءت إدارة الجيش في عصر المماليك في خطوطها العريضة، استمراراً لما كانت عليه إدارة الجيوش الإسلامية سابقاً، وخاصة في العصر الأيوبي فيما يخص الإدارة المالية والاقطاعية في الجيش[1]، وتحت تأثير المغول وقوانينهم، استحدث بعض السلاطين البحرية وظائف إدارية جديدة ذات أصول مغولية، كما تأثر القضاء العسكري بقوانين المغول لوجود عناصر من المغول في جيش المماليك آنذاك.

وسأحاول لاحقاً من خلال الفصول الآتية متابعة دراسة هذه الموضوعات الرئيسة، مبيناً ما طرأ عليها من تطورات أثناء فترة المماليك الثانية.

---

(١) سيتم الحديث بالتفصيل عن إدارة الجيش المملوكي في الفصل الخامس من هذه الدراسة.

الفصل الثاني
البنية البشرية للجيش

١- مصادر الحصول على المماليك

أ- تجارة المماليك

ب- الهدايا والأسرى

٢- عناصر الجيش المملوكي

أ- الجراكسة

ب- الأتراك

جـ- الروم

د- التتار

هـ- العبيد

و- عناصر أخرى

٣- خاتمة

الفصل الثاني

البنية البشرية للجيش

تميز جيش المماليك عن سائر الجيوش الإسلامية الأخرى، بتنوع تركيبه البشري، ففيه عناصر مشتراة من أتراك وجركس وروم وتتار، وعناصر محلية من عربان وتركمان وأكراد[1].

واعتمد الجيش في عصر المماليك على وحدة بشرية هي «المملوك»، وهي محور بنيته البشرية ومؤسساته في ذلك العصر، وجاءت لفظة مملوك من الامتلاك، وأطلقت إطلاقاً عاماً على الرقيق الأبيض[2]، ومع أن المملوك في اللغة يعني العبد[3]، إلا أن فروقاً واضحة تلحظ بين المملوك والعبد، فالعبد يولد من الرقيق الأسود، على حين أن المملوك يولد أبيض غالباً، ومن أبوين حرّين ثم يباع[4].

١- مصادر الحصول على المماليك:

لم يكن المملوك المصدر البشري الوحيد للجيش في هذه الفترة وإن كان أهمها،

---

(١) العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أيمن السيد، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ص٢٧. سيشار إليه: العمري: مسالك؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢١٦؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٢.

(٢) Pool, Lanne: Muhammadan Dynasties, Paris, 1925, P. 80.

سيشار إليه: Pool, Muhammadan

(٣) الباشا، حسن: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٧، ص٥٠٧. سيشار إليه: الباشا: الألقاب.

(٤) ماجد: النظم، ج١، ص١١.

فهناك عناصر بشرية أخرى لم يجرِ عليها الرق كأبناء المماليك والعناصر الوافدة التي دخلت الجيش بمحض اختيارها، وتنوعت مصادر الحصول على المماليك، فالغالبية العظمى جاءت عن طريق تجارة المماليك، وقلة جاءوا عن طريق الهدايا التي كانت تقدم للسلطان من الأمراء وملوك الدول المجاورة، إضافة إلى أسرى الحروب.

أ- تجارة المماليك:

لما كان المماليك المجلوبون إلى مصر وبلاد الشام هم عماد القوة البشرية لجيش المماليك، فإن دولة المماليك حرصت منذ نشأتها على تنشيط تجارة المماليك واستمرارها، وساعد على ذلك عدة عوامل لعل أهمها ما أشيع بين التجار عما يحصل عليه هؤلاء المماليك من امتيازات في الجيش، وتدرجهم في الرتب حتى الوصول إلى السلطنة أحياناً، إضافة إلى اهتمام أغلب السلاطين بتجار المماليك[1]، ومن العوامل الأخرى انتشار الأوبئة مثل الطاعون في المناطق التي يجلب منها المماليك، واعتقاد الأهالي بأن بيع أبنائهم للتجار أفضل من تركهم لتلك الأوبئة[2] إضافة إلى الحروب والغارات التي كانت تشنها الجيوش الغازية على مواطن المماليك كغارات التتار على قبائل القبجاق[3]، وغارات الخوارزمية على مواطن الجركس[4] وغزو تيمور لنك لشمال القوقاز[5].

واشتهر الأوروبيون بتجارة المماليك، وعلى رأسهم الجنويون الذين سيطروا على تجارة البحر الأسود بعد أن ساندوا الإمبراطورية البيزنطية في استرداد القسطنطينية عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م واحتكروا تجارة الرقيق في حوض البحر الأسود[6] وأنشأوا مستعمرة

---

(١) ماجد: نظم، ج١، ص١٣.

(٢) ضومط، أنطون: الدولة المملوكية، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨١، ص٢٥. سيشار إليه: ضومط: الدولة المملوكية.

(٣) المنصوري: زبدة الفكرة، ورقة ٥٠أ-ب؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٥٥.

(٤) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٤١.

(٥) Glubb, Jhon: Soldier of Fortune, New York, 1973, P. 260.

سيشار إليه: Glubb: Soldier

(٦) العريني: المغول، ص٣٢٣.

«كافا» التي كانت أكبر سوق للرقيق في ذلك الوقت على ساحل بحر القرم أو أزوف «بلاد سوداق»[(١)].

وفي هذه المدينة كان يجري بيع الأب لابنه، والأخ لأخيه «معتقدين أن الله سيرعى الأطفال حيثما ذهبوا أكثر مما يرعاهم لو كانوا مع آبائهم»[(٢)]، وفيها شاهد طافور عند زيارته لها في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وكلاء لسلطان مصر لشراء المماليك منها[(٣)].

ووصف طافور بدقة كيف يُباع الرقيق في هذه المدينة بقوله «أن يجرد العبيد – ذكوراً أم إناثاً – من كل ما عليهم من الثياب، ثم يطرحون عليهم عباءة من اللّباد ويعلنون عن الثمن وبعدئذ يخلعون الغطاء عنهم، ويدعونهم يسيرون جيئة وذهاباً ليرى الناس إن لم يكن ثمّ عيب جسماني، ويقطع البائع على نفسه عهداً برد ثمن العبد لشاريه إن مات العبد بالطاعون في مدى ستين يوماً، وإذا تنوعت جنسيات الرقيق، وكان من بينها تتاري أو تتارية زيد الثمن بقدر الثلث، إذ من الثابت المقرر أن لم يحدث أن خان تتاري مولاه»[(٤)].

وقُدّرت أعداد المماليك الذين جلبهم التجار الأجانب إلى مصر بحوالي ألفي مملوك سنوياً[(٥)]، جاء بهم هؤلاء التجار عن طريق البحر إلى دمياط والإسكندرية والقاهرة[(٦)] ثم يباع الرقيق في أسواق خصصت لهذا الغرض، مثل خان مسرور الذي كان قبل بنائه ساحة يباع فيها الرقيق[(٧)] ويجاوره حجرتان للرقيق ودكة للمماليك «كانت

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٦٠-٤٦١؛ ماجد: نظم، ج١، ص١٢؛
Ascenus Barcoch, P.64.

(٢) طافور: بيرو: رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، ١٩٦٧، ص١٣٤. سيشار إليه: طافور: رحلة.

(٣) طافور: رحلة، ص١٣٤.

(٤) طافور: رحلة، ص١٣٤.

(٥) ضومط: الدولة المملوكية، ص٢٦.

(٦) ماجد: نظم، ج١، ص١٢.

(٧) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٩٢.

موضعاً يجري فيه بيع المماليك الترك والروم إلى أيام الظاهر برقوق ثم أبطل ذلك»[١].

ويوجد كذلك دكة المحتسب لمراقبة ما يباع ويشترى من الرقيق، التي ظلت قائمة حتى سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٥٥م[٢]، وأنشأ السلطان الغوري سوقاً جديداً في شوال سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م لبيع الرقيق بجوار خان الخليلي وأبطل السوق القديم[٣].

وعمل بعض تجار المماليك لحساب السلاطين وأطلق عليهم ألقاب خواجا[٤] أو تاجر المماليك أو تاجر السلطان[٥] أو «الخواجكية تجار الخاص الشريف»[٦]، وهؤلاء التجار كانوا حلقة الوصل بين أسواق الرقيق والسلاطين المماليك، لذا فقد تمتعوا بمكانة هامة عند هؤلاء السلاطين ولقوا كل أنواع الحفاوة والتكريم[٧]، إضافة إلى المسامحة من المكوس والمقررات عن ما يباع منهم من المماليك[٨].

ويساعد تاجر المماليك ما يسمى بـ«دلاّل المماليك»[٩] في البحث عن المماليك وجلبهم[١٠] وهي الوظيفة التي يشرف عليها تاجر المماليك نفسه تحت اسم «معلم الدلاّلين»[١١].

وعرضت المصادر أسماءً للعديد من تجار المماليك الخواجات، عند حديثها عن

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج١، ص٣٧٤.

(٢) العريني: المماليك، ص٨١.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٤٠٤-٤٠٥، ج٥، ص٩٤.

(٤) خواجا: لقب يعني تاجر أو معلم؛ دوزي، رنيهارت: تكلمة المعاجم العربية، ترجمة محمد النعيمي، بغداد، ١٩٨٠-١٩٨٢، ج٤، ص٢٢٧. سيشار إليه: دوزي: تكملة. وهو في تعريف القلقشندي يعني التجار الأجانب؛ صبح الأعشى، ج٦، ص١٣.

(٥) ماجد: نظم، ج١، ص١١-١٢.

(٦) ابن ناظر الجيش: تثقيف التعريف، ورقة ٧٥أ.

(٧) ماجد: نظم، ج١، ص١٣.

(٨) ابن ناظر الجيش: تثقيف التعريف، ورقة ٧٥أ؛ العريني: المماليك، ص٧٧.

(٩) ابن شاهين: زبدة، ص١١٥.

(١٠) ماجد: نظم، ج١، ص١٣.

(١١) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٤٩.

جلب بعض المماليك إلى مصر دون أن تعطي صورة واضحة عنهم[1]، ومن هؤلاء التجار ممن ساهموا في جلب المماليك الجراكسة إلى مصر: الخواجا عثمان بن مسافر (ت٧٨٣هـ/ ١٣٨١م) الذي جلب السلطان برقوق صغيراً من بلاد الجركس وعمل لحسابه عندما كان أتابكاً وجلب له العديد من الجراكسة إضافة إلى والده وأقاربه[2]، وهناك خواجات مثل محمود اليزدي[3]، وكَزْلَك أو كزل[4] وططخ[5] ومحمود بن رستم وغيرهم[6].

وتولى «تجارة المماليك»أحياناً أمراء من أرباب السيوف، من أشهرهم الأمير إينال ضضغ الذي فر إلى بلاد الجركس أيام الناصر فرج ثم عاد إلى مصر أيام المؤيد

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٤٧٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٠، ج١٤، ص١١٥، ١٣٠، ١٣٠-١٣١، ١٤٣، ١٩٥، ج١٥، ص٢٥٨، ٥٣٠، ج١٦، ص٥٨، ٢٧٥، وحوداث الدهور في مدى الأيام والشهور، باعتناء وليم بوبر، كاليفورنيا ١٩٣٢-١٩٣٤، ج٢، ص٣٤٩، سيشار إليه: ابن تغري بردي: حوادث، والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ٤ج، تحقيق محمد أمين، القاهرة، ١٩٨٤-١٩٨٦، ج٢، ص٣٤٧، ٤٣٨، ج٤، ص٦٨، سيشار إليه: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، السخاوي، شمس الدين محمد (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ج، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج٢، ص٢٧٠، ٣٢٨، ج٣، ص٣٣، ٧١، ٣٠٨، ج٦، ص٢٢٨، ج١٠، ص٢٨٩، سيشار إليه: السخاوي: الضوء؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤، ١٩٨، ٣٠٨، ٣٧٩، ج٣، ص٣.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٧٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٠، ٢٢٣؛ مجهول: تاريخ، ورقة ٦٣ب؛ Ascensus Barcoch, P.64.

(٣) العيني: عقد الجمان [٨٢٤-٨٥٠هـ] ، تحقيق عبد الرزاق الطنطاوي، القاهرة، ١٩٨٩، ص١٠٠-١٠١؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٣٠٨؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٥٨، المنهل الصافي، ج٢، ص٤٣٨.

(٥) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٢، ص٣٤٧؛ السخاوي: الضوء، ج٢، ص٤٣٨.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣؛ الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ٢ج، القاهرة، ١٣٤٨هـ ج٢، ص٥٥. سيشار إليه: الشوكاني: البدر الطالع.

شيخ، وعمل تاجراً للمماليك[1] وجلب للمؤيد العديد منهم[2].

ومنذ منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وحتى نهاية دولة المماليك الثانية أصبحت «تجارة المماليك» وظيفة رسمية يسندها السلطان إلى أمير من أمراء الطبلخانات أو العشرات، وقد تولاها العديد من الأمراء الذين ليس لهم تراجم ولا نعرف عنهم سوى أنهم تولوا هذه الوظيفة، مثل الأمير مرجان الرومي الشريفي (ت٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م)[3]، والأمير تاني بك قرا (ت٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م) الذي تولاها سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م[4]، والأشرف جان بلاط (ت٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م) الذي تولاها سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م[5]، والأمير جان بردي (ت٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)[6]، والأمير نوروز (ت٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) تولاها سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م[7] وآخر من تولاها الأمير تمر باي العادلي في رمضان سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م[8].

واهتم كبار السلاطين بجلب المماليك، ويعدّ حجم مشتروات بعض السلاطين من المماليك مؤشراً هاماً على هذا الاهتمام، فقد عُرف عن السلطان برقوق أنه كان يكثر من شراء المماليك[9]، إذ خُلع من السلطنة سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م، وكان لديه نحو ألفي مملوك مشتروات[10]، وعندما توفي بعد سلطنته الثانية سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م ترك من

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٨٠١، ج٢، ص٤٥٨.
(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٥٧.
(٣) السخاوي: الضوء، ج١٠، ص١٥٣.
(٤) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٧، ٤٣.
(٥) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٧٦، ٤٧٢.
(٦) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٣١، ٦٦، ٧٦، ٩٧، ١٠٢، ١٣٣.
(٧) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٩٨، ١٨٤، ١٩٩، ٢١٠، ج٥، ص٤، ٤٨.
(٨) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص١١٠.
(٩) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٤١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٠٧-١٠٨؛ الخالدي، محمد بن لطف الله العمري (ت ق٩هـ/ ١٥م): المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الانشا؛ مخطوط مصوّر ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية، رقم الشريط ٤٤٣٩، ورقة ١٢٦ب. سيشار إليه: الخالدي: المقصد.
(١٠) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٨٩؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٦١٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٨٩.

أربعة إلى ستة آلاف مملوك[1].

وبلغت مشتروات السلطان برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢١-١٤٣٧م) من ألفين إلى ثلاثة آلاف مملوك[2]، هلك منهم عدد كبير في طاعون عام ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م، وسنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م[3]، واهتم قايتباي بشراء المماليك حتى قيل أنه لولا موجات الطاعون التي حدثت في عهده لتكامل عدة مماليكه ثمانية آلاف مملوك[4].

أما فيما يتعلق بأثمان المماليك في أسواق الرقيق، فإن ما ذكرته المصادر عن هذا الموضوع شحيح جداً، ولا يعطي تصوّراً واضحاً عن أسعار الرقيق في ذلك الوقت، وقدّر بعض الباحثين أسعار المماليك في أسواق الرقيق حسب جنسياتهم كالتالي: التتري ١٣٠-١٤٠، الجركسي ١١٠-١٢٠، اليوناني ٩٠، الصربي ٧٠-٨٠ دوكة[5].

أما أسعار المماليك في مصر، فالمعلومات عنها نادرة ومتذبذبة، إذ خضعت أثمانهم لاعتبارات عدة، منها طبيعة المملوك المباع، واهتمام السلطان بشراء المماليك، وقدّر العريني أثمان المماليك في مصر في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي بين ٥٠-٧٠ ديناراً[6].

استمر جلب المماليك استمراراً منتظماً حتى شهد انخفاضاً ملحوظاً منذ النصف الثاني من القرن التاسع الهجري وحتى نهاية دولة المماليك الثانية، فبعد أن كان

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج١، ص٩٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٠٧، وذكر الصيرفي أن مشتروات برقوق بلغت على فترات مختلفة أكثر من عشرين ألف مملوك، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ٣ج، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠-١٩٧٤، ج١، ص٤٩٩. سيشار إليه: الصيرفي: نزهة النفوس.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٠٨، المنهل الصافي، ج٣، ص٢٧٤، ومورد اللطافة، ورقة ٩١ب، النهروالي، قطب الدين المكي الحنفي (ت٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م): الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، نشر وستنفلد، مكتبة الخياط -بيروت، ١٩٦٤، ص٢٠٧. سيشار إليه: النهروالي: الإعلام.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٠٥.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٢٥.

(٥) ضومط: الدولة المملوكية، ص٢٦، الدوكة: عملة إسبانية قديمة.

(٦) العريني: المماليك، ص٨٠.

متوسط أعداد المماليك المجلوبين إلى مصر أيام السلاطين الأوائل يقدر بحوالي ٨٠٠ مملوك سنوياً، انخفض في هذه الفترة إلى ما بين ٢٠٠-٣٠٠ مملوك[١]. ويعود هذا الانخفاض إلى أسباب بشرية تكمن في انخفاض أعداد المماليك في مواطنهم نتيجة جلبهم منها باستمرار، إضافة إلى الأوبئة والأمراض وأسباب سياسية واقتصادية أخرى[٢].

ب- الهدايا والأسرى:

دخلت أعداد من المماليك إلى الجيش المملوكي عن طريق الهدايا التي كانت تقدم للسلطان سواء من ملوك الدول المجاورة، أو من أمراء الجيش ونواب البلاد.

ففي جمادى الآخر سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٢٩م أرسل السلطان العثماني مراد بك إلى السلطان برسباي هدية كان من ضمنها خمسون مملوكاً رومياً[٣] وأرسل السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م هدية إلى السلطان الغوري اشتملت على خمسة وعشرين مملوكاً صغيراً[٤] وهدايا كثيرة أخرى[٥].

وجرت العادة أن يُقدم كبار الأمراء والنواب التقادم (الهدايا) للسلطان، والتي كانت تحتوي غالباً على مجموعة من المماليك، ففي ١٨ ربيع الأول سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م، قدّم الأمير بيدمر نائب الشام[٦] هدية للسلطان برقوق اشتملت على عشرين مملوكاً[٧]، وقدّم الأمير تنم الحسني[٨] نائب الشام عشرة مماليك وعشرة جواري

---

(١) أشتور: الياهو: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٥، ص٣٧٠. سيشار إليه: أشتور: التاريخ الاقتصادي.

(٢) انظر الحديث عن الأتراك والجراكسة فيما بعد.

(٣) العيني: عقد الجمان (٧٢٤-٨٥٠هـ)، ص٣٣٣، وانظر ص٣٠٠ من المصدر ذاته.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٣٨٣-٣٨٤.

(٥) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٢٥٢، ٣٧٥، ٣٧٦، ج٥، ص٦١.

(٦) بيدمر نائب الشام، ملك الأمراء بدمشق، أمر برقوق بمصادرته سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م وقيل توفي في تلك السنة، ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٣.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٣٨.

(٨)سيف الدين تنم الحسني الظاهري برقوق، نائب دمشق، خرج عن طاعة السلطان فرج

جراكسة للسلطان برقوق في تقدمته له في محرم سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م[١].

وفي ١٧ ربيع الأول سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م بعث الأمير بردي الرومي[٢] تقدمة للسلطان برقوق كان من بينها عشرون مملوكا وخمسة طواشية بيض[٣]،وقدّم الأمير دقماق المحمدي[٤] نائب ملطية مجموعة من المماليك هدية للسلطان برقوق، بلغت ثمانية عشر مملوكاً، وزعهم على الطباق، وكان من بينهم الأشرف برسباي الذي تولى السلطنة فيما بعد[٥].

وفي جمادى الأولى سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م قدم الأمير جلبان نائب الشام[٦] للسلطان إينال هدية كان من بينها عشرة مماليك[٧] واحتوت هدية الأمير خاير بك من يلباي نائب حلب[٨] للسلطان قانصوه الغوري في شوال سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م على «مماليك جراكسة نحواً من ثلاثة وأربعين مملوكاً»[٩] إضافة إلى العديد من الهدايا التي

وتقاتل معه فانكسر في سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م، وقتل في تلك السنة؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٤٤-٤٥.

(١) ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٤٨٤، وانظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٦٤.

(٢) تغري بردي الكمشبغاوي الرومي، والد المؤرخ أبو المحاسن، نال الحظوة عند الظاهر برقوق، وكانت له وقائع أيام السلطان فرج، توفي سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٢٩.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٧٥.

(٤) الأمير دقماق المحمدي الظاهري من خاصكية برقوق، ثم أصبح مقدم ألف، ولي نيابة حماة أيام الناصر فرج، أسره تيمور لنك سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، ثم أطلق سراحه، ولي نيابة صفد وحلب سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠٠م، توفي سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٢١٨.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٨٠.

(٦) الأمير جلبان نائب الشام، ولي تقدمة ألف سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٠م، كان أميراً جليلاً خبيراً بالحروب ووقائعها، توفي سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٧٧-٧٨.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٨٠.

(٨) لم أجد له ترجمة.

(٩) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٢٠٠.

قدّمها الأمراء للسلطان والتي ضمت أعداداً من المماليك[1] ومن هؤلاء المماليك من ترقى في الجيش حتى وصل السلطنة مثل برسباي وجقمق وطومان باي وغيرهم[2].

أما فيما يتعلق بالأسرى، فلم يُدخل المماليك في جيوشهم من أسرى الحروب مع جيرانهم في دولة المماليك الثانية إلا مرة واحدة، عندما أمر السلطان برسباي بعرض أسرى غزوة قبرص الثانية في شوال سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م، واشترى الأمراء والعامة أعداداً منهم[3]، وكان من بينهم «جماعة كثيرة وصاروا أمراء وخاصكية»[4]، منهم الأمير تغري برمش السيفي[5] والأمير قراجا بردبك.

٢- عناصر الجيش المملوكي

أ-الجراكسة

يمثل الجركس في جيش المماليك العنصر صاحب السيادة الأول طوال الفترة الثانية، وكان ذلك ثمرة جهود الكثير من السلاطين الذين جلبوا هذا العنصر بأعداد كبيرة إلى بلاد السلطنة.

والجركس أو الجهاركس لفظ أعجمي يعني «الرجال الأربعة»[6] بمعنى القبائل الجركسية الأربع الرئيسة «سركس، أركس، كسا، آص»[7] وهي القبائل التي

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٧، ج١٦، ص٧٨؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٩٩، ج٣، ص٤٠٤، ج٤، ص٢٥٢، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٩٤.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٨١، ص١٩٩، ج٣، ص٤٠٤، ٤٣٨، ج٥، ص١٠٢.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٨١؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٠٩.

(٤) ابن أياس: بدائع، ج٢، ص١٠٩.

(٥) تغري برمش السيفي: تأمر عشرة أيام خشقدم، توفي سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٣٤.

(٦)المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٨٧؛ Poliak, The Influence, p.867.

(٧)عزت، يوسف: تاريخ القوقاز، دار صوت النارتين للنشر، د.ت، ص٨١. سيشار إليه: عزت: تاريخ القوقاز؛ در: جركس، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ج٦، ص٣٤٨، والتعليقات على المقال نفسه، وسيشار لهذا المقال فيما بعد: در: جركس

تندرج تحتها الفروع والأفخاذ القوقازية الأخرى[1].

والجراكسة من أقدم الشعوب التي سكنت المناطق الممتدة شمالي نهر (ترك) حتى نهر الدون والفلجا، وعلى ساحلي بحر آزوف (آزاق)[2] وشغلوامنطقتين كبيرتين شمالي القفقاس، وهما بلاد الجركس الشمالية التي تتكون من حوض نهر (ترك)، وبلاد الجركس الجنوبية التي تتكون من حوض نهر (قوبان) وبعض سواحل البحر الأسود[3].

وقد تعرض الجراكسة في مواطنهم لغارات الخوارزمية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي الذين اعتدوا عليهم وقتلوا أعداداً كبيرة منهم وسبوا نساءهم وجلبوهم رقيقاً إلى مختلف الأقطار، ودخلوا الجيش المملوكي ابتداء من عصر السلطان قلاوون[4].

ويعدّ السلطان برقوق المؤسس لدولة المماليك الجراكسة، إذ عمل منذ أن كان أتابكاً للعسكر في أواخر دولة المماليك الأولى، على جلب الجراكسة من بني جنسه إلى بلاد السلطنة، وعمل على جركسة الدولة والجيش، وكان هذا واضحاً عندما جلب والده وأقاربه من بلاد الجركس سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨١م[5]، وتابع السلطان برقوق اتجاهه هذا بعد أن تسلطن، إذ عمل على أن يكون العنصر الجركسي صاحب الغلبة في الدولة والجيش على باقي العناصر الأخرى، وخاصة الأتراك منهم، فشهد عصره جلب المماليك والأقارب من بلاد الجركس شمل حتى «عجائز الجراكسة» والنساء من مختلف الأعمار[6].

---

(١) العيني: السيف المهند، ص٢٦-٢٧، والروض الزاهر، ص٥.

(٢) عزت: تاريخ القوقاز، ص٥٩، ٨٤؛ در: الجركس، ج٦، ص٣٣٧.

(٣) عزت: تاريخ القوقاز، ص٧-٨.

(٤) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٤١؛ النهروالي: الإعلام، ص١٨٥-١٨٦.

(٥) ابن إياس: بدائع، ج١، ق١، ص٣٠٩.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٥، وانظر: ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٣٣؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص١٧٤.

وانطوت سياسة برقوق على خطورة واضحة تمثلت في تفضيل الجراكسة على باقي العناصر الأخرى في الجيش، إذ عمل على إحلال الجراكسة محل الأتراك في قيادة الجيش والوظائف[1]، مما أدى إلى قيام الأتراك بالعديد من الثورات في سلطنته الأولى (٧٨٤-٧٩١هـ/ ١٣٨٢-١٣٨٨م)[2].

وتعد ثورة منطاش (٧٩١-٧٩٥هـ/ ١٣٨٨-١٣٩٢م)، أخطر ثورة تركية واجهها السلطان برقوق وكلفته عرشه، وقد انضم إلى هذه الحركة الكثير من الأمراء الأتراك المنفيين إلى بلاد الشام، بعد أن تمكن الثائر من استمالتهم، ومنهم يلبغا الناصري التركي الذي أرسله السلطان لإخضاع الثورة، وتمكن الثوار من دخول القاهرة، وخلع السلطان برقوق وإعادة حاجي بن شعبان إلى السلطنة في ٦ جمادى الآخر سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م[3].

وأدى انسحاب السلطان برقوق من القلعة واختفاؤه عن الثوار، إلى جعل الأمير يلبغا الناصري يتتبع حركة الجراكسة بالاعتقال في كل مكان خشية الالتفاف على أستاذهم المخلوع، في الفترة بين ٦-٢٦ جمادى الآخرة سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م ونفى عدداً كبيراً منهم إلى الاسكندرية ووزع بعضهم لخدمة السلطان حاجي وكبار الأمراء[4].

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٧-١٩٧٠، ج٢، ص٩٢. سيشار إليه: ابن حجر: أنباء الغمر.

(٢) انظر الحديث عن الأتراك فيما يلي من هذا الفصل.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٧٣، ٥٩٠-٥٩١، ٦٢١، ٦٢٣؛ ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر بن محمد (ت٨٥١هـ/ ١٤٤٨م): تاريخ ابن قاضي شبهة، ج٣، تحقيق عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٧٧، ص٢٧٥. سيشار إليه: ابن قاضي شبهة: تاريخ.

- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٦٣-٢٦٦، ٢٧٠-٢٧٦، ٢٨٠.

(٤) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٩٣، ٩٥، ٩٦، ١٠١، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٣١؛ ابن قاضي شبهة: تاريخ، ج٣، ص٢٨١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٢٠، ٣٢١-٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٧.

واعتقد الناصري أن نفي السلطان برقوق إلى الكرك سوف يُضعف شأن الجراكسة، وأن لا ضرر من بقاء بعضهم ممن أمن جانبهم في خدمة السلطان حاجي، إلا أن أحداث الصراع بين منطاش والناصري في شعبان سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م - لاستبداد الأخير بأمور الدولة واستحواذه على السلطان -، تُظهر أن هؤلاء الجراكسة وقفوا إلى جانب منطاش أملاً منهم في عودة أستاذهم إلى السلطنة، وفي إعادة وضعهم السابق بعد أن وعدهم منطاش بذلك(١).

ورأى منطاش - بعد تغلبه على الناصري - في الجراكسة خطراً يهدده، خاصة وأن برقوق ما زال حياً في منفاه، فسعى إلى التنكيل بهم، ولم يفِ بالوعود التي قطعها على نفسه تجاههم، فقام في النصف الأول من شهر رمضان سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م بتتبّعهم وتشديد الطلب في أثرهم، واعتقل قسماً منهم في أبراج القلعة، ونفى قسماً آخر خارج القاهرة(٢).

واشتط منطاش في التنكيل بالجراكسة بعد الأخبار التي وصلته عن خروج السلطان برقوق من الكرك، وتقدمه لاستعادة حكمه في أواسط رمضان سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م(٣)، فتتبع الجراكسة في كل مكان وسجن كثيراً منهم، ونفى آخرين في أواخر ذلك العام(٤)، وأوصى نوابه بانتهاج هذه السياسة بعد أن خرج من مصر لحرب السلطان برقوق في بلاد الشام في أوائل عام ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م(٥).

وشكل المماليك الجراكسة المنفيين في بلاد الشام، ورقةً رابحةً استغلها السلطان

---

(١) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص١١٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٣٣، ٣٣٤.

(٢) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص١٣٠؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٤٩-٦٥١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٤٣، ٣٤٤؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٥٧-٦٦٦.

(٤) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص١٥٩؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٥٨.

(٥) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص١٨٤-١٨٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٦٦.

برقوق في حركته لإستعادة عرشه، إذ انضم إليه الأمراء والمماليك الجراكسة هناك، واستطاع أن يحتل دمشق، ثم هزم منطاش في منتصف محرم سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م[١]، وعاد إلى القاهرة مظفراً وخلع حاجي من السلطنة، وتسلطن هو في صفر سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م[٢].

عاد السلطان برقوق إلى السلطنة، وهو مصمم على سياسته السابقة نحو الجراكسة والعناصر الأخرى في الجيش، إذ قام بإعادة الجراكسة إلى وظائفهم وإمراتهم السابقة[٣].

ويتضح من مقارنة أعداد «مشتروات» السلطان برقوق عندما خلع من السلطنة سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م البالغ ألفي مملوك[٤] وأعدادهم عندما توفي سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م البالغ بين ٤-٦ آلاف مملوك[٥] أنه زاد عدد مماليكه في سلطنته الثانية نحو ثلاثة آلاف مملوك على أقل تقدير، ومع أن هذه الأرقام التي تذكرها المصادر لا تبين جنس هؤلاء «المشتروات»، فإن ما ذكره القلقشندي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) الذي كتب موسوعته (صبح الأعشى) سنة ٨١٢هـ/ ١٤١٢م من أن الجراكسة في زمانه كانوا «أكثر الأمراء والجند» مقارنة بغيرهم من العناصر الأخرى كالأتراك[٦] تُشعر بأن الغالبية العظمى من هؤلاء «المشتروات» هم من الجركس.

وظل الجركس العنصر المفضل لدى السلطان برقوق في الجيش حتى سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م، ففي هذه السنة ثار عليه أحد الأمراء الجراكسة من المقربين إليه، وممن نالوا العناية والاهتمام الكبير[٧]، إذ استغل الأمير علي باي

---

(١) ابن دقماق: الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٧٦؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٦٦-٦٦٨.

(٢) Ascensus Barcoch, P.159؛ حكيم: قيام، ص٩٢.

(٣) حكيم: قيام، ص٩٢.

(٤) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٨٩؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٦١٦.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج١، ص٩٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٠٧.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٥٨.

(٧) حكيم: قيام، ص١١٢.

الخازندار[1] خروج السلطان برقوق للاحتفال بوفاء النيل في ١٩ ذي القعدة من ذلك العام، وتمارض في بيته وانقطع عن الخروج مع السلطان حتى يثور عليه، إلا أن السلطان تمكن من إخماد الثورة باستخدام المماليك السلطانية وقَتل الأمير الثائر[2].

وأدت ثورة علي باي إلى فقدان السلطان برقوق ثقته بالجراكسة، وندم على الإكثار منهم على حساب العناصر الأخرى في الجيش[3]، وعلى عدم التفاته إلى نصيحة زوجته خوند الكبرى أرد[4]، التي كانت تحذره من اقتناء المماليك الجراكسة وتقول له «اجعل عسكرك أبلق من أربعة أجناس تتر وجركس وروم وتركمان تستريح أنت وذريتك»[5].

حاول السلطان برقوق أن يغيّر من سياسته تجاه الجراكسة، وظهرت بوادر ذلك في أواخر أيامه، إلا أن مجيء هذا التغير في أواخر سلطنته وازدياد عدد ونفوذ الجراكسة جعل مثل هذا التغيّر لا يظهر واضحاً[6].

وعندما تولى فرج بن برقوق السلطنة في شوال سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م، استغل الجراكسة سن السلطان الجديد، وسعوا إلى السيطرة على أمور الدولة، فتميز عهد هذا السلطان بصراعه مع الجراكسة، ففي الوقت الذي عين فيه الأمير الكبير أيتمش البجاسي[7]، أتابكاً للسلطان فرج، فإن الخاصكية بقيادة الأمير

---

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) العيني: عقد الجمان (حوادث ٧٩٩-٨٣٠هـ) مخطوط مصوّر ميكروفيلم، مكتبة الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات، رقم الشريط ١٥٤٤، ورقة ٩ب-١١أ، سيشار إليه: العيني: عقد الجمان (مخطوط).

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٠٧-١٠٨.

(٤) لم أجد لها ترجمة.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٨٨.

(٦) حكيم: قيام، ص١١٢-١١٣.

(٧) الأمير أيتمش البجاسي الجركسي أتابك العسكر أيام برقوق، نال الحظوة عنده، وقاد العسكر المتوجه لقتال الناصري ومنطاش، قتل سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م؛ السخاوي: الضوء، ج٢، ص٣٢٤.

يشبك الشعباني[1] لم يرق لها أن يستحوذ هذا الأمير على السلطان، فحثت السلطان على طلب الترشيد [إعلان بلوغ السلطان سن الرشد] من الأمير أيتمش، فتم له ذلك ثم نجحوا في طرد ذلك الأمير من القلعة[2]، مما أدى إلى نشوب نزاع بين حزب الأمير أيتمش وحزب يشبك استمال فيه أيتمش جماعة من المماليك الأتراك والأروام[3] إضافة إلى الجراكسة، وحاول أن يضعف جانب يشبك فنادى «من قبض مملوكاً جركسياً وأحضره إلى الأمير أيتمش يأخذ عريه (سلاحه ومتاعه)»[4]، الأمر الذي جعل من معه من الجراكسة يتخلون عنه مما عجل بهزيمته في سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م[5].

وتدل أحداث سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م على أن الجراكسة لم يكونوا راضين عن سلطنة فرج، فعندما خرج السلطان إلى بلاد الشام لقتال تيمور لنك في ذلك العام، ترك قسم كبير من الأمراء والمماليك الجيش في دمشق في جمادى الأولى، وعادوا إلى مصر لسلطنة أحد الأمراء الجراكسة، مما جعل السلطان يعود بسرعة إلى مصر لإحباط هذه المحاولة، وترك دمشق لقمة سائغة لتيمور لنك[6].

على أن النزاع بين الجراكسة والسلطان فرج بدا واضحاً في سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م عندما طلب الأمراء والمماليك الجراكسة من السلطان فرج أن يسلمهم بعض المماليك الروم ممن اختص بهم، نظراً لصلته بالروم من جهة أمه الرومية، وزواجه من إبنة

---

(١) الأمير يشبك الشعباني الأتابكي الظاهري برقوق، رقّاه أستاذه برقوق إلى تقدمة ألف والخازندارية، وكان له دور كبير في أحداث هذا الصراع، توفي سنة ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م؛ السخاوي: الضوء، ج١٠، ص٢٧٨-٢٧٩.

(٢) ابن حجر: أنباء الغمر، ج٤، ص١٠٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٠٦-١٠٧.

(٣) العيني: عقد الجمان (مخطوط)، ورقة ٢٨أ؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج٤، ص١٠٦-١٠٧.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٣، ص٩٨٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٨٧.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٨٧؛ ابن إياس: بدائع، ج١، ق/ ق٢١، ص٥٥٥.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٣٠-٢٣١.

الأمير تغري بردي الرومي، مما جعل الجراكسة يقلقون على مصيرهم من ازدياد نفوذ الروم[1].

ولما كان الجراكسة مُصَمِّمين على التخلص من الأروام، فإن اختفاء بعض المماليك منهم[2] والجهود الكبيرة التي بذلت للإصلاح بين السلطان والجراكسة، وما عمله السلطان فرج من إطلاق سراح بعض الجراكسة من السجون[3] لم يؤدِ إلى نزع فتيل الأزمة، حتى ظهر الأمير تغري بردي واستمع لمطالب الجراكسة التي تركزت على خروجه من مصر، ونفذ مطلبهم هذا فتوجه إلى القدس في صفرسنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م[4].

وتحقق السلطان فرج من نية الجراكسة تجاهه، عندما حاول أحد المماليك الجراكسة خنقه في الحمام وهو في حاله سُكر، لولا أن خلصه أحد المماليك الروم في ربيع الأول سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م، ولما شكى للجراكسة هذه الفعلة، لم يكترثوا بها وعدّوها ممازحة له[5] فأخذ «يذم الجراكسة وهم قوم أبيه وشوكة دولته وجل عسكره ويتعصب للروم وينتمي إليهم»[6]، ورأى السلطان فرج في الاختفاء خير وسيلة للتخلص من سطوة الجراكسة، فاختفى في ذلك الشهر[7].

واعتقد الجراكسة أنه بتولية عبد العزيز بن برقوق السلطنة (ربيع الأول – جمادى الآخر سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، سيتم استبعاد العنصر الرومي الذي مال إليه السلطان فرج، إلا أن عودة فرج للسلطنة ثانية في جمادى الآخر سنة ٨٠٨هـ/

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص١١٧٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٢٥.
(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٢٥.
(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٢٥-٣٢٦.
(٤) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٣، ص١١٧٤.
(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٢٩.
(٦) ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٧٣٣.
(٧) العيني: عقد الجمان (مخطوط)، ورقة ٧٥أ- ب؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٢، ص٣٢٩.

١٤٠٥م[١]، أدت إلى انتهاج سياسة جديدة قام بها السلطان فرج ضد الجراكسة تمثلت باضطهاد دموي لم يسبق له مثيل مارسه هذا السلطان تجاه الجراكسة في السنوات (٨١٤-٨١٥هـ/ ١٤١١-١٤١٢م) إذ قتل أعداداً كبيرة منهم، وكان يذبحهم بيديه كالغنم[٢]، وقيل أنه قتل في شهري رجب وشعبان سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م ما يزيد على مائة وخمسة وثلاثين مملوكاً منهم[٣]، وقتل في شوال من العام نفسه ما يزيد على مائة منهم، ورماهم من سور القلعة إلى بئر معطلة هناك[٤].

وقيل أنه قتل في سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م وحدها ستمائة وثلاثين جركسياً[٥]، وبلغ مجموع من قتله السلطان فرج من الجراكسة في تقدير ابن إياس حوالي ألفي مملوك[٦]، وقد التمس بعض المؤرخين العذر للسلطان فرج في سياسته تلك، فقد دافع عنه ابن تغري بردي وابن إياس، ورأوا أن سياسته تجاه الجراكسة كانت آخر وسيلة استعملها معهم، بعد أن كان يعفو ويصفح عن كثير منهم، وهم يعادونه ويخرجون عن طاعته مراراً[٧].

والواقع أن الجراكسة لم يكونوا راضين عن سلطنة فرج، رغم أنه ابن أستاذهم، ويبدو أن ذلك يرجع إلى ما لمسه الجراكسة من تغيّر السلطان برقوق تجاههم في أواخر أيامه، وخشيتهم من أن يستغني عنهم، خاصة بعد أن اتضحت بوادر إهتمام السلطان فرج بالروم، ولذا لم يتردد الجراكسة في أن يحاولوا ترشيح جركسي من بينهم للسلطنة بدل السلطان فرج حتى ولو كان من الأجناد[٨] كما خرجوا عليه كثيراً في بلاد الشام،

---

(١) العيني: عقد الجمان (مخطوط)، ورقة ٧٥ب-٧٦أ.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٨١٢.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص١٨٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٢٦.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص١٩٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٢٨.

(٥) حكيم: قيام، ص١١٤.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٨٢٠.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٥٠، ١٥٣؛ ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٨٢٠.

(٨) السخاوي: الضوء، ج٦، ص٢٢٩.

حتى أنه خاض ضدهم ستة حملات بين (٨٠٢-٨١٥هـ/ ١٣٩٩-١٤١٢م) [١]، ولما كان الجراكسة أصحاب الغلبة عدداً ونفوذاً في الجيش آنذاك فإنهم تمكنوا من الإطاحة بالسلطان فرج وقتلوه في سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م[٢].

وعرف عن السلطان برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٣-١٤٣٧م) ميله إلى جنس الجراكسة، ورغم أن ذلك الميل لم يكن علناً حتى لا تنفر منه العناصر الأخرى كما يذكر ابن تغري بردي[٣]، فإن السلطان برسباي، اهتم اهتماماً كبيراً بجلب أقاربه الجراكسة إلى مصر، ففي سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م، قدمت إلى القاهرة جماعة من أخوته وأقاربه من بلاد الجركس[٤]، وأرسل الأمير قانم من صفر خجا[٥] إلى بلاد الجركس لإحضار أقاربه في حدود سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٩م، وأنعم عليهم بالوظائف والإمرات[٦] حتى تميز عهده بارتفاع شأن عدد كبير من الجراكسة في الوظائف والإمرات دون النظر إلى كفاءتهم[٧].

وظهرت في عهد السلطان قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٧-١٤٩٥م) حركة نشطة في جلب الجراكسة الأقارب، ففي سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م وصلت إلى القاهرة أخت السلطان ومعها عدة نساء من بلاد الجركس[٨]، وفي سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٧٩م وصل

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٣٥؛ العيني: عقد الجمان (مخطوط): ورقة ٧٢أ-٧٣أ، ٧٨ب-٧٩أ، ٩٠أ-٩٥ب.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) المصدر ذاته، ج١٥، ص١٠٨.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٦٤٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٥٩.

(٥) الأمير قائم من صفر خجا الجركسي، اشتراه المؤيد وأعتقه وصار خاصكياً في أيام ابنه وأرسله الأشرف برسباي لتلك المهمة، ثم صار أتابك العسكر، توفي سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م؛ السخاوي: الضوء، ج٦، ص٢٠٠.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٩١؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٧، ٦٣٠، ج٦، ص٢٠٠-٢٠١، ٢١٨.

(٧) العريني: المماليك، ص٦٩.

(٨) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٨٢.

عدة أقارب للسلطان مع الأمير قانصوه الألفي[1]، الذي توجه إلى بلاد الجركس لهذه المهمة[2]، وفي سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م قدم أخو السلطان ومعه أولاده فرحب بهم قايتباي وأنزلهم في فرقة المماليك السلطانية[3].

وتابع السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠٠-١٥١٦م) اتجاه السلطان قايتباي في جلب الجراكسة الأقارب، كما حدث سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م[4]، وسنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م[5]، وفي صفر سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، عندما أرسل السلطان مملوكاً من الخاصكية ليشتري بعض أقارب السلطان، الذين جاؤوا من بلاد الجركس وأسرهم بعض ملوك التتر[6].

وقد دلّ جلب الجراكسة الأقارب إلى مصر منذ منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي على حدوث تحول في جلب هؤلاء المماليك، من تجارة تتبنى جلب الصغار منهم لتعليمهم فنون الحرب في الطباق، إلى هجرة عشوائية شملت مختلف الفئات العمرية من رجال ونساء ودخولهم الجيش دون سابق تعليم أو تدريب[7] كما حصل في رجب سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م إذ قدم مماليك جراكسة كبار وكثر فسادهم في دمشق ثم توجهوا إلى مصر[8] ثم تكرر ذلك في صفر سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م[9].

---

(١) الأمير قانصوه الأشرفي قايتباي ويعرف بالألفي، ترقى إلى أن صار أحد الأمراء المقدمين توفي بعد سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م؛ السخاوي: الضوء، ج٦، ص١٩٩.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص١٥٨.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ص٣٠٨.

(٤) المصدر ذاته، ج٣، ص٨٨.

(٥) المصدر ذاته، ج٤، ص٤٣٣.

(٦) المصدر ذاته، ج٤، ص٤٤٥-٤٤٦.

(٧) انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٨) ابن طولون، شمس الدين محمد (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م): مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ٢ق، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٦٢-١٩٦٤، ق١، ص٣١٧. سيشار إليه: ابن طولون: مفاكهة الخلان.

(٩) ابن طولون: مفاكهة الخلان، ق١، ص٣٨٢.

وأدى جلب المماليك الجراكسة طوال عصر دولة المماليك الثانية وبهذه الصورة العشوائية في أواخره، إلى انخفاض ملحوظ في جلب الجراكسة إلى مصر، إذ عدّها بعض الباحثين مع حدوث الأوبئة في مواطن الجراكسة، السبب الرئيس في هذا الانخفاض(١)، ويرى أيالون أن استنفاذ القوى الشبابية في سهول القوقاز بهذه الصورة المفرطة أدت إلى تأثيرات مستقبلية على تناسل أهالي تلك السهول(٢)، كما أن موجات الطاعون التي حدثت في مصر في هذه الفترة كان لها تأثير كبير على جلبهم(٣).

إضافة إلى ذلك أثرت حوادث الصراع بين المماليك والعثمانيين في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجري/ الخامس والسادس الميلادي، على جلب المماليك إلى مصر، إذ فهم العثمانيون جيداً أن جلب المماليك الجراكسة باستمرار إلى مصر يدعم النشاط العسكري للمماليك، لذا، فقد أخذوا في اعتراض تجار المماليك(٤) ففي سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م، عقد صلح بين المماليك والعثمانيين، اشترط فيه قايتباي على العثمانيين اطلاق سراح التجار الذين يقومون بجلب المماليك إلى مصر(٥)، وفي ربيع الآخر سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، أرسل السلطان سليم العثماني رسالة ترضية إلى السلطان الغوري الذي خرج لملاقاته في ذلك الوقت، عبّر فيها عن عدم مسؤولية العثمانيين عن توقف تجار المماليك عن جلب المماليك إلى مصر(٦).

وأدى الصراع العثماني المملوكي في مصر أيام السلطان طومان باي (٩٢٢-٩٢٣هـ/ ١٥١٦-١٥١٧م) إلى انخفاض أعداد المماليك الجراكسة انخفاضاً واضحاً(٧)، ولم يبق منهم في أواخر عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م إلا خمسة آلاف مملوك في تقدير ابن

---

(١) Ayalon: Mamluk EI_2, (6), p.316; Glubb: Soldier, p.264.

(٢) Ayalon: Mamluk, EI_2, (6), p.316.

(٣) Ayalon: the plague, p.67.

(٤) Ayalon: Mamluk, EI_2, (6), p.315.

(٥) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٦٦؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٣٨٦ب.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٤٥.

(٧) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص١٤٧-١٤٩، ١٥٠-١٥١، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٤-١٦٥، ١٧١-١٧٢، ٢٠٧-٢٠٨.

إياس[1]، انضموا إلى الجيش العثماني وانخرطوا فيه[2].

ب- الأتراك:

ظل العنصر التركي يمثل الأساس في بنية الجيش في دولة المماليك الثانية، فلم يكن انتقال السلطنة إلى الجراكسة يعني غياب الأتراك عن فعاليات الجيش، إذ تدل أحداث عصر السلطان برقوق أن الأتراك كانوا يشكلون نسبة كبيرة في الجيش عدداً ونفوذاً.

ورغم نجاح السلطان برقوق في الوصول إلى السلطنة ونقلها للجراكسة، إلا أن سياسته نحو إضعاف العنصر التركي لا زالت في بدايتها، إذ واجه في سلطنته الأولى (٧٨٤-٧٩١هـ/ ١٣٨٢-١٣٨٨م) معظم الأتراك الذين تمثلوا في اليلبغاوية الذين ينتمي إليهم، والأشرفية مماليك السلطان الأشرف شعبان[3].

وتعدّ سياسة السلطان برقوق نحو الترك وراء كثير من المشاكل التي أثارها هؤلاء الترك ضده، إذ تخلى عن سياسة التخطيط البطيء حين كان أتابكاً، وانتهج في سلطنته سياسة جديدة تمثلت في سرعة التخلص من الأتراك بالنفي والاعتقال[4]، فقام في سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م، و٧٨٥هـ/ ١٣٨٣، بعزل بعض الأشرفية عن وظائفهم واخراج اقطاعاتهم إلى مماليكه من الجراكسة، وأمر بتتبعهم ونفيهم خارج مصر[5].

ويبدو أن عدد الأتراك اليلبغاوية الكبير في الجيش جعل السلطان برقوق يتردد في موقفه تجاههم، فقام بتعيين بعضهم في الوظائف كسباً لودهم[6] خاصة وأن أغلبهم

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٢٢٤.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٥، وقام محمد علي باشا بقتل من بقي من المماليك في مذبحة القلعة سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م.

(٣) حكيم: قيام، ص٦١.

(٤) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج١، ص٩٥.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٧٩، ٥٠٠، ٥٠١؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٤٩-٥٠.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٧، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٢.

وافق على سلطنته[1]، إلا أن الترك أدركوا ما يسعى إليه برقوق من احلال الجراكسة مكانهم في الجيش، وما تمثله هذه السياسة من خطورة واضحة عليهم فشهدت السنوات الأربعة الأولى من حكم السلطان برقوق (٧٨٤-٧٨٧هـ/ ١٣٨٢-١٣٨٥م) مجموعة من الثورات التي عبّر فيها الأتراك عن رفضهم لسلطنته، مما دفع برقوق إلى أن يشتط في قمع المماليك الأشرفية، فعزل عدداً كبيراً منهم عن وظائفهم ونفاهم إلى بلاد الشام سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م[2]، وقام أيضاً في شوال من ذلك العام بنفي عدد منهم إلى قوص[3] وأخرج عدداً منهم في محرم سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م إلى خارج القاهرة بعد محاولتهم اغتياله وهو في الميدان[4].

وأخذ السلطان برقوق يشك في نوايا كبار الأمراء اليلبغاوية، خاصة بعد أن أصبحت بلاد الشام تضم أعداداً كبيرة من الأتراك المنفيين، فقبض على أكبر زعمائهم الأمير يلبغا الناصري نائب حلب، والأمير الطنبغا الجوباني في سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م[5].

وتعد ثورة منطاش (٧٩٠-٧٩٥هـ/ ١٣٨٨-١٣٩٢م) أعنف رد فعل تركي ضد سياسة الجركسة، تلك الثورة التي ضمت في البداية المماليك الأشرفية الأتراك المنفيين في بلاد الشام، وأعلنت عصيانها في أوائل عام ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م[6].

---

(١) حكيم: قيام، ص٦١.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٥، ص١٠١٧-١٠١٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٩، ٢٣٤-٢٣٥؛ حكيم: قيام، ص٦٢-٦٣.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٣٣٧.

قوص: مدينة واقعة على الشاطئ الشرقي للنيل في الصعيد الأعلى، وهو اليوم قاعدة مركز قوص أحد مراكز مديرية قنا.

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ٢٨٢، هامش (١).

(٤) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٤٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٤٢؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص١٢٨.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٤١-٢٤٢.

(٦) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٥، ص١٣٤، ١٣٥؛ أنباء الغمر، ج٢، ص١٥٣.

وقد ساعد على انتشار الثورة ونجاحها، موقف السلطان برقوق منها، إذ اعتمد في اخضاع ثورة الأتراك على الأتراك أنفسهم عن طريق يلبغا الناصري واليلبغاوية، ولما كانت نوايا برقوق واضحة تجاه الترك، فإن الناصري لم يكن جاداً في اخضاع منطاش، ولما حاول برقوق التخلص منه، انضم الناصري إلى الثورة، فاتحدت اليلبغاوية مع الأشرفية ضد الجراكسة[1].

وقف السلطان برقوق موقفاً دفاعياً ضعيفاً تجاه الثوار، إذ احتفظ بعدد كبير من الجراكسة في القاهرة لحمايته، واكتفى بإرسال جيش من خمسمائة مملوك لقتال جيش الثوار الذي يعد بالآلاف، فتمكن الأتراك بمساندة التركمان والعربان من تحطيم الجراكسة في ٢١ ربيع الآخر سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م[2].

ولما كان عدد الأتراك المشاركين في الثورة كبيراً جداً، فإن أغلب الجراكسة في مصر آثروا التسلل إليهم أثناء زحفهم إلى القاهرة، بعد أن ظهرت بوادر نهاية حكم السلطان برقوق، حتى أضحى برقوق في قلة من أنصاره، فلم يصمد أمام الثوار واختفى تاركاً القلعة للثوار فاحتلوها في جمادى الآخر سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م[3].

ورغم نجاح الأتراك في الإطاحة بحكم السلطان برقوق، إلا أن إعادة السلطان حاجي للسلطنة في ذلك الشهر، تدل على حدوث انقسام في صفوف الترك، إذ رفض الناصري أن يتسلطن لعلمه أن الأشرفية ومن انضم إليهم من

---

(١) ابن صصري، محمد بن محمد (ت٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م): الدرر المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق وليم بيرنر، كاليفورنيا، ١٩٦٣، ص٣-٤، سيشار إليه: ابن صصري: الدرة المضيئة؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٩١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٥٤، ٢٥٦- ٢٥٨؛ المنهل الصافي، ج٤، ص٩٦.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٦١٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٨١؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٢٠٧.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٦١٣-٦١٥؛ ابن قاضي شبهة: تاريخ، ج٣، ص٢٧٣-٢٧٥؛ Ascensus Barcoch, P.153.

الجراكسة لن يرضوا عن ذلك، فاكتفى أن يكون أتابكاً للعسكر[1]، كما أن منطاش ومن معه من الأشرفية لم يرضوا عن استبداد الناصري واليلبغاوية بأمور الدولة واستحواذهم على الإمرات والإقطاعات، مما أدى إلى حدوث انقسام بين الفرقتين، قادهما إلى نزاع استخدم فيه منطاش بقايا المماليك الجراكسة، الذين وعدهم بعودة أستاذهم إلى السلطنة، إضافة إلى الأشرفية والعامة، ونتج عن هذا النزاع هزيمة الناصري واعتقاله في شعبان سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م، واستبداد منطاش بأمور الدولة[2].

أما السلطان برقوق الذي نفاه الثوار إلى الكرك، فقد سانده العربان وأهل الكرك بعد محاولة منطاش قتله، كما استغل برقوق المماليك الجراكسة المنفيين الذين انضموا إليه، وشاركوا في المعركة التي خاضها ضد منطاش على شقحب[3] في محرم سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م[4]، وبالتالي استعاد برقوق حكمه، بعد أن تم تطهير القاهرة من الأتراك على يد الموالين له فيها من الجراكسة[5].

وبدا السلطان برقوق في سلطنته الثانية (٧٩٢-٨٠١هـ/ ١٣٨٩-١٣٩٨م)، أكثر حكمة في سياسته تجاه الترك، إذ استغل حدة الخلاف بين الأشرفية واليلبغاوية الذين سجنهم منطاش، وأنعم عليهم بالإمرات والوظائف،

---

(١) ابن صصري: الدرة المضيئة، ص١٩؛ ابن قاضي شبهة: تاريخ، ج٣، ص٢٧٧؛ السخاوي: ذيل دول الإسلام، ٢ق، مخطوط مصور ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية، رقم الشريط ٥٤٦، ق١، ورقة ٩٤ب، سيشار إليه: السخاوي: ذيل.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٤١-٦٤٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٣٢-٣٤٠؛ المنهل الصافي، ج٤، ص٩٧؛ مجهول: تاريخ، ورقة ٦٤ب؛ Ascensus Barcoch, P. 154-155.

(٣) شقحب، قرية في الشمال الشرقي من غباغب يقال لها «تل شقحب» وهي من ضواحي دمشق. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٦٧، هامش (١).

(٤) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٩٤-٦٩٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٦٩، ٣٧١؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج١، ورقة ١٥٢أ.

(٥) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص١٩٤؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٠١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٧٧؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٢٨٥.

وعلى رأسهم يلبغا الناصري والطنبغا الجوباني[1].

وأرسل السلطان برقوق جيشاً لقتال منطاش في بلاد الشام غالبيته من الأتراك اليلبغاوية، بقيادة يلبغا الناصري[2] في الوقت الذي كان فيه منطاش يجمع التركمان والعربان بقيادة نعير بن حيار[3] إضافة إلى من معه من الأشرفية استعداداً لذلك[4].

وأخذ جانب منطاش يضعف بعد ذلك بتسلل كثير من أنصاره الأشرفية إلى مصر والالتجاء للسلطان برقوق[5]، وحاول الناصري أن يثبت حسن نيته للسلطان برقوق في قتاله منطاش، فعندما ثار عدد من الأتراك اليلبغاوية في دمشق أثناء توجهه لقتال منطاش في مدينة سلمية[6] عاد لقتالهم وأفنى عدداً كبيراً منهم في رجب سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م[7].

ونجحت خطة السلطان برقوق في ضرب الترك ببعضهم أثناء القتال بين منطاش ومن معه من الأشرفية والعربان، وبين الأتراك اليلبغاوية بقيادة الناصري والجوباني في رجب سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م، حيث هزم منطاش وقتل عدد كبير

---

(١) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٥، ص٢١٧؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص٣٠٦-٣٠٧، ٣١٨؛ Ascensus Barcoch, P. 159

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٩؛ المنهل الصافي، ج٣، ص٣١٩؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٣٠٠؛ حكيم: قيام، ص٩٤.

(٣) هو محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا أمير آل فضل، ساند هذه الثورة مساندة قوية، توفي سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م، السخاوي: الضوء، ج١٠، ص٢٠٣-٢٠٤.

(٤) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٢١٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٤-١٥؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٣٠٩.

(٥) حكيم: قيام، ص٩٤-٩٥.

(٦) سلمية: بليدة من أعمال حماة.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٥، هامش (١).

(٧) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٢٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٥؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٣١٠.

من الجانبين[1]، وسُر السلطان برقوق بتلك النتائج، وأرسل مزيداً من الأتراك إلى جيش الناصري[2]، إضافة إلى ذلك نجح الناصري في اعتقال نحو ألف ومائتي فارس تركي من الأشرفية بدمشق في محرم سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م، بعد أن تودد إليهم وتظاهر بعصيانه للسلطان برقوق[3]، وكل هذه التحولات تشعر بقوة الخلاف بين الأشرفية واليلبغاوية، وسرعان ما قام السلطان برقوق بالتنكيل بالأتراك الذين تسللوا من منطاش إلى مصر[4] فأثار بذلك شكوك الناصري من سياسته وأدرك الناصري أن مصير اليلبغاوية لن يكون بأفضل من مصير الأشرفية، إلا أنه لم يجرؤ على العصيان لفقدانه عدداً كبيراً من الأتراك اليلبغاوية في صراعه مع منطاش، واكتفى بعدم الجدية في قتال منطاش، وتجنب الاشتباك معه[5].

ونظراً للشكوك التي أثيرت حول الناصري، فقد قرر السلطان برقوق التوجه إلى بلاد الشام بناء على طلب الناصري، فغادر مصر في شعبان سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م، بعد أن قام بعزل عدد كبير من الأتراك عن مناصبهم وولى مكانهم جراكسة[6]، كما قام في الشهر نفسه بالقبض على عدد من المماليك الأتراك البطالين بالقاهرة، وأمر بضرب أعناقهم في الصحراء[7].

وتحققت شكوك السلطان برقوق حول موقف الناصري، عندما دبر

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٦؛ حكيم: قيام، ص٩٦.

(٢) حكيم: قيام، ص٩٦.

(٣) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق٢، ص٢٦٢-٢٦٣؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٤٢-٧٤٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٧-١٨.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٧-١٨؛ حكيم: قيام، ص٩٧.

(٥) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق٢، ص٢٦٢-٢٦٤؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٤٢-٧٤٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٣؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٣٣٠.

(٦) حكيم: قيام، ص٩٩.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٦.

الأخير هروب منطاش بعد القبض عليه على يد سالم الدوكاري التركماني[1] عندها لم يتردد السلطان في قتل الناصري في ذي القعدة سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م[2].

وعندما غادر السلطان برقوق إلى مصر في محرم سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م، عزل من بقي من الأتراك عن وظائفهم، وجعل مكانهم جراكسة وخصهم بالاقطاعات[3]، واستمر منطاش ومن معه من الأشرفية والعربان في بلاد الشام، حتى جاءت نهايته في رمضان سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م[4].

تُعد ثورة منطاش خاتمة الصراع التركي الجركسي في جيش المماليك، الذي استمر زهاء قرن كامل (٦٩٤-٧٩٥هـ/ ١٢٨٤-١٣٩٢م) وتمثل هذه الثورة رد فعل الأتراك ضد جركسة الدولة على حسابهم، ورغم الروح العنصرية التي سادت الثورة، واستمالة الأتراك المنفيين لبقايا الأتراك المعتقلين في مصر ضد الجراكسة[5]، فإن هدفهم كان الإطاحة بالسلطان، ولم يكن اضطهادهم للجراكسة نابع من اتجاه عنصري بقدر ما هو إجراء لإضعاف هذا السلطان، والدليل على ذلك أن الإجراءات التي اتخذها الثوار في البداية ضد المماليك الظاهرية، شملت الجراكسة والأتراك على حد سواء[6]، كما أن إبقاء الناصري على أعداد من الجراكسة ممن أمن جانبهم في خدمة السلطان حاجي، واستمالة منطاش لهؤلاء في نزاعه مع الناصري ما يؤيد ذلك.

---

(١) أمير تركماني لم أجد له ترجمة.

(٢) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق٢، ص٢٦٩-٢٧١؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٥١-٧٥٣؛ ابن صصري: الدرة المضيئة، ص١٠١؛ ابن دقماق: الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٨٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٠-٣١؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٣٣٦-٣٣٧.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٦، ٣٨؛ حكيم: قيام، ص١٠٢.

(٤) ابن دقماق: الجوهر الثمين، ج٢، ص٢٨٥-٢٨٦؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٨٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٤١-٤٥؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٣٦١.

(٥) حكيم: قيام، ص٧.

(٦) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٩٣، ٩٦.

ورغم نجاح ثورة منطاش في إعادة مركز الأتراك في الجيش ولو لفترة قصيرة، إلا أنها كانت وبالاً عليهم، إذ ذهبت أرواح أعداد كبيرة من الأمراء والمماليك الأتراك في المعارك التي دارت خلال سنوات الثورة (٧٩٠-٧٩٥هـ/ ١٣٨٨-١٣٨٢م)[١].

ولم يكن اضطهاد السلطان برقوق للترك يعني أنه لم يكن مهتماً بشرائهم، إذ ترد تراجم كثير من الأمراء الأتراك الذين اشتراهم، وترقوا إلى بعض المناصب في الجيش[٢]،ومنهم منطاش نفسه الذي اشتراه من أولاد الأشرف شعبان سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م[٣]، وأنه جمع إضافة إلى الجراكسة عناصر تركية ورومية[٤].

انخفضت أعداد الترك بعد عصر السلطان برقوق انخفاضاً ملحوظاً، عبّر عنه القلقشندي الذي كتب موسوعته «صبح الأعشى» سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م بقوله «وقلت المماليك الترك من الديار المصرية حتى لم يبق منهم إلا القليل من بقاياهم وأولادهم»[٥].

ورغم ما عرف عن المؤيد شيخ من ميل إلى الأتراك، حتى إن أكثر أمرائه كانوا منهم[٦]، فإن تعيينه للأمير الطنبغا القرمشي التركي[٧]، أتابكاً لابنه أحمد الذي تسلطن في ٩ محرم سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م تُشعر بقلة أعداد الترك في عهده، لأن هذا الأمير كان «من

---

(١) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص١٧٢، ١٧٦، ١٨٠، ١٨٣، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ج٩، ق٢، ص٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠.

(٢) انظر مثلا: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٣٦، ٢٣٦، ٣٥٩-٣٦٠، ج١٥، ص١١٢-١١٣، ٢١٨، ٤٧٧، ٥١٧-٥١٨، ٥٢٥-٥٢٦، ج١٦، ص٢١٥.

(٣) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٥، ص١٣٤.

(٤) الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٤٩٩.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٥٨.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١١٢.

(٧) الأمير الكبير سيف الدين الطنبغا بن عبد الله القرمشي الظاهري أتابك العسكر، كان حسن السيرة، قتل في سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٣٦.

جنس غير جنس القوم»[1]، وبالتالي لن يخشى طمعه في السلطنة.

ولا تُسعف الإشارات القليلة المتناثرة عن الأتراك، والتراجم القليلة لأمرائهم[2]، بعد عهد المؤيد شيخ في إعطاء تصور عن حجم الأتراك في جيش المماليك، مما يُشعر بانخفاض أعداد الترك.

ولظاهرة انخفاض أعداد الترك في جيش المماليك أسبابها، فبالإضافة إلى ما مُني به الترك من إبادة على يد السلطان برقوق، فإن جلب الأتراك أصابه انخفاض كبير في ذلك الوقت، إذ أن حروب تيمور لنك وغاراته على بلاد القَبْجاق[3] أدت إلى إيقاف جلب العناصر التركية إلى مصر[4]، كما انخفضت أعداد السكان في سهول القبجاق بسبب استمرار جلب الأتراك منها، حتى سميت مواطن القبجاق في نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي بـ«الحقل المقفر» نتيجة تلك الهجرة[5]، إضافة إلى أن طاعون عام ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م في مصر أفنى عدداً كبيراً من المماليك الأتراك[6].

ورغم تراجع العنصر التركي أمام الجركس في دولة المماليك الثانية، فإن الأتراك ظلوا يشكلون في نظر بعض المؤرخين الأساس في بنية جيش المماليك، فهم يعدون سلاطين دولة المماليك الثانية من جراكسة وأروام أتراكاً بالدرجة الأولى[7]، كما استخدم ابن إياس مصطلح الأتراك أكثر من الجراكسة للدلالة على

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢١٧؛ العريني: المماليك، ص٦٩.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٦١، ٢١٧، ج١٦، ص١٥٠، ٣١٦.

(٣) في سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣ أرسل ملك القبجاق رسالة للسلطان برقوق يطلب منه المساعدة في صد هجوم تيمور لنك على بلاده، ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق٢، ص٣٨١-٣٨٢.

(٤) حكيم: قيام، ص١١١؛ Glubb: Soldier, p.264

(٥) Poliak: The Influence, P.864.

(٦) العيني: عقد الجمان (٨٢٤-٨٥٠هـ)، ص٣٧٩.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢١، ج١٢، ص١٦٨، ج١٣، ص٤١، ج١٤، ص١، ١٦٧، ١٩٨، ٢١١، ٢٤٢، ج١٥، ص٢٢٢، ٢٥٦، ج١٦، ص٢٣، ٥٧، ٢١٨، ٢٥٣، ٣٥٦، ٣٧٣، ٣٩٤.

دولة المماليك وجيشها في حوادث النصف الثاني من دولة المماليك الجراكسة[1].

ج- الروم:

يأتي الروم في المنزلة الثالثة بين عناصر جيش المماليك[2]، ومصدرهم غير معروف على وجه التحديد، فهم إما من أصول أوروبية (يونانية) كما هو الحال بالنسبة إلى السلطانين خشقدم وتمربغا الروميان[3] أو من أراضي الإمبراطورية البيزنطية[4]، أو من بلاد الدولة العثمانية الرومية، إذ تدل الهدايا التي قدمها بعض سلاطين آل عثمان لسلاطين مصر[5]، ومنها هدية السلطان مراد بك إلى السلطان برسباي في جمادى الآخر سنة ٨٣١هـ/١٤١٧م، والتي احتوت على خمسين مملوكاً رومياً[6] على أن أراضي الدولة العثمانية شكلت مصدراً هاماً للعنصر الرومي في جيش المماليك[7].

ظهر الروم على مسرح الأحداث أيام السلطان فرج، الذي مال إلى مماليك

ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣، ٦٣، ٧٠، ٧٦، ٨١، ١٩٠، ١٩٨، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٧، ٣٦٩، ٣٧٨، ٤٠٥، ٤٧٦، ج٣، ص٣، ٣٢٥، ٣٣٢، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٣٨، ٤٦٣، ج٤، ص٢، ٢٩٧، ج٥، ص١٠٢.

(١) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٠٤، ٣٦٤، ٤١٩، ج٣، ص٧٨، ٢٣٢، ٣٦٥، ٣٧٠، ٤١٤-٤١٥، ٤١٦، ج٤، ص٩٢، ١٠٦، ١١١، ١٢٥، ١٣٣، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٧١، ج٥، ص١٠٥، ١٤٢، ١٧١.

(٢) Ayalon: Mamluk, EI_2, (6), P. 316.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٧٦، هامش (٣)
أشتور: التاريخ الاقتصادي، ص٣٧١.

(٤) Ziadeh: Urban Life, P. 26.

(٥) العيني: عقد الجمان (٨٢٤-٨٥٠هـ)، ص٣٠٠، ٣٣٣؛ ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٣٨٣-٣٨٤.

(٦) العيني: عقد الجمان (٨٢٤-٨٥٠هـ)، ص٣٠٠.

(٧) عدّ ابن إياس السلطان العثماني سليم خان ثالث سلطان رومي يحكم مصر بعد خشقدم وتمربغا.
بدائع، ج٥، ص١٥١.

أبيه من العنصر الرومي[١]، فاهتم بهم وولى العديد منهم الوظائف والإمرات[٢]، ورغم ضآلة الروم مقارنة بالجركس، فإن الجراكسة لم يسمحوا بتقدم الروم عليهم، وخشوا من سيطرة بعض الأمراء الأروام الذين اختص بهم السلطان، وعلى رأسهم الأمير تغري بردي، والد المؤرخ أبو المحاسن الذي تزوج السلطان من ابنته[٣]، على أن الأمور تأزمت بين الجراكسة والروم سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م، عندما طلب الأمراء الجراكسة من السلطان فرج تسليمهم بعض المماليك والأمراء الأروام ممن اختص بهم[٤] وحاولوا قتله في الحمام سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م، لولا أن أنقذه أحد المماليك الأروام[٥]، فأعلن تعصبه للروم ومقته للجراكسة[٦].

والواقع أن نفوذ الروم انتهى بمقتل السلطان فرج سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م[٧]، وتدل التراجم القليلة للأمراء الأروام[٨]، على أن هذا العنصر استمر قلة قليلة في الجيش، كما تدل تولية السلطان خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/ ١٤٦٠-١٤٦٨م) أول سلطان مملوكي رومي على ضآلة أعداد الروم، إذ اتفق الأمراء على

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٦٨، ج١٣، ص٩؛ السخاوي: الضوء، ج٦، ص١٦٨.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١١٥، ١١٩؛ السخاوي: الضوء، ج٢، ص٢٦٨، ج٣، ص٢٩؛ وذيل، ق١، ورقة ٢٩أ، ١٣١ب؛
الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن عماد (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ج، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩، ج٧، ص١٠٩-١١٠، سيشار إليه: الحنبلي: شذرات.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٢٥.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٣، ص١١٧٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٢٥.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٣، ص١١٧٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٣٩.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٧٣٣.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٤٧-١٤٨.

(٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤٩٧، ج١٦، ص٢١٢-٢١٣؛ المنهل الصافي، ج٤، ص٦٨؛ السخاوي: الضوء، ج٢، ص٢٦٨، ٣١٧، ج٣، ص٢٧، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ج٤، ص١٢؛ ابن إياس: بدائع، ص٤٦٠.

توليته السلطنة، بعد نكبة السلطان أحمد بن إينال في رمضان ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م، لأن خشقدم «رجل غريب ليس له شوكة» وبالتالي سيتم خلعه بسهولة إذا أراد الأمراء ذلك[١].

د- التتار:

لم نعد نسمع في دولة المماليك الثانية عن حضور واضح للتتار في الجيش كما هو الحال في دولة المماليك الأولى، ويعود ذلك إلى توقف هجرات المغول عن التدفق إلى بلاد السلطنة، وتفسر التراجم القليلة لعناصر الجيش من التتار في هذه الفترة[٢]، ضآلة ذلك العنصر، وتشح المعلومات كثيراً عن التتار في هذه الفترة، إلا أنه يستشف من حادثة انهزام حزب الأمير قجقار القردمي التتري[٣]، ومن معه من التتر أمام حزب الأمير ططر للسيطرة على السلطنة بعد وفاة المؤيد شيخ في أوائل عام ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م[٤]، أن هذا العنصر كان يشكل أقلية لا تذكر في جيش المماليك في هذه الفترة.

هـ- العبيد:

دخل جيش المماليك أعداداً من الرقيق الأسود، بما عُرف بالعبيد السود، وهم أدنى طبقات المجتمع العسكري المملوكي من الناحية الاجتماعية، فلم يكن لهم حظ الانخراط في الجيش إلا عن طريقين، إما الالتحاق بطبقة الطواشيه (الخصيان) خدام القلعة والمشرفين على المماليك السلطانية[٥] أو الالتحاق بخدمة

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٣٨.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٣، ج١٥، ص١٦١؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤٣٥.

(٣) الأمير قجقار القردمي ولي إمرة سلاح أيام المؤيد شيخ، ثم نيابة حلب سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م، اعتقله الأمير ططر وحبسه بالاسكندرية، ثم قتله فيها سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م؛ السخاوي: الضوء، ج٦، ص٢١١-٢١٢.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٠٧-١٠٨، ١٦٨؛ Ayalon: Studies (2), P.460.

(٥) عن الطواشيه انظر الفصل الثالث والخامس من هذه الدراسة.

الأمراء (الغلمان)، وقد عرفت طبقة الطواشيه في عصر المماليك تنوعاً في بنيتها البشرية، إذ ترجع أصولهم إلى أربعة أجناس وهم الروم والأحباش والهنود والتكرور[١]، ويشكل الروم النسبة الكبيرة بينهم[٢]، يلي ذلك الأحباش[٣] الذين جاءوا على شكل هدايا من الحبشة واليمن[٤] وهناك قلة منهم من أصول هندية[٥] وتكرورية (من بلاد التكرور)[٦].

وعرف عن العبيد في دولة المماليك الثانية أنهم كانوا مصدر شغب وإثارة للفتن[٧] حتى ظهرت لهم مشاركة في الجيش منذ عهد الناصر محمد بن قايتباي (٩٠١-٩٠٦هـ/ ١٤٩٥-١٥٠٠م) الذي سعى لإيجاد فرقة جديدة مكونة من

---

(١) Ayalon: Mamluk Military, P. 273.

(٢) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص١٥٥، ج٩، ق٢، ص٣٥٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٣٥، ج١٣، ٩، ١٢٢، ١٦٨، ١٨٦، ج١٤، ص١٤٣، ١٥٤، ٢٠٣-٢٠٤، ٢٣١، ٣٢١-٣٢٢، ٣٤٤، ج١٥، ص١٤٣، ٢٤٨، ٣٤٥، ٤٣٨، ج١٦، ص٢٠، ٧٦، ١٨٥، ٢١٤، ٣١٢؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٢٩٤، ٣٢٢، ج٤، ص٣٤٠، ٣٤١، ج٦، ص١٧٥، ١٧٦، ٢٢٦، ٢٣٤، ج١٠، ص٢٠٨؛ ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٨١٢، ج٢، ص٨٥، ١٣٣، ١٥٣، ١٩٦، ٢٣٥، ٢٤٤، ٣١٣، ٣٣٨، ٣٥٩، ٤٦٠، ج٣، ص٦، ٣٠٥، ٣٨٦، ٤٢٢، ٤٢٥، ج٤، ص١٦٦، ٢٤٥.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٦٤، ٢٣٢، ٣١٢، ٤٣٨، ٤٦٥، ٥١٨-٥١٩، ج١٦، ص٢١٧، ٢٩٢، ٣١٢، ٣١٨، ٣٤٧-٣٤٨؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٣، ٨١-٨٢، ٨٥، ٢٤٦، ج٦، ص٢١٥، ج١٠، ص١٥٣، ١٥٨، ٢١٣؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٧٧، ٢٥٧، ج٣، ص٢٥، ٢٢٧، ٢٥٥، ٣٥٩، ٣٦٠، ٤٢٢، ٤٣٥؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٢٨١أ.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٦٦-٦٧؛ ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٣٧٩.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٠٣-٢٠٤، ج١٥، ص١٦٣؛ السخاوي: الضوء، ج٦، ص٢٢٦، ج١٠، ص١٥٣-١٥٤؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٧٩، ١٣٠، ١٦٦، ٣٩١.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص١٦٤، ٣٢١، ٣٦٠، ٤٢٥، ج٤، ص١٦٤، ١٦٦.

(٧) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص١٠٢٦-١٠٢٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٩٠؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٨٠، ٢٥٣، ٣٣٢، ج٣، ص٢٤٧، ج٤، ص١٦٣، ١٧٧-١٧٨؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ١١١أ، ٣٣٠ب، ٣٤٦أ، ٣٤٧أ.

حملة البنادق من هؤلاء العبيد سميت العبيد النفطية أو رماة البندق[1] والتي استمرت في نشاطها العسكري حتى نهاية عصر المماليك[2].

و- عناصر أخرى:

دخل الجيش المملوكي عناصر بشرية من غير المماليك، لعل أهمها فئة أولاد الناس وهم أبناء السلاطين والأمراء الذين ولدوا أحراراً في مصر، ولم يجر عليهم الرق، ودخلوا فرقة أجناد الحلقة[3]، كما استخدم المماليك عناصر بشرية محلية مساندة للجيش، كالعربان والتركمان والأكراد، مقابل ما حصلوا عليه من اقطاعات وامتيازات[4].

ومنذ مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، دخل الجيش المملوكي عناصر بشرية جديدة في فرق استجدت لمواجهة الأخطار المحيطة بالسلطنة، فبالإضافة إلى فرقة العبيد النفطية التي أنشئت أيام الناصر محمد بن قايتباي، استخدم السلطان الغوري عسكراً ملفقاً ضم عناصر بشرية مختلفة الأصول من أولاد الناس والتركمان والأعاجم وبعض الحرفيين وغيرهم، فسمي «العسكر الملفق» أو «عسكر الطبقة الخامسة» لأن أفرادها يستلمون رواتبهم في اليوم الخامس لتوزيع النفقات[5].

كما دخل الجيش المملوكي عناصر بشرية من خارج السلطنة، كالمغاربة الذين اشتركوا أيام السلطان الغوري في قتال البرتغاليين[6]، وذلك على شكل متطوعة بدافع الجهاد، والدليل على ذلك أن طومان باي عندما حاول

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٤٣، ٣٨٣، ٤١٤.

(٢) انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٣) انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٤) انظر الفصل الأول والثالث من هذه الدراسة.

(٥) انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٨٥، ٩٥-٩٦، ١٣١، ٢٢٠، ٢٨٥، ٤٥٨، ٤٦٦-٤٦٧.

استخدامهم لقتال العثمانيين سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، رفضوا ذلك لأن العثمانيين مسلمين[١].

أما بالنسبة إلى العناصر الوافدة إلى بلاد السلطنة، فلم نعد نسمع في دولة المماليك الثانية عن وجود هذا النوع من العناصر بسبب انحسار الخطر المغولي، وتوقف العناصر البشرية عن التدفق إلى السلطنة، والعنصر الوافدي الذي شارك الجيش المملوكي في هذه الفترة هم «العثمانية» وهم جماعة من أفراد الجيش العثماني الذين جاءوا مع المماليك في حملتهم على العثمانيين سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م، ودخلوا الجيش المملوكي طوعاً[٢]، وترد إشارات مقتضبة عن مشاركة «العثمانية» ضمن فعاليات عسكر الطبقة الخامسة أيام السلطان الغوري[٣].

٣- خاتمة:

يتضح من دراسة بُنية جيش المماليك البشرية في دولة المماليك الثانية، اعتماد هذا الجيش في هذه الفترة على عناصر المماليك المجلوبة إلى مصر وبلاد الشام، وتنوع مصادر جلب هذه العناصر وأهمها «تجارة المماليك» التي شكلت الأهم بين هذه المصادر.

كما اتضح تنوع عناصر جيش المماليك، وعدم اقتصاره على عنصر واحد، مع الاعتماد على عنصرين هامين هما الجركس والترك، وتشجيعهما، وهذا يفسر ظهور المنافسة بين هذين العنصرين والتي استمرت فترة طويلة من تاريخ المماليك، تبعاً لتشجيع بعض السلاطين لأحد العنصرين ضد الآخر.

وقد غلب على صراع هذه العناصر الطابع السياسي في الغالب، الذي نتج عن محاولتها الاستئثار بالسلطة والحصول على الإمرات والوظائف في الدولة، إلا أن غلبة هذين العنصرين لم تمنع أو تحد من وجود عناصر بشرية أخرى في جيش

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص١٣٧.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٦١.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٣٦٥-٣٦٧، ٤٥٨، ج٥، ص١١٥، ٢٠٣.

المماليك، فالروم - رغم ضآلتهم - كانوا يمثلون في فترة السلطان فرج بن برقوق عنصراً له حضوره الواضح على ساحة الأحداث في عهده، إلا أن ارتباط هذا الحضور بتشجيع هذا السلطان جعل استمراريته تقل بعد وفاة السلطان.

كما كان لانحسار خطر المغول - الذي ظهر في منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وكان له أثره على بنية الجيش في دولة المماليك الأولى - دور في تراجع العناصر البشرية التي ارتبطت بهذا الخطر كالتتار الذين تدنى حجمهم ونفوذهم في الجيش إلى حد كبير في دولة المماليك الثانية.

وبالإضافة إلى عناصر المماليك المجلوبة إلى مصر وبلاد الشام، شكلت بعض العناصر المحلية وأهمها العربان والتركمان جانباً هاماً في بنية جيش المماليك عندما استخدم المماليك هذه العناصر كفرق مساندة للجيش عند الضرورة.

وفي الفصل التالي سيتم الحديث عن تنظيم فرق جيش المماليك وأقسامها وما طرأ عليها من تطورات خلال دولة المماليك الثانية.

الفصل الثالث

فِرق الجيش

١- المماليك السلطانية

أ- المشتروات

ب- القرانيص

جـ- السيفية

٢-مماليك الأمراء

٣- أجناد الحلقة

٤- الفرق المستجدة

٥- الفرق المحلية

٦- خاتمة

الفصل الثالث

فرق الجيش

تكون جيش المماليك منذ البداية من ثلاث فرق رئيسة هي: المماليك السلطانية ومماليك الأمراء وأجناد الحلقة[1]، إضافة إلى فرق مستجدة وفرق محلية أخرى.

١- المماليك السلطانية

تشكل المماليك السلطانية أهم فرق الجيش المملوكي، نظراً لارتباطها بالسلطان من حيث إنشائها وإقامتها، وتقسم إلى قسمين:

١- المشتروات: وهم المماليك الذين يشتريهم السلطان القائم في الحكم ويطلق عليهم جلبان أو أجلاب.

٢- المستخدمون: وهم المماليك القدامى الذين انتقلوا إلى خدمة السلطان الجديد ويقسمون إلى:

أ- قرانيص: وهم مماليك سلاطين قدامى توفوا أو عزلوا وانتقلوا إلى خدمة السلطان الجديد.

ب- سيفية: وهم مماليك بعض الأمراء ممن توفوا أو تقاعدوا من الخدمة وانتقلوا إلى خدمة السلطان الجديد[2].

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص٤٦٢؛ Ayalon: Studies (1), P. 204

(٢) ابن شاهين: زبدة، ص١١٦؛ Ayalon: Studies (1), P. 204

أ- المشتروات:

يطلق مصطلح المشتروات عموماً على المماليك الذين يشتريهم السلطان أثناء فترة سلطنته وسيلة لتدعيم حكمه[1]، ثم تطور هذا المصطلح حتى حل محله الجلبان أو الأجلاب في دولة المماليك الثانية، ثم أصبح فيها بعد يدل على أولئك المماليك الذين جلبوا في الغالب كباراً من قبل السلاطين لمواجهة فئات القرانيص القدامى[2].

وتعد «المشتروات» الأصل في تكوين فرقة المماليك السلطانية، نظراً لما تميزت به هذه الفئة من تعليم وتدريب في الطباق التي أنشئت لهذا التعليم ولإقامة المماليك فيها بعد تخرجهم[3].

تقع طباق المماليك السلطانية في قلعة الجبل بالقاهرة، ويرجع بناؤها بصورتها الأساسية إلى عهد الظاهر بيبرس [٦٥٩-٦٧٨هـ-١٢٦٠-١٢٧٩م][4]، ثم بُنيت طِباقاً أخرى أيام الناصر محمد بن قلاوون في ساحة الإيوان سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م[5]، وسنة ٧٢٩هـ/ ١٣٤٨[6].

والطباق إثنتا عشر طبقة، كل طبقة فيها عدة مساكن تتسع لألف مملوك[7]، واستمرت هذه الطباق قائمةً طوال عهد دولة المماليك الثانية[8]، ثم

---

(١) Ayalon: Studies (1), P. 204

(٢) Ayalon: Studies (1), P. 207.

(٣) العريني: المماليك، ص٨٤.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٩٠-١٩١.

(٥) العريني: المماليك، ص٨٥.

(٦) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٨٩، ٢١٣.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٩٢.

(٧) ابن شاهين: زبدة، ص٢٧.

(٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٦٩، ٢١٢، ج١٥، ص١٩٩، ٢١٠، ٢٥٨، ج١٦، ص٥٨، ٢٦٠، ٣٥٩؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٠٨، ٣١٦، ج٤، ص١٨٨، ٤٧٨، ج٥، ص٥١.

تعرض بعضها للتخريب في مطلع الحكم العثماني سنة ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م[١].

والأصل في تعليم المماليك بالطباق، هو جلب المماليك صِغاراً حيث أُطلق عليهم مصطلح «المماليك الكتابية»[٢] ويُقسم تعليم المملوك في الطباق إلى قسمين ديني، وحربي، الأول قبل سن البلوغ، والثاني بعده، حيث يتعلم المملوك في المرحلة الأولى قراءة القرآن ومعرفة آداب الشريعة والصلاة وشيئاً من الفقه والخط[٣]، ثم تبدأ المرحلة الثانية من التعليم بعد سن البلوغ، حيث يتعلم المملوك مبادىء الفروسية الأساسية على أيدي معلمين تخصصوا في أنواع الفروسية المختلفة[٤]، فيتعلم المملوك مبادىء اللعب بالرمح والرمي بالقوس والنشاب والضرب بالسيف وركوب الخيل، ثم يتعلم ما عدا ذلك من فنون الفروسية بعد تخرجه من الطباق[٥].

وأجرى السلاطين للمماليك الكتابية في الطباق الرواتب والمخصصات من اللحوم والأطعمة والحلاوات والفواكه والكسوة فضلاً عن «المعاليم من الذهب والفضة»[٦] وخلال مراحل تعليم المماليك في الطباق أشرفت «الطواشية»[٧] على تربية المماليك ومراقبة عدم اختلاط الكبار بالصغار منهم[٨]،

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٢٣٣.

(٢) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٣؛ العريني: المماليك، ص٨٩-٩١.

(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٣.

(٤) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٣.

(٥) لا يتسع المجال هنا لدراسة تفاصيل تدريب الفروسية في هذه المرحلة، ولمزيد عن ذلك انظر: ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م): كتاب الفروسية، بغداد، ١٩٨٧، ص١١٥-١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، سيشار إليه: ابن القيم: الفروسية.
المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١١١، ٢١٣؛ العريني: المماليك، ص١١٢-١١٦.

(٦) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٤؛ العريني: المماليك، ص٩٠.

(٧) الطواشية: جمع طواشي: لفظ تركي أصله طابوشي ثم حرف إلى طواشي وهو الخصي.
الباشا: الألقاب، ص٣٨٢.

(٨) العمري، شهاب الدين ابن فصل الله (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨): التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق سمير الدروبي، منشورات جامعة مؤتة، ١٩٩٢، ص١٣٠. سيشار إليه: العمري:

وترأسهم مقدم المماليك السلطانية يساعده نائب من الطواشية في الإشراف على ما يقدم للمماليك من خدمات ومعاقبة المخالفين منهم[1].

أما المدة التي يقضيها المملوك في التعلم بالطباق فلم تكن محددة، بل خضعت لأهواء السلاطين وأوضاع السلطنة السياسية[2] إلا ما ذكره ابن تغري بردي من أن مدة إقامة المماليك في الطباق أيام السلطان الظاهر برقوق حوالي سنتين على عادة ملوك السلف[3].

ويبدأ تخريج المماليك من الطباق بعتقهم، وقد جرت العادة أن لا يعتق المملوك قبل سن البلوغ، والعتق الذي يحصل عليه المملوك بمثابة إجازة بممارسة حياته العسكرية في فرقة المماليك السلطانية[4]، ويجري العتق بشكل جماعي لمجموعة من المماليك الكتابية[5]، ثم يحصل المملوك على الخيل والقماش من قبل السلطان[6]، وتصرف الخيول من اسطبل الجوق الذي خُصص بخيول المماليك المتخرجين[7]، ثم يحصل المملوك على ما يلزمه من أنواع الأسلحة المختلفة[8].

ويتم تخريج المماليك بعرض خاص يسمى «خَرج» يحصل فيه المملوك على

التعريف؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١١، ص١٧٣؛ ابن شاهين: زبدة، ص١٢٢؛
Ayalon: Mamluk, EI$_2$ (6), P. 317

(١) العمري: التعريف، ص١٣٠-١٣١؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢١، ج٥، ص٤٥٦، ج١١، ص١٧٣؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٤.

(٢) Ayalon: Mamluk, EI$_2$ (6),P. 318.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٩٩.

(٤) العريني: المماليك، ص١٢٥؛ Ayalon: Studies (1), P. 209

(٥) العريني: المماليك، ص١٢٤-١٢٥.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٩٥؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤، ٧١، ٤٥٨، ج٣، ص٤٦٣؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٣٢٣أ.

(٧) ابن شاهين: زبدة، ص١٢٥.

(٨) العريني: المماليك، ص١٢٣.

إجازة بعتقه وتخريجه تسمى «عتاقه» تفيد أنه أصبح جندياً مدرباً[١]. وقد يحدث أن يتوفى بعض السلاطين ولديه من المماليك الكتابية من لم يعتق، وفي هذه الحالة يتولى السلطان الجديد إعادة شرائهم من بيت المال ثم يعتقهم ويخرج لهم الخيل والقماش[٢].

ورافق تعليم المملوك في الطباق، نشوء رابطتين أساسيتين لعبتا دوراً هاماً في حياة المملوك العسكرية، وحدّدتا وجهته وولاءه السياسي أيضاً، وهما رابطة الأستاذية والخشداشية.

فالأستاذية هي علاقة المملوك بأستاذه السلطان الذي اشتراه وارتبط معه بروابط وثيقة أيام تعليمه في الطباق، وبعد عتقه تتخذ هذه العلاقة صفة المتانة من حيث الولاء والوفاء حتى آخر يوم في حياة المملوك[٣].

وتُعد رابطة الخشداشية أقوى هذه الروابط وأمتنها، وهي رابطة الزمالة التي جمعت المماليك الذين اشتراهم سلطان ما وعاشوا معاً في الطباق[٤]، ولما كان المماليك الذين تربطهم هذه العلاقة في الطباق متفاوتين من حيث الأعمار بسبب دخولهم في الطباق في أوقات مختلفة، فقد نشأت علاقتان أساسيتان داخل رابطة الخشداشية حددتا سلوك هؤلاء المماليك مع بعضهم، وهما الأني والآغا، فالأني هو الأخ الصغير للمملوك، والآغا هو الأخ الأكبر له[٥]، وهذه العلاقة ظلت

---

(١) المرجع ذاته ص١٢٣.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٥٨٨.

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٣٧، ج١٤، ص٢٠٠، ج١٦، ص٥٨، ٣٩٥، المنهل الصافي، ج٣، ص١٤٢، حوادث الدهور، ج٢، ص٢٣٩-٢٤٠؛ السخاوي: الضوء، ج٢، ص٢٧٠، ج٦، ص٢٢٨-٢٢٩.

ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٠٨، ج٣، ص١٨٨، ٤١٢، ج٤، ص٣٨٥.

Ayalon: Studies(1), p. 209.

(٣) العريني: المماليك، ص٢٠٨-٢٠٩؛ Ayalon: Mamluk, EI2 (6), P. 318

(٤) طرخان: النظم، ص٤٨٠-٤٨١؛ العريني: المماليك، ص٢١١-٢١٤؛ Ayalon: Studies (1), P.206

(٥) العريني: المماليك، ص٢١٦-٢١٨؛

Ayalon: Studies (1), P.206; Ayalon: Mamluk EI2 (6), P.1318.

موضع احترام حتى بعد تخريج المماليك من الطباق[1].

وقد طرأ على إنشاء وتعليم المماليك في الطباق في دولة المماليك الثانية تغيّرات هامة لعل أبرزها جلب المماليك الكبار بأعداد كبيرة، ودخولهم فرقة المماليك السلطانية دون تعليم لتجاوزهم سن التعليم، مما أثر على مستوى المماليك السلطانية، وقد أشار المقريزي إلى هذا التحول من أيام السلطان فرج عندما أصبح جلب المماليك من «الرجال الذين كانوا في بلادهم ما بين ملاح سفينة ووقاد في تنور خباز، ومحول ماء في غيط أشجار ونحو ذلك»[2]، وقد استمر جلب المماليك الكبار إلى نهاية دولة المماليك الثانية، حتى شمل الرجال والنساء على حد سواء من بلاد الجركس إلى مصر[3].

على أن ذلك التحول لم يكن يعني أن جلب المماليك الصغار، ودخولهم طباق التعليم قد توقف في هذه الفترة، بل ترد شواهد على جلب الصغار، ولكن أغلبها ينحصر في النصف الأول من دولة المماليك الثانية[4].

وأصاب شخصية مقدم المماليك في هذه الفترة الكثير من الضعف، مما ترك أثره السلبي على تعليم المماليك، حتى أُتهم أكثرهم بضعف الشخصية وقلة الحرمة[5] إضافة إلى تراجع رتبة مقدم المماليك من أمير طبلخاناه إلى أمير عشرة[6]، حتى أصبح مقدمو المماليك من ذوي السيرة الحسنة والمهابة والشدة، قلة في هذه الفترة[7] على أن أخطر تحول سلبي أثر على مستوى المماليك السلطانية، هو

---

(١) العريني: المماليك، ص٢١٨.

(٢) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٤.

(٣) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(٤) انظر مثلاً: المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٥٨٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١؛ السخاوي: الضوء، ج٢، ص٢٧٠، ج٣، ص١٧٥.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٢٢٢؛ العريني: المماليك، ص١٢١.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٦٣، ٣٣١، ج١٥، ص٢٤٨، ج١٦، ص٧٦.

(٧) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٨٣٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٨؛ السخاوي: الضوء، ج١٠، ص٢١٣؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٧٢.

سرعة تخريج المماليك من الطباق، إذ لم يحفل السلاطين الجراكسة، بطول مدة تعليم المماليك، بل أخذوا في تخريج مماليكهم أفواجاً تتلو بعضها[1]، ويعود السبب في سرعة التخريج إلى أن أغلب هؤلاء السلاطين وصلوا إلى السلطنة في وضع سياسي حرج تطلب منهم أن ينشؤا المماليك الجدد بأقصى سرعة، حتى يستطيع أن يقاوموا بهم فئات المماليك القدامى، فالسلطان قايتباي أخرج أول خَرج من مماليكه - وهم حوالي ٢٠٠ مملوك - في مطلع عام ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م أي بعد عام ونصف من توليه السلطنة[2].

وأخرج العادل طومان باي، أول خرج له بعد ثلاثة شهور من توليه السلطنة في رمضان سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م[3]، وقام السلطان الغوري بتخريج أربعة أفواج من المماليك بين السنوات ٩١٢-٩٢٢هـ/ ١٥٠٦-١٥١٦م، بمدة تراوحت بين ٣-٤ سنوات وبمتوسط ٣٠٠-٥٠٠ مملوك في كل خرج[4].

وقد أثرت سرعة تخريج المماليك على رابطة الأستاذية، إذ قام الكثير من المماليك السلطانية بالعديد من المشاكل والاضطرابات لأساتذتهم من السلاطين[5] كما فقدت رابطة الخشداشية قيمتها، بسبب قصر مدة التعليم التي تجمع المماليك مع بعضهم[6]، وهذا يتضح من حوادث الصراع بين القرانيص والجلبان، ونجاح القرانيص الذين جمعتهم روابط المصالح المشتركة في التغلب على الجلبان أثناء الاضطرابات السياسية[7].

---

(١) العريني: المماليك، ص١٤٢؛ Ayalon: Mamluk EI_2 (6), P.318

(٢) الصيرفي: أبناء الهصر بأنباء العصر، تحقيق حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٠، ص١٢٢، سيشار إليه: الصيرفي: أبناء الهصر.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٤٧٦.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٩٥، ١٧٩-١٨٠، ٢٨٤، ٣٢٢، ج٥، ص١٣.

(٥) انظر الحديث عن ثورات المماليك فيما يلي:

(٦) ضومط: الدولة المملوكية، ص٤٠، ٧٧.

(٧) انظر الحديث عن القرانيص فيما يلي:

ومن هؤلاء المشتروات الذين يتم تخريجهم من الطباق، ينتخب السلطان عدداً منهم يلحقون بخدمته ويلازمونه لصفات خاصة بهم، ويطلق عليهم «الخاصكية»[(١)]، وتقوم الخاصكية على خدمة السلطان بالقصر السلطاني[(٢)] وملازمته في مواكبه وأسفاره[(٣)] وحمل التقاليد إلى نواب بلاد الشام[(٤)] وكشف الأخبار، والاستطلاع العسكري[(٥)]، وحفظ السواحل والثغور[(٦)]، إضافة إلى الاشتراك في بعض المعارك والحملات[(٧)] واعتقال بعض الأمراء[(٨)].

وتمتع أفراد الخاصكية بامتيازات هامة، فهم يدخلون على السلطان في أوقات خلوته وينالون المخصصات والعطايا الجزيلة[(٩)]، إضافة إلى الترقية السريعة التي ينالونها[(١٠)].

---

(١) ابن شاهين: زبدة، ص١١٥-١١٦؛ العريني: المماليك، ص٣٤.
Ayalon: Studies (1), P.213, and Khasskiya EI_2 (4), P. 1100.

(٢) ابن شاهين: زبدة، ص١١٦؛ الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٤أ.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص١٣٤، ١٣٨-١٣٩، ١٤٣، ١٥٥، ٢٧١-٢٧٢، ٣٩٦، ٤٢٩، ٤٧٢-٤٧٣، ج٤، ص٢١٢-٢١٣، ٢٣٦-٢٣٧، ٢٨٣، ٢٩٠، ٢٩٢، ٣٣٥-٣٣٦، ٣٥٥، ٣٦٢، ٣٩٣-٣٩٤، ٤١٣، ٤١٤-٤١٥، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٧٣، ٤٧٨، ٤٧٩، ج٥، ص١٩-٢٠، ٤١.

(٤) ابن طولون: إعلام الورى بمن ولي نائباً بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد دهمان، دمشق، ١٩٦٤، ص٩٩، ١٦٠، سيشار إليه: ابن طولون: إعلام الورى.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٧، ج١٦، ص٢٢٣.

(٥) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص١٣٢، ٢٥٠؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٣٧٥أ.

(٦) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج١، ص٦٨.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٩-٢٠، ٢٤، ٢٩٠، ٣٦٠-٣٦٢، حوادث الدهور، ج١، ص٨١-٨٢؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص١٧٢، ٢٢٠، ٣٨٩.

(٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٠١، ج١٦، ص٢٦٦.
ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٢٠٥-٢٠٦، ٣٩٠، ج٣، ص٤٦٧.

(٩) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٦؛ الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٤أ.

(١٠) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٦٨، ج١٥، ص٢٣١، ٣٣١، ج١٦، ص٢٥٧؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٩٣، ج٣، ص١٠٥، ١٥٩، ٢٤٩، ٢٧٧، ٣٠٢، ٤٤٣.

تراوحت أعداد الخاصكية بين الزيادة والنقص، ففي دولة المماليك الأولى بلغت أربعين خاصكياً منذ عهد الناصر محمد بن قلاوون[1] ثم ارتفعت في دولة المماليك الثانية فبلغت أيام الظاهر برقوق ثمانين خاصكياً ثم ازدادت أيام السلطان فرج إلى أكثر من ألفي خاصكي، ثم خفّضهم المؤيد شيخ إلى ما كانوا عليه أيام برقوق[2]، وبلغت خاصكية السلطان قايتباي في مستهل سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م نحو أربعين خاصكياً[3]، ثم أخذت في الارتفاع حتى بلغت أيام السلطان الغوري أكثر من ألف ومائتي خاصكي[4].

وللأسباب السالفة الذكر التي أثرت على إنشاء المماليك المشتروات، جاءت هذه الفئة في دولة المماليك الثانية أقل انضباطاً وولاءً، فكثرت ثورات الجلبان وازداد فسادهم خاصة في عهود السلاطين الذين مكنتهم فترات حكمهم الطويلة من إنشاء المماليك الأجلاب بأعداد كبيرة.

وقد قاسى الأشرف برسباي، من ثورات مماليكه الأشرفية الجلبان، وخاصة في السنوات (٨٣٠-٨٤٠هـ/ ١٤٢٦-١٤٣٦م)، وقد تركزت ثوراتهم ضد كبار موظفي الدولة كالإستادار - والوزير بسبب تأخر رواتبهم ومخصصاتهم[5] والاشتراك مع العبيد في إثارة الفساد في شوارع القاهرة[6]، ولم تفلح جهوده في ردعهم، فأخذ يدعو

(١) ابن شاهين: زبدة، ص١١٦.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١١١-١١٢.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٢٣.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٣٤، ج٥، ص٦.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٦٤٧، ٧٩٣، ٨٥٢ و٨٦٤-٨٦٥، ٩٠٩، ٩٣٠-٩٣١، ١٠١٨؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج٨، ص١٧٩، ٢٢١، ٣٣١.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٢٧، ٣٥٩، ج١٥، ص٥٠-٥١، ٨٣-٨٤
الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص٢٢٩-٢٣٠، ٣٠٤، ٣٩٢.
ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٢٢، ١٢٤، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٦، ١٧٧
عبد الباسط: نيل الأمل، ج١، ورقة ٣٠٦أ، ٣٠٧ب، ج٢، ورقة ٢أ.

(٦) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٨٠٠، ٨٠٤، ١٠٢٧.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٣٠، ج١٥، ص٩٠.

عليهم بالطاعون أكثر من مرة[1]، وأشار عليه بعض الأمراء سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م بقمع الجلبان وتقريب القرانيص إلا أن أمراء آخرين خوفوه عاقبة ذلك لكثرة طوائف القرانيص وتعدد اتجاهاتها وأهدافها[2]، وفي مرضه الأخير سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م جمع السلطان المماليك الجلبان، وعاتبهم على ما قاموا به من ثورات وطلب منهم أن يتّحدوا في سلطنة ابنه يوسف[3]، إلا أنهم استمروا في إفسادهم وتفككوا حتى قُضي عليهم من قبل القرانيص على يد جقمق في ربيع الأول سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م[4].

وفي عهد الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م) ظهرت ثورات المماليك الظاهرية الجلبان، وكانت بدايتها في أوائل عام ٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م عندما ثاروا ورجموا الناس من الطباق، ومنعوا الأمراء من الصعود للقلعة، وكانت من الخطورة حيث حاول السلطان إخمادها باستخدام القرانيص، بعد أن أخفقت جهود الإصلاح، إلا أن القرانيص رفضوا ذلك لعلمهم أن السلطان لا يهون عليه قتال مماليكه[5] ثم تتابعت ثوراتهم خلال السنوات (٨٤٨-٨٥٥هـ/ ١٤٤٤-١٤٥١م) وكان أغلبها موجهاً ضد موظفي الدولة[6]، والقيام بخطف خيول الفقهاء ورجال الدولة[7] وطلب الزيادة في النفقة والكسوة[8].

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٢٦، ٣٥٦، ج١٥، ص٨٣.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٢٦-٣٢٧.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٠٣؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص٤١٦.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٢٨-٢٣٤، ٢٣٥-٢٣٩، ٢٤٠-٢٤١. الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص٤٣٣، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٩.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٥٢، حوادث الدهور، ج٢، ص٤-٥ السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت ص٤١، سيشار إليه: السخاوي: التبر المسبوك.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٩٧-٣٩٨، ٤٠٠، ٤١٠-٤١٢، ٤١٤-٤١٥، ٤١٦-٤١٧، حوادث الدهور، ج١، ص٢١، ٣٧-٣٨؛ السخاوي: التبر المسبوك، ص١٤٦، ٣١٣، ٣٤٦؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٢٥٦، ٢٧٩، ٢٨٩.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤١٨، ٤٢٣؛ حوادث الدهور، ج١، ص٧٦، ٧٨.

(٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤٣٥؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٢٩١.

وطفح عهد السلطان إينال (٨٥٧-٨٦٥هـ/ ١٤٥٣-١٤٦٠م) بكثرة ثورات مماليكه الجلبان (الأشرفية) الذين ركزوا في ثوراتهم على طلب الزيادة في النفقات والرواتب[١]، والاعتداء على كبار موظفي الدولة[٢] والفقهاء والنساء[٣]، ونهب حواصل الحبوب والأسواق[٤] ولم تفلح جهود السلطان في كف أذاهم عن الناس رغم النداءات المتكررة لذلك[٥].

واستمرت ثورات الجلبان في الظهور في عهد السلطان خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/ ١٤٦٠-١٤٦٦م) على يد مماليكه الظاهرية الخشقدمية بين (٨٦٧-٨٧١هـ/ ١٤٦٢-١٤٦٦م)[٦]، حيث قاموا بنهب الأسواق[٧] والتشويش على الناس والاعتداء عليهم[٨] وطلب الزيادة في النفقات والمخصصات[٩].

وشهد عصر السلطان قايتباي قيام ثورات مماليكه الأشرفية الجلبان ابتداء من عام ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م[١٠]، فقاموا بالاعتداء على كبار موظفي الدولة[١١]، والثورة

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٨٧-٩١، ١٠٢، ١١٢، ١٣٢، ١٣٧، ١٣٩، حوادث الدهور، ج٢، ص١٩٢، ٢١٩، ٢٢٣؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣١٤-٣١٥، ٣٢٧.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٨٤، ٩٤-٩٥، ٩٦، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٣، حوادث الدهور، ج٢، ص٢٠١، ٢٥٠، ٢٧١، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٤٣.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٠٠، ١٠٢، ١٣٢، حوادث الدهور، ج٢، ص١٩١، ٢٠٥، ٢٧٨؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٣٧، ٣٣٩-٣٤٠، ٣٥٤.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٩٨، ١٤٢، حوادث الدهور، ج٢، ص٢٣٠-٢٣١.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٩٨، ١٢٣؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٣٥.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٧٦؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤٠٤.

(٧) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤٢٨.

(٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٨٨، ٢٩٦.

(٩) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٩٧.

(١٠) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٨٢.

(١١) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٨٢، ٩٤-٩٥، ٩٦، ١٥٣-١٥٤، ١٩٥، ٢٣٣. عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٢٥٢أ-ب، ٢٩٥ب-٢٩٦أ، ٢١٣ب.

على السلطان في الطباق[1]، ونهب حواصل الأعلاف والأسواق[2] وطلب الزيادة في نفقاتهم ومخصصاتهم[3] وغيرها من الثورات[4] مما أثار غضب السلطان قايتباي، وحاول أكثر من مرة ترك السلطنة لولا أن ترضّاه بعض الأمراء[5]. كما عانى ابنه الناصر محمد من ثورات المماليك الظاهرية الجلبان، ابتداء من عام ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م، وحتى نهاية سلطنته[6].

ولم يكن عهد السلطان الغوري خالياً من ثورات مماليكه الجلبان إذ ثاروا طوال عهده وتركزت ثوراتهم على طلب الاقطاعات والنفقات[7]، والاعتداء على الناس وقتلهم[8]، ونهب الأسواق[9] وخطف النساء والاعتداء عليهن[10]، إضافة إلى ثورات كثيرة أخرى[11]، وعبّر السلطان الغوري عن غضبه من المماليك الجلبان بمحاولة خلع نفسه من السلطنة سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م[12] وسنة

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٩٢؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٢٥٠أ.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٩٤، ١٩٧، ٢٣٣، ٣٤٢؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٢٥٢أ، ٣٢٣أ، ٣٢٥أ، ٣٢٩أ، ٣٥٥أ، ٣٥٨أ.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٣٥-٢٣٦، ٢٦١-٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٩٢، ٢٩٥؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٣٥٩ب، ٣٦٠أ، ٣٦٩أ، ٣٧٥ب.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٠٢، ٢٠٥، ٢١٣؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٣٢٧ب، ٣٢٨أ، ٣٣١ب، ٣٤٨ب.

(٥) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٤٧؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ص٢٤٦ب-٢٤٧أ.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٥٩، ٣٦٣، ٣٨٨، ٣٩٣، ٤٠٠، ٤٠٦، ٤٠٧.

(٧) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٧، ٨، ١٦، ١٢٧، ١٧٧-١٧٨، ٢٣٥، ٢٤١-٢٤٢، ٣٥٩، ٣٦٨-٣٦٩، ٣٧١، ٤٠١، ٤٢٧-٤٢٨، ٤٣٠-٤٣١.

(٨) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٣، ٤١-٤٢، ٩٢، ١٠٧، ١١٥، ٣٥٦، ٣٥٨، ٤٧٤، ٤٨٣-٤٨٥، ج٥، ص٥٠-٥١.

(٩) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٦٦، ٤٦٤-٤٦٥.

(١٠) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٨٧-١٨٨.

(١١) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٥، ١٢٣-١٢٤، ٢٤١، ٣٥٥.

(١٢) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٧٧.

٩٢١هـ/ ١٥١٥م[١]. واستمرت ثوراتهم في سلطنة طومان باي (٩٢٢-٩٢٣هـ/ ١٥١٦-١٥١٧م)[٢].

ورغم ثورات الجلبان الكثيرة في دولة المماليك الثانية، إلا أن هؤلاء الجلبان امتازوا عموماً بقلة خبراتهم القتالية، مقارنة بالقرانيص والسيفية، فالسلطان برسباي عندما غزا آمد في أواخر عام ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م، كانت خطته أن يتقدم القرانيص للقتال، ويكون السلطان وجلبانه خلفهم، وذلك لعدم معرفة الجلبان بطرائق الحرب[٣].

وتتضح قلة خبرات الجلبان القتالية من الثورات التي قام بها القرانيص والسيفية ضد السلاطين ومماليكهم الجلبان، ومدى نجاح القرانيص في ثوراتهم، لما تمتعوا به من معرفة بمكائد وأساليب القتال[٤]، حتى عُدّ أن مائة من القرانيص تستطيع مقاتلة ألف من الجلبان[٥].

وتشير المصادر المعاصرة إلى أن الجلبان تركوا القرانيص يقاتلون وحدهم أمام العثمانيين في مرج دابق في شعبان سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، فظهرت إشاعة عن نية السلطان إهلاك القرانيص، ففترت همتهم عن القتال وهزم الجيش، وكانت خسائر المماليك من الجلبان قليلة في هذه المعركة «فإنهم لم يقاتلوا في هذه الموقعة، ولا ظهر لهم فروسية وكأنهم خشب مسندة»[٦].

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٤٨٣-٤٨٥.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٨٢، ١٢٥.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٩-٢٠.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٢٧-٣٢٨، ج١٦، ص٤٩. حوادث الدهور، ج٢، ص١٧١.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٢٦-٣٢٧.

(٦) ابن زنبل، أحمد بن الحسن علي بن أحمد بن نور الدين المحلي (ت ق١٠هـ/ ١٦م): تاريخ السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان من قانصوه الغوري سلطان مصر وأعمالها. مصر ١٢٧٨هـ، ص١٥-١٦، ١٧-١٨، سيشار إليه: ابن زنبل: تاريخ. وانظر: ابن إياس، بدائع، ج٥، ص٦٩.

ب- القرانيص:

أطلق مصطلح القرانيص أو القرانصة على مماليك السلاطين القدامى الذين انتقلوا إلى خدمة السلطان الجديد، وهم يعدّون في رتبة أمراء الخمسات، وأطلق عليهم ابن شاهين الظاهري «القديمو الهجرة»[١].

نشأت فئة القرانيص عادة من تحوّل المماليك المشتروات أو الأجلاب لسلطان ما بعد وفاته أو عزله إلى مماليك قدامى تمييزاً لهم عن المماليك الجدد الذين يشتريهم السلطان الجديد، ولهذا فإن علاقة القرانيص القدامى مع الأجلاب الجدد كان أساسها العداء طوال عصر دولة المماليك الثانية[٢].

وتعد فرقة المماليك الظاهرية (برقوق)، أولى فئات القرانيص التي نشأت في دولة المماليك الثانية، وتميزت بصراعها مع السلطان فرج طوال عهده[٣]، وساندت هذه الفرقة أستاذها الأمير ططر في خلع السلطان أحمد بن شيخ وسلطنته هو في ٢٩ شعبان سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م[٤]، كما انضمت إلى جانب الأمير برسباي حتى وصل إلى السلطنة في ربيع الأول سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م[٥].

وفي أثناء مرض السلطان برسباي في ذي الحجة سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م، وقفت القرانيص من ثلاث طوائف تجمعت حتى ذلك الوقت وهي: الظاهرية (برقوق)، والناصرية (فرج) والمؤيدية (شيخ) بقيادة الإتابك جقمق ضد الأجلاب الأشرفية (برسباي) الذين أصرّوا على سلطنة يوسف بن برسباي بعد

---

(١) ابن شاهين: زبدة، ص١١٥.

(٢) Ayalon: Studies (1), P. 217, 220.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٣، ص٩٨٧-٩٨٩، ١٠٦٠-١٠٦٣، ١١٣٦-١١٣٨، ١١٧٤، ج٤، ق١، ص٩٥-٩٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٧٤-١٧٥، ١٨٠، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٦-٢٠٧، ٢٧١-٢٧٥، ٢٨٥-٢٨٦.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٠٧-١٠٨، ١٦٨، ١٩٣، ١٩٤-١٩٧.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٥٩٠، ٥٩١-٥٩٢، ٥٩٤، ٥٩٥.

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢١١-٢١٢، ٢١٤، ٢١٧-٢١٩، ٢٢٠-٢٢٣، ٢٢٦-٢٣٠.

وفاة والده[1]، واستغل القرانيص إنقسام الأشرفية على أنفسهم، وتمكنوا من قتالهم وهزيمتهم وتشتيتهم من الطباق، وتعيين الإتابك جقمق سلطاناً في ربيع الأول سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م[2].

وبتولي الظاهر جقمق السلطنة، تحولت المماليك الأشرفية (برسباي) إلى قرانيص وبالتالي فقد سببت لهذا السلطان الكثير من الثورات[3]، واتحد هؤلاء المماليك مع القرانيص المؤيدية ضد إبنه السلطان عثمان وخلعوه من السلطنة في ربيع الأول سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م[4].

وتحولت الظاهرية الجقمقية إلى قرانيص في عهد السلطان إينال (٨٥٧-٨٦٥هـ/ ١٤٥٣-١٤٦٠م) واستغلت إنقسام مماليك الأشرف إينال الجلبان، فاستمالت ما اشتراه إينال من مماليك كتابية جقمقية، واعتبروهم ظاهرية قرانيص، وثاروا على السلطان إلا أن هؤلاء الكتابية عادوا إلى طاعة إينال خوفاً من بطشه فهُزمت الظاهرية[5].

وفي عهد السلطان أحمد بن إينال (٤جمادى الأولى-١٩ رمضان ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م)، اجتمعت طوائف القرانيص من مختلف الفئات من ناصرية (فرج)، ومؤيدية (شيخ)، وأشرفية (برسباي) وظاهرية (جقمق) لعزل السلطان وسلطنة

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص١٠٤٩-١٠٥٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٠٥.

(٢) العيني: عقد الجمان (٨٢٤-٨٥٠هـ)، ص٥١١.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٣٤-٢٤١، ٢٥٣-٢٥٤.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٦٤-٢٧١، ٢٩٦-٣٢٤.
ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٢٠١-٢٠٢، ٢٠٩-٢١١.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٥، ٣٦، ٣٩-٥٥.
حوادث الدهور، ج٢، ص١٦٨-١٧٢.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٨٧-٩١.
حوادث الدهور، ج٢، ص٢٣٢-٢٣٤.

الأتابك خشقدم وذلك في رمضان سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م[١].

كما نجحت الظاهرية الجقمقية مع الأشرفية البرسبائية والإينالية في خلع السلطان يلباي وسلطنة تمربغا في ٧ جمادى الأولى سنة ٧٨٢هـ/ ١٤٦٧م[٢]، ونجحت هذه الطوائف أيضاً في إيصال الإتابك قايتباي إلى السلطنة في رجب من ذلك العام[٣].

ونظراً لتجدد فئات القرانيص بتجدد السلاطين ومشترواتهم، فقد تجمع في عهد السلطان الغوري طوائف متعددة من القرانيص ما بين ظاهرية وأشرفية وإينالية وخشقدمية وقايتباهية وناصرية، ومماليك الظاهر قانصوه ومماليك جانبلاط والعادل طومان باي[٤].

ويتضح من ثورات المماليك القرانيص ما يلي:

١- طموح القرانيص ومحاولة إعادة وضعهم السابق من حيث الوظائف والاقطاعات والإمرات.

٢- كثرة طوائفهم لكثرة عزل السلاطين وتحول الأجلاب إلى قرانيص في فترات قصيرة.

٣- تباين أهداف طوائف القرانيص، مع إشتراكها بقاسم واحد وهو العداء للأجلاب.

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٢٨-٢٢٩، ٢٣٥-٢٤٩.
ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٧٦-٣٧٧.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٦٩-٣٧٠؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤٦٥-٤٦٦؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ١٨٧ب-١٨٨أ.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٨٩-٣٩٠؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤٧٣-٤٧٥.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٣-١٤.

٤- استمالة كبار الأمراء - وخاصة أتابكة العسكر - للمماليك القرانيص في صراعهم ضد السلاطين، فالقرانيص كانوا وراء وصول الكثير من الإتابكة إلى السلطنة.

٥- نجاح القرانيص في التغلب على الأجلاب، ويعود ذلك إلى ثلاثة عوامل، أولها: كثرة أعدادهم مقارنة بالأجلاب، والثاني: خبراتهم القتالية الطويلة على عكس الأجلاب الذين تنقصهم مثل هذه الخبرة، الثالث: هو قوة رابطة الخشداشية التي تجمع أفراد الواحدة منهم بسبب طول الفترة التي عاشها القرانيص مع بعضهم من جهة، وتوافق مصالحهم من جهة أخرى.

ولما كانت فئة القرانيص تهدد السلطان الجديد ومماليكه المشتروات، فإن كثيراً من السلاطين مارسوا القمع ضدهم، ومن الأمثلة على ذلك ما قام به السلطان برقوق تجاه الأتراك الأشرفية وما قام به فرج بن برقوق تجاه المماليك الظاهرية الجراكسة[١].

كما عمد بعض السلاطين إلى عزل القرانيص عن وظائفهم وإعتقالهم، أو إخراج إقطاعاتهم عنهم، كما فعل الظاهر جقمق مع الأشرفية (برسباي) سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م[٢]، أو نفيهم خارج القاهرة كما فعل السلطان إينال مع الظاهرية الجقمقية سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م[٣].

ورغم وصول بعض السلاطين إلى السلطنة بفضل القرانيص، إلا أن تزايد نشاط هذه الفئة دفع هؤلاء السلاطين إلى إضعاف شوكة القرانيص بقمعهم أو التخلص من زعمائهم المتنفذين، كما فعل خشقدم مع الأشرفية البرسبائية

---

(١) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٧٧؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٢٠٤، ٢٠٥؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ص١٦ب-١٧أ.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٦٥، ٨٧-٩١.
حوادث الدهور، ج٢، ص١٨٠، ١٨١، ٢٣٢-٢٣٣، ٢٣٩-٢٤١.

والظاهرية الجقمقية سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م[١].

كما أرسل السلطان قايتباي طوائف متعددة من القرانيص في حملاته ضد شاه سوار أمير التركمان[٢]، سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م[٣]، وحسن الطويل التركماني[٤] سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م[٥] حيث قتلت أعداداً كبيرة منهم في هذه الحملات.

وأمام كثرة طوائف القرانيص والأزمة المالية في عهده، لجأ السلطان الغوري إلى قطع نفقات القرانيص أكثر من مرة[٦]، واشترط على من يود النفقة الإقامة في أماكن متفرقة خارج القاهرة[٧] واقتصر على إرضاء القرانيص الشباب منهم عندما ظهر خطر العثمانيين بوضوح في مطلع عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، في حين أرسل الشيوخ والعواجز إلى الصعيد وجهات أخرى[٨].

ولما حاول السلطان طومان باي تجهيز حملة لصد العثمانيين عن مصر في ذي القعدة من ذلك العام، رفض القرانيص المشاركة في الحملة، ما لم ينفق عليهم لكل منهم ١٣٠ ديناراً. رغم إفلاس الخزينة في ذلك الوقت[٩]، وقد استمرت فئة القرانيص بعد نهاية دولة المماليك في مصر[١٠].

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٦١-٢٦٢، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠.
ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٨٢، ٣٨٦-٣٨٧، ٤٠٧، ٤٠٩.

(٢) شاه سوار: زعيم إمارة دلغار التركمانية، تولى الإمارة سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م قتل في مصر بعد أسره سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م، طرخان: إبراهيم: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة. القاهرة، ١٩٦٠، ص١٣٢، سيشار إليه: طرخان: مصر.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٧، ٩، ١٢.

(٤) حسن الطويل: ويسمى اوزون حسن زعيم قبيلة الشاه البيضاء التركمانية، توفي عام ٨٨٣هـ/ ١٤٧٢م. طرخان: مصر، ص١٣٥-١٣٨.

(٥) الصيرفي: أبناء الهصر، ص٤٨٤.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٢٨١، ٢٨٥، ٣٢٤، ٤٤٦، ٤٤٨.

(٧) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٤٥٣، ٤٧٩، ٤٨٠.

(٨) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٣، ٣٠.

(٩) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص١٢٦-١٢٧.

(١٠) طرخان: النظم، ص٥٠٠.

جـ- السيفية:

وهم مماليك الأمراء الذين انتقلوا لخدمة السلطان نتيجة وفاة أساتذتهم، أو مصادرتهم أو تقاعدهم، أو تولي أحد هؤلاء الأساتذة السلطنة[1].

ومن الأمثلة على السيفية: مماليك الأمير كَمَشْبُغا الحموي[2] الذين عرضهم السلطان برقوق في صفر سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م بعد اعتقاله في أواخر محرم من ذلك العام[3]، ومماليك الأمير جكم الظاهري المتوفى سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م[4] في عهد فرج والمسمّون (الجكمية)[5]، ومماليك الأمير نوروز الحافظي المتوفي سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م[6] في عهد المؤيد شيخ والمسمّون (النوروزية)[7]، ومماليك الأمير طراباي الشريفي المتوفي في محرم سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م[8]، الذين اختارهم السلطان الغوري في ذلك العام[9]، ومماليك الأمير خايربك المتوفي سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م[10]، الذين عرضهم الغوري ذلك العام، وأرسل جماعة منهم إلى الطباق[11].

---

(١) ابن شاهين: زبدة، ص١١٦؛ العريني: المماليك، ص١٣٠-١٣١.

(٢) الأمير الكبير سيف الدين كمشبغا الحموي ولي نيابة الشام سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م، ساند برقوق ضد منطاش في حلب، توفي سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م. المقريزي: المقفى، ج٥، ص٩-١١.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٩٥.

(٤) الأمير جكم الظاهري برقوق، نائب حلب أعلن العصيان على السلطان فرج، قتل في سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٧٦.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج١، ص٩٥.

(٦) الأمير سيف الدين نوروز بن عبد الله الحافظي، من مماليك برقوق، كانت له وقائع مع شيخ ضد السلطان فرج سنة ٨١٤-٨١٥هـ/ ١٤١١-١٤١٢م، قتل سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٢٨.

(٧) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج١، ص٩٥.

(٨) لم أجد له ترجمة.

(٩) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٢٠٩.

(١٠) لم أجد له ترجمة.

(١١) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص١٦.

تمتعت السيفية كالقرانيص بخبرات قتالية عالية، نظراً للتجارب التي مروا بها أثناء خدمتهم للأمراء ثم السلاطين، وقد كان المؤيد شيخ يكثر من استخدامهم ويقول: «هؤلاء قاسوا خطوب الدهر، وتأدبوا ومارسوا الأمور والوقائع»[1].

ورغم ذلك تأتي مكانة السيفية دون المشتروات والقرانيص، فكانت شوكتهم ضعيفة لسببين: الأول: قلة أعدادهم، والثاني: عدم وجود رابطة الخشداشية لإنتمائهم إلى عدة أمراء[2]، لذا، فقد تركز نشاطهم غالباً على الإنضمام إلى جانب القرانيص في ثوراتهم ضد السلاطين وأجلابهم طوال عصر دولة المماليك الثانية[3].

تعد المماليك السلطانية العمود الفقري لجيش المماليك، فهم «أعظم الأجناد شأناً وأرفعهم قدراً، وأشدّهم إلى السلطان قرباً، وأوفرهم إقطاعاً، ومنهم تؤمر الأجناد رتبة بعد رتبة»[4]، وتقيم المماليك السلطانية مع السلطان في القلعة، ولا يوجد في جيوش نيابات بلاد الشام مماليك سلطانية «لأنهم لا يكونون إلا بحضرة السلطان»[5].

واقتصر وجود المماليك السلطانية في دولة المماليك الثانية خارج مصر على ثلاثة مواقع رئيسة، أولها: مكة المكرمة، وأطلق على المقيمين فيها، مصطلح «المجاورين»، لأنهم يجاورون مكة والبيت الحرام، وهي فرقة مكونة من خمسين

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١١٢.

(٢) العريني: المماليك، ص٣٣.

(٣) انظر مثلاً: المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص١٠٤٩-١٠٥٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٠٥، ٢٣٥، ج١٦، ص٣٨-٤٠، ٩٠، ٢٣٤، ٢٤٢-٢٤٣.

ابن الشحنة، عفيف الدين حسين بن محمد بن محمد (ت بعد ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م): البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤، ص٦٢، ٧٠-٧١، ٧٦، ٨١، سيشار إليه: ابن الشحنة: البدر الزاهر.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٥-١٦.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٨٢.

مملوكاً في الغالب، يخرجون مع محمل الحج سنوياً، وتتجدد هذه الفرقة باستمرار في كل موسم[١]، وعليها مقدم يسمى «باش المجاورين»[٢]، وقد ظلت هذه الفرقة مسؤولة عن السيطرة على الفتن وثورات العربان وقطّاع الطرق ضد الحجاج، والتدخل في النزاعات التي تقع بين أشراف مكة[٣] وبقيت هذه الفرقة حتى نهاية دولة المماليك[٤].

كما وجدت فرقة من المماليك السلطانية في قبرص منذ سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م، لمساندة صاحبها جاكم الموالي للسلطنة المملوكية[٥]، والفرقة الثالثة وجدت في النوبة تتجدد سنوياً وتقيم في الأبراج التي أنشئت هناك ابتداء من عام ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م[٦].

واعتمد السلاطين الجراكسة على المماليك السلطانية اعتماداً رئيسياً في حملاتهم العسكرية، واختلفت الأعداد المشاركة في تلك الحملات بحسب أهمية وحجم الحملة، ففي عهد برسباي خاض الجيش ثلاث حملات لفتح جزيرة قبرص خلال السنوات (٨٢٧-٨٢٩هـ/ ١٤٢٣-١٤٢٥م) تمكن في الحملة الثالثة من إخضاعها بقوة شارك فيها ثلاثة آلاف مملوك سلطاني[٧]، وغزا

---

(١) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج٢، ص٣٠٩.
ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٥١-١٥٢.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٧٤، ج١٦، ص١٢٩، ٢٠٠-٢٠١، ٢١٦.
حوادث الدهور، ج١، ص١٣٧، ج٢، ص٣٠٩، ٣٩٣؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٢١، ٢٤٣، ٢٩٣، ج٤، ص١٤٥، ٢٢٨، ٢٩٧، ٣٦١، ٤٠٩، ٤١٢، ٤٨١.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٤٩، ٣٥٤-٣٥٥.
السخاوي: التبر المسبوك، ص١٤-١٥؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٢٣١، ج٤، ص٣٠٧.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٢٢٩.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٥٢-١٥٣.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٤، ١٥٧، ويعتقد أيالون أن هذه الفرقة وجدت لقمع الشعب النوبي: انظر:
Ayalon: Studies (1), P.205

(٧) العيني: عقد الجمان (٨٢٤-٨٥٠هـ)، ص٢٧٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٦٨، ٢٧٦.

السلطان برسباي آمد في أواخر عام ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م، ومعه من المماليك السلطانية ثلاثة آلاف مملوك أيضاً[١].

وخاص الجيش في عهد السلطان جقمق ثلاث حملات لفتح جزيرة رودس بين (٨٤١-٨٤٨هـ/ ١٤٣٧-١٤٤٤م) بلغ مجموع من شارك في كل منها بين ألف إلى ألف وخمسمائة مملوك سلطاني[٢].

وأرسل السلطان قايتباي ثلاث حملات ضد شاه سوار التركماني، الذي تزايد خطره على حدود السلطنة خلال السنوات (٨٧٣-٨٧٥هـ/ ١٤٦٨-١٤٧٠م) شارك في الأولى ما بين ٦٠٠-١٠٠٠ مملوك سلطاني[٣]، وفي الثانية بين ١٠٠٠-١٥٠٠ مملوك[٤]، وفي الثالثة ألف وقيل ألفي مملوك سلطاني[٥].

كما أرسل قايتباي أيضاً حملة عسكرية تمكنت من هزيمة حسن الطويل زعيم التركمان، الذي تزايد خطره على بلاد الشام سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م، شارك فيها ٢٥٠٠ مملوك سلطاني[٦]، وبين سنتي (٨٨٨-٨٨٩هـ/ ١٤٨٣-١٤٨٤م) أرسل قايتباي حملة ضد علي دولات أمير التركمان[٧]، لزحفه على بلاد السلطنة، فيها ألف[٨]، وقيل ألفي مملوك سلطاني[٩].

---

(١) العيني: عقد الجمان (٨٢٤-٨٥٠)، ص٤٢٨.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٧٠.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٦٠.
السخاوي: التبر المسبوك، ص٦٣، ٨٨.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٦٢؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٩.

(٤) الصيرفي: أنباء الصهر، ص٥٧؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص١٥.

(٥) الصيرفي: أنباء الصهر، ص١٩٢.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٨٠-٨١.

(٧) علي دولات: وهو علاء الدولة ولي إمارة دلغار التركمانية عام ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م قتل في الحرب ضد العثمانيين عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥م؛ طرخان: مصر، ص١٣٤.

(٨) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٠٧؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٣٣٦أ.

(٩) البصروي، علاء الدين علي بن يوسف (ت ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م): تاريخ البصروي، تحقيق أكرم العلبي، دمشق ١٩٨٨، ص٩٤، سيشار إليه: البصروي: تاريخ.

وخلال السنوات (٨٩٣-٨٩٥هـ/ ١٤٨٧-١٤٨٩م) خاض جيش المماليك ثلاث حملات ناجحة ضد العثمانيين، بلغ عدد المماليك السلطانية المشاركين في كل منها من ثلاثة إلى أربعة آلاف مملوك[1].

وفي سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م، أرسل السلطان الغوري حملة إلى حلب لظهور خطر العثمانيين والصفويين على حدود السلطنة، قوامها من المماليك السلطانية بين ٢٠٠٠-٣٠٠٠ مملوك[2]، وعندما خرج الغوري لقتال العثمانيين في مرج دابق في سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، كان لديه حوالي سبعة آلاف مملوك سلطاني، أخذ منهم خمسة آلاف مملوك وترك الباقي في القاهرة[3].

كما اعتمد السلاطين على المماليك السلطانية في إخضاع حركات العصيان التي قام بها بعض الأمراء[4]، وإخماد ثورات العربان، وتراوحت أعدادهم في مثل هذه الحالات بين ٢٠٠-٦٠٠ مملوك[5].

أما بالنسبة إلى أعداد المماليك السلطانية في دولة المماليك الثانية فلم تتجاوز غالباً السبعة آلاف مملوك، ويعود إنخفاض أعدادهم بهذه الصورة إلى كثرة الثورات والفتن بين طوائف المماليك السلطانية، واشتراكهم في بعض الحملات، إضافة إلى موجات الطاعون التي كان لها دور كبير في هذا

---

(١) البصروي: تاريخ، ص١٠٥؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٢٠، ٢٥٠، ٢٧٠-٢٧١؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٣٧٦أ، ٣٩٣ب.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٣٨١، ٣٨٢، ٣٩٠.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٤٤-٤٥.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٦٠، ج١٢، ص٢٠٣، ٢٠٩، ٢١٤، ج١٣، ص١٠٨، ١٣٩-١٤٠، ١٤٤-١٤٥، ج١٤، ص٣٥، ج١٥، ص٣١٧-٣٢١.
الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص١٨٧، ج٢، ص٥٧، ٢٦٣-٢٧٢، ٣٠٥-٣٠٩.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٣٠، ج١٦، ص٢٦٤، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، حوادث الدهور، ج١، ص٤٧، ج٢، ص٢١٨، ٢٤٠-٢٤٣.
السخاوي: التبر المسبوك، ص١٠٢، ١١٧؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٦١، ٣٨٤-٣٨٥، ٤١٨، ٤٤٨، ج٤، ص٥١-٥٢.

الإنخفاض[١]، وقد كان أعنف هذه الموجات ما حدث سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م، إذ هلك في هذا الطاعون أكثر من ألف ومئتي مملوك من مشتروات السلطان برسباي[٢]، وطاعون عام ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م الذي أفنى نصف المماليك السلطانية كما يذكر ابن إياس[٣] وذكر المقريزي أنه مات في هذا الطاعون نحو ألف مملوك سلطاني[٤].

وفي طاعون عام ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م، هلك من أجلاب السلطان إينال ألف وأربعمائة مملوك[٥]، وذكر عبد الباسط أنهم ألفين وأربعمائة مملوك[٦]، وفي طاعون عام ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م هلك نحو ألفي مملوك سلطاني[٧] وفي طاعون عام ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م مات أكثر من ألفي ومئتي مملوك سلطاني[٨].

والواقع أن موجات الطاعون كانت أشد عنفاً على فئة المشتروات من المماليك السلطانية لصغر سن هؤلاء المماليك من ناحية، وإكتظاظهم في الطباق من ناحية أخرى، مما أدى إلى تدني أعداد المماليك السلطانية بهذه الصورة في دولة المماليك الثانية[٩].

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٤٠، ج١٥، ص٩٢، ٩٩، ج١٦، ص١٤٥، ١٤٧؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٢٦، ١٢٨، ١٨١، ٢٤١، ٢٨٤، ٢٧٢، ٣٦٣، ج٣، ص٢٨، ١٢٤، ٢٨٧، ٢٨٩، ٣٩١، ج٤، ص٧٦، ٧٩، ٣٠١-٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٧-٣٠٩؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ١٣١ب، ٢٧٦ب، ٢٧٨أ.

(٢) العيني: عقد الجمان (٨٢٤-٨٥٠هـ)، ص٣٨٠.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٨٦.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص١٠٤٢.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٤٥، ١٤٧؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٦١؛ Ayalon: the plague, P. 70,71.

(٦) عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ١٣١ب.

(٧) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص١٢٤؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٢٧٦ب، ٢٧٨أ؛ Ayalon: the plague, P.70

(٨) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٨١.

(٩) Ayalon: the plague, P.71

٢- مماليك الأمراء:

وهي ثاني فرق الجيش المملوكي، وتشبه فرقة المماليك السلطانية، إلا أن أفرادها يتبعون الأمراء مباشرة، فتسمى مماليك الأمراء أو أجناد الأمراء[١]، فقد كان الأمراء يقتنون المماليك كل حسب ما تسمح به رتبته العسكرية وثروته، ويشكّل هؤلاء المماليك جيش الأمير الخاص به، فيكونون في خدمته أثناء السلم[٢]، وفي صحبته في القتال أثناء الحرب.

لم تحدد المصادر كيفية شراء الأمراء لمماليكهم، ولا التربية التي يتبعونها معهم، وربما تعود هذه التربية إلى اهتمام الأمراء أنفسهم بها، فمثلاً يستشف من تراجم الأمراء الذين كانوا مماليكاً للمؤيد شيخ قبل أن يتسلطن، وترقوا في سلم الرتب العسكرية، على أن شيخاً كان مهتماً بتربية وتدريب مماليكه، خاصة وأن أغلبهم عانى مع المؤيد المحن والوقائع أيام إمرته[٣]، على العكس مثلاً من الأمير تغري برمش نائب حلب[٤]، الذي خذله مماليكه في عصيانه ضد السلطان جقمق سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م، لأنهم «كانوا على مذهب أستاذهم في الجبن والخوف وعدم الثبات في القتال»[٥]، كما تفسر الكثير من حوادث اعتداء بعض المماليك على أمرائهم سوء العلاقة بين الطرفين لسوء التربية فيما يبدو[٦].

اعتمد الأمراء على مماليكهم في الخروج إلى القتال جنباً إلى جنب مع

---

(١) طرخان: النظم، ص١٥٤؛ Ayalon: Studies (2), P.459

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٦٠.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٣٢، ١٤٦، المنهل الصافي، ج٣، ص٧٨-٧٩؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٥٧.

(٤) هو الأمير حسين بن أحمد نائب حلب، ثار ضد السلطان جقمق سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م، وقتل في هذه السنة. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٤٧١-٤٧٣.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٩٣.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤١٠، حوادث الدهور، ج١، ص٦.
ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٥٩١، ج٢، ص٢٧٥.
عبد الباسط: نيل الأمل، ج١، ورقة ١٨١ب.

المماليك السلطانية[1]، كما استعان كثير من الأمراء بمماليكهم في النزاعات والثورات الداخلية أيام الاضطرابات السياسية[2]، ولهذا السبب لم تكن أعداد المماليك محددة بالنسبة إلى الأمير، ففي الوقت الذي حددت فيه الرتبة العسكرية الحد الأدنى لمماليك كل أمير[3]، فإن الحد الأقصى لذلك العدد ظل مفتوحاً ومرتبطاً بقوة الأمير وثرائه، ووضع البلاد السياسي، فبعض الأمراء حازوا أعداداً كبيرة من المماليك[4]، ومن الأمثلة على ذلك الأمير جكم نائب حلب (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م) الذي كان في خدمته ألف وخمسمائة مملوك[5]، والأمير تغري بردي الكَمَشْبَغاوي (ت ٨١٥هـ/١٤١٢م) الذي كان لديه نحو ألف مملوك[6]، وتراوحت مماليك كبار الأمراء بين ٢٠٠-٤٠٠ مملوك[7].

وأشار ابن شاهين الظاهري (ت٨٧٣هـ/١٤٦٨م) إلى أعداد مماليك الأمراء في مصر والشام على النحو التالي: مصر ٨,٠٠٠، دمشق ٣,٠٠٠، حلب

---

(١) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٦٣، ق٢، ص٣٥٠؛ المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٩١٦، ٩١٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٢٢، ج١٤، ص٢٧٥، ج١٦، ص١٥٢-١٥٣؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج٢، ص٨٤-٨٥؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ٥٩، ٧٩، ج٤، ص٤٠٠-٤٠١، ج٥، ص٤٤، ١٤٤.
عبد الباسط: نيل الأمل، ج١، ورقة ٢٨٧أ، ج٢، ورقة ٣٧٦أ، ٣٩٣ب.

(٢) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص١١٧-١٢٤، ١٨٣-١٨٥.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٣٢-٢٣٤، ٣٣٧، ٣٣٨، ج١٢، ص١٤-١٥، ٨٢، ٢٠٤، ٢٣٤، ٢٩١، ٢٩٤، ج١٣، ص٥٤-٥٥، ٦٣، ٦٤، ٧٠، ٨٠، ١٠٤، ١٠٩، ١١٠، ١٣٢، ج١٤، ص٣٢، ٥٨، ٦٢، ١٧٠، ١٨٧-١٨٨، ٢٦١-٢٦٢، ٣١٧، ٣٢٨-٣٢٩، ج١٥، ص٢٨٥، ٢٣٤-٢٥٧، ٢٦٤-٢٨٠، ٤١٠-٤٢٠، ج١٦، ص٨٧.

(٣) انظر الحديث عن الرتب في الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٢٩، ج١٥، ص٢٨٤، ٢٩٣، ٤٧٣.

(٥) ابن شاهين: زبدة، ص١٣٢-١٣٣.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٤٣.

(٧) الصيرفي: أبناء الهصر، ص١٢٦، ٣٦٩؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٥٨.
ابن إياس: بدائع، ج٥، ص١٢٠؛ Ayalon: Studies (2), P.466

٢.٠٠٠، طرابلس ١.٠٠٠، صفد ١.٠٠٠، غزة ١.٠٠٠ مملوك إضافة إلى أجناد الحلقة[١].

ولما كان ازدياد نفوذ كبار الأمراء يهدد السلطان القائم، فقد قام بعض السلاطين باعتقال أو عزل الأمراء الذين يكثرون من شراء المماليك، فالسلطان برقوق دبّر اعتقال الأمير الطنبغا الجوباني في شوال سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م لأنه أكثر من شراء المماليك حتى زادوا عن الألف مملوك[٢]، وقام السلطان برسباي بعزل الأمير سودون بن عبد الرحمن[٣] عن نيابة دمشق في محرم سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م لأنه أكثر من شراء المماليك وعزم على الخروج عن الطاعة[٤].

ويقوم الأمير الذي يصل إلى السلطنة بترقية مماليكه المميزين إلى الرتب العليا في الجيش، ممن كانوا سنداً له أيام إمرته، كما فعل المؤيد شيخ مع مماليكه الذين قاسوا معه المحن أيام إمرته ثم رقاهم بعد سلطنته[٥]، وقام الظاهر ططر بترقية مماليكه ممن كانوا في خدمته قبل سلطنته إلى خاصكية وأرباب وظائف بعد أن تسلطن[٦].

أما إذا توفي الأمير أو عُزل عن منصبه أو اعُتقل، فإن مماليكه ينتقلون إلى خدمة السلطان، فيتحولون بذلك إلى مماليك سلطانية (سيفية)، أو ينتقلون أحياناً إلى خدمة بعض الأمراء[٧].

---

(١) ابن شاهين: زبدة، ص١٠٤.

(٢) ابن حجر: أنباء الغمر، ج٢، ص٢٨١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٥٣.

(٣) سودون من عبد الرحمن الظاهري (برقوق)، تولى نيابة دمشق سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م. توفي سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٢٧٥-٢٧٦.

(٤) ابن حجر: أنباء الغمر، ج٨، ص٣٨-٣٩.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٣٢، ١٤١، المنهل الصافي، ج٣، ص٧٨-٧٩؛ السخاوي: الضوء، ج٢، ص٥٧.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٠٢.

(٧) Ayalon: Studies (2), P.460؛ وانظر الحديث عن السيفية فيما سبق.

٣- أجناد الحلقة:

استمرت فرقة أجناد الحلقة بالتراجع في دولة المماليك الثانية، حتى أصبحت أقل فرق الجيش أهمية، ففي سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م ظهر تيمور لنك على بلاد الشام، فحاول السلطان برقوق الاستفادة من أجناد الحلقة في صد هذا الخطر، فأمر بعرض أجناد الحلقة في ربيع الأول من ذلك العام، فتضرروا من هذا العرض فأبطل(١)، ثم عاد في جمادى الآخر فاختار ثلاثمائة جندي منهم ممن يصلح للقتال وترك المشايخ والصغار(٢).

وأصبح اعتماد السلاطين على أجناد الحلقة يتلخص في اختيار أعداد قليلة منهم للقتال، وترك باقيهم لحراسة القلعة، وحفظ أبواب القاهرة في غياب العسكر(٣) أو تقديم الخيول بدل الاشتراك في السفر، كما فعل الأمير منطاش معهم أواخر عام ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م عندما استعد لقتال السلطان برقوق(٤) أو إقامة بديل عن العاجز للسفر أو دفع بدل مالي مقابل ذلك، كما فعل السلطان فرج معهم عندما اجتاح تيمور لنك بلاد الشام سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م(٥).

وحاول المؤيد شيخ إصلاح أجناد الحلقة، عن طريق إشراكهم فعلياً في المعارك، وكان أغلب أجناد الحلقة آنذاك قد تحولوا إلى خدمة الأمراء(٦)، فعندما ظهر خطر قرا يوسف التركماني(٧) على بلاد الشام في شعبان سنة

---

(١) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٢٥؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٥١٦.

(٢) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص١١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٤٧.

(٣) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٧٣، ٨٠، ١٦٣، ج٩، ق٢، ص٢٦٢-٢٦٤، ٣٦٥-٣٦٦؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٩٧، ٨٠٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٧٣، ٢٧٩، ج١٢، ص٥٢.

(٤) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص١٦٥، ١٦٦.

(٥) العيني: عقد الجمان (مخطوط) ورقة٤٥أ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٤٩-٢٥٠.

(٦) ابن حجر: أنباء الغمر، ج٧، ص٣١٦، ٣١٧.

(٧) قرا يوسف التركماني: زعيم دولة الشاه السوداء (قرة قيونلو) الواقعة جنوبي بحيرة وان، توفي سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م؛ طرخان: مصر، ص١٢٠.

٨٢١هـ/ ١٤١٨م، أمر السلطان المؤيد بعض أجناد الحلقة وشدّد عليهم في ذلك[١]، وكانوا آنذاك نحو ألف نفر[٢]، وقام في شهر رمضان بتخييرهم بين البقاء في خدمة الأمراء وقطع اقطاعاتهم، أو الاحتفاظ بالإقطاعات، وترك خدمة الأمراء، فاختار بعضهم الإقطاعات، وآخرون الخدمة، وشكا بعضهم قلة إقطاعه فزاده[٣].

وعَرف السلطان المؤيد شيخ سبب تقاعس أجناد الحلقة عن القتال وهو قلة إقطاعاتهم، فقام في الشهر نفسه، بعرض ما يزيد على أربعمائة جندي منهم من مختلف الفئات الاجتماعية، وقام بإشراك ذوي الإقطاعات الضعيفة مع أصحاب الإقطاعات الكبيرة، وألزم كل أربعة تجهيز واحد منهم للقتال والقيام بكلفته[٤]، إلا أن جهوده لم تثمر ولم تسهم في إصلاح الحلقة. إذ عاد في ذي الحجة من ذلك العام إلى سياسة البدل المالي عندما عين حملة إلى بلاد التركمان فألزم من يود الإقامة منهم دفع بدل مالي مقابل ذلك[٥].

وفي عهد السلطان برسباي ظهر خطر التتار على بلاد الشام في ربيع الآخر سنة ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م، فأمر بعرض أجناد الحلقة من المشايخ والأطفال والعميان وخاطبهم قائلاً «أنا ما أعمل معكم كما عمل الملك المؤيد من أخذ المال منكم، ولكن اخرجوا جميعكم، فمن قدر منكم على فرس ركب فرساً، ومن قدر على حمار ركب حماراً»[٦]. فتضرر أجناد الحلقة من ذوي الإقطاعات الضعيفة التي

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص٤٦٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٦٨.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤٠.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص٤٦١-٤٦٢؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج٧، ص٣١٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٦٩-٧٠؛ Ayalon: Halka EI_2 (3), P.99

(٤) المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص٤٦٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٧١-٧٢.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص٤٧٠، ٤٧١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٧٥.

(٦) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٩٦٢، ٩٦٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٦٨-٦٩.

ألزمت بالسفر، وترك ذوي الإقطاعات الكبيرة لشوكتهم ومحسوبيتهم[1]، حتى ترك كثير من أجناد الحلقة إقطاعاتهم وهربوا من مصر[2].

وفي سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م عُرضت أجناد الحلقة، فصعدوا إلى القلعة، وهم في غاية الذل بسبب فقرهم وتدني إقطاعاتهم[3].

أما في جيوش النيابات الشامية، فقد كانت الحلقة أفضل حالاً من مصر، ومع أن المعلومات شحيحة عن أجناد الحلقة في الشام، إلا أنه يستشف من اشتراك جيوش النيابات الشامية في بعض الحملات[4]، على أن أجناد الحلقة في الشام ظلت تشكل جزءاً هاماً من جيوش النيابات لاعتماد تلك الجيوش على أجناد الحلقة ومماليك الأمراء بالدرجة الأولى.

وقد أشار ابن شاهين إلى أعداد أجناد الحلقة في جيوش النيابات الشامية كما يلي: دمشق ١٢ألف، حلب ٦آلاف، طرابلس ٤آلاف، صفد ألف، غزة ألف مع مماليك الأمراء[5]، ومع أن ابن شاهين لم يحدد الفترة التي وجدت فيها هذه الأعداد، فإن ذكره لأجناد الحلقة في مصر البالغ ٢٤ألف جندي، يحمل على الاعتقاد بأن هذه الأعداد تعود إلى دولة المماليك الأولى وبالتحديد أيام الناصر محمد بن قلاوون عندما كانت أجناد الحلقة تشكل هذا العدد الكبير.

ومنذ نهاية عصر السلطان برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢١-١٤٣٧م) حل مصطلح «أولاد الناس» تدريجياً محل أجناد الحلقة، وهو لقب أطلق على أبناء السلاطين والأمراء الذين ولدوا أحراراً في مصر[6]، وتأهلوا للدخول في أجناد

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٦٩.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٧١.

(٣) الصيرفي: أنباء الهصر، ص٤٩٠، ٥٠٦.

(٤) العيني: عقد الجمان (٨٢٤-٨٥٠هـ)، ص٤٢٩-٤٣٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٢٠-٢٢١؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤٤٤، ٤٤٥، ٤٥١، ج٣، ص٢١٠.

(٥) ابن شاهين: زبدة، ص١٠٤.

(٦) العريني: المماليك، ص١٦٤-١٦٥؛ Ayalon: Studies (2), P.458; Glubb: soldier, P.137

الحلقة[1]، والواقع أن أولاد الناس لم يكونوا أفضل حالاً من باقي فئات أجناد الحلقة، إذ جرى السلاطين منذ النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي على عادة قطع نفقات وجامكيات أولاد الناس بسبب الأزمات المالية التي مرت بها السلطنة[2].

ويرجع أول موقف متشدد ضد أولاد الناس إلى رجب سنة ٨٧٢هـ/ ١٦٤٧م، عندما عين السلطان قايتباي جيشاً لقتال شاه سوار التركماني، إذ ضيق على أولاد الناس وألزمهم بالسفر أو إقامة بديل أو دفع بدل مالي مقابل ذلك[3]، وتكرر ذلك سنة ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م[4].

ولجأ قايتباي في سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م إلى اختبار قدرات أولاد الناس القتالية في مجال الرمي بالنشاب، وهدد من يخفق في سحب القوس والرمي به بقطع جامكيته أو دفع بدل مالي عنه في حالة الخروج للقتال، فتضرر كثير منهم من ذلك[5]، وقام في سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م، وسنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م باختبارهم في مجال اللعب بالرمح فحصل لهم غاية المشقة[6]، وذكر الصيرفي أن كثيراً من أولاد الناس لم يحسنوا الرمي بالنشاب، وأن قايتباي أمرهم بالتمرن إلا أن كبرهم وعجزهم حال دون ذلك[7].

وفي عهد السلطان الغوري شاركت فئة أولاد الناس في عسكر الطبقة الخامسة التي استجدها في عام ٩١٦هـ/ ١٥١٠م[8]، كما شاركت في بعض المهام

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٦.

(٢) انظر الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٨.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢١٩.

(٥) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٠-٢١، ٢٢، ٢٦.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٧٥؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٢٧٨أ.

(٧) الصيرفي: أنباء الهصر، ص٥٠١-٥٠٢.

(٨) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٢٠٦، ٢٦٠، ٢٦٩، ٣٢٤، ٤٣٦، ٤٤٤، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦٦-٤٦٧.

مع فرق أخرى كالمماليك السلطانية[1]، وعندما خرج السلطان الغوري إلى مرج دابق لقتال العثمانيين سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، خرج مع العسكر جماعة من أولاد الناس، وبقيت منهم جماعة في القاهرة لحراستها[2].

وقد اتجه العديد من أولاد الناس في دولة المماليك الثانية إلى ترك الخدمة العسكرية والتوجه نحو الدراسات الفقهية[3]، واستمرت هذه الفئة بعد نهاية عصر المماليك[4]، وانضم بعضهم إلى فرق الجيش العثماني[5].

هذا ما وصلت إليه فرقة أجناد الحلقة من تراجع وتدهور في دولة المماليك الثانية، فبعد أن كان عدد أجنادها أيام الناصر محمد بن قلاوون ٢٤ألف جندي، أصبحت زمن المقريزي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) مع المماليك السلطانية لا تتجاوز الخمسة آلاف مملوك لا يصلح أن يباشر القتال منها ألف أو دونها[6]، وتراجعت مكانتها القتالية، فبعد أن كانت القوة الرئيسة للجيش في بداية عصر المماليك، أصبحت في هذه الفترة تقتصر مهامها على حراسة القلعة والقاهرة أثناء خروج العسكر للقتال[7] ثم أهمل هذا الواجب في نهاية عصر المماليك سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م[8].

ويعود سبب تراجع أجناد الحلقة إلى عاملين هامّين، أولهما: بشري يتعلق بدخول عناصر بشرية غير مؤهلة للقتال في هذه الفرقة، لنزول كثير من أجناد الحلقة عن إقطاعاتهم[9]، والعامل الثاني: عامل اقتصادي يتعلق بتدني دخل

(١) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٢٩، ٣١٠-٣١٢، ٣٨٢.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٢٤، ٢٧، ٢٨، ٤٤-٤٥.

(٣) Ayalon: Studies (2), P.458.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص١٥٠، ١٥١، ١٦٢، ١٩٤، ٢٢٨.

(٥) بولياك: الإقطاعية، ص١١٦.

(٦) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج١، ص٩٥.

(٧) Ayalon: Halka, EI_2 (3), P.99.

(٨) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٥٠.

(٩) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٦؛ Ayalon: Studies (2), P.455

إقطاعات أجناد هذه الفرقة، نتيجة عمليات مسح الأراضي (الروك) في دولة المماليك الأولى، ولهذا وضع المقريزي أغلب أجناد الحلقة في عصره ضمن الطبقة الفقيرة في المجتمع المصري[1]، ووصف بولياك هذه الفرقة في دولة المماليك الثانية بأنها «هيكلاً جيشياً جرد من قيمته العسكرية»[2].

٤- الفرق المستجدة:

شهد مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، تكوين فرق جديدة في جيش المماليك نتيجة ظهور السلاح الناري الذي شاع استخدامه في العالم آنذاك.

ترجع أول إشارة واضحة عن تشكيل فرق خاصة بالأسلحة النارية، وعلى الأخص البنادق إلى ربيع الأول سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م، عندما عرض السلطان قايتباي أولاد الناس ممن رواتبهم من ألف درهم وما دون، وكان قد أمرهم بتعلم رمي البندق الرصاص، فلما رموا جيداً عينهم في الحملة المعدّة لقتال العثمانيين في ذلك العام[3].

على أن أول فرقة من حملة البنادق قد بدأت فعلاً أيام الناصر محمد بن قايتباي، الذي سعى إلى تشكيل فرقة من هذا النوع سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م[4]، ولما كانت الفروسية في عصر المماليك تعتمد على الخيل والسيف فإن الناصر محمد عمد إلى عناصر بشرية من غير المماليك فوقع اختياره على العبيد السود، وشكل

---

(١) المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق زيادة والشيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠، ص٧٢-٧٣، سيشار إليه: المقريزي: إغاثة الأمة.

(٢) بولياك: الإقطاعية، ص٨٩.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٦٩ (الهامش).

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٤٣؛ Ayalon: Barud EI2 (1) P.1060؛ الخادم: سمير: السلاح الناري وأثره في الشرق، دار النهار، بيروت، ١٩٨٠، ص١٠٨، سيشار إليه: الخادم: السلاح الناري.

منهم الفرقة التي سميت العبيد النَفْطية أو رُماة البُندق الرصاص[1]، والتي استخدمها في صراعه مع الأمير قانصوه خمسمائة[2] في جمادى الأولى سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م[3]، وقامت هذه الفرقة باستعراض عسكري في ربيع الآخر من سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م، ورمت من خلاله النفوط[4]، إلا أن خطوة الناصر هذه أثارت سخط واستياء المماليك لسببين، الأول: استحداث سلاح جديد لم يألفوه،ولن يتمكنوا من التأقلم معه، لتعوّدهم على نظام الفروسية التقليدي، والثاني: تقديم العبيد السود ذوي المكانة الاجتماعية الوضيعة لحمل هذا السلاح والتعامل معه، وقد عبّر ابن إياس عن هذا الاستياء بقوله «وقد بهدل حرمة المملكة ولم يقع من أبناء الملوك من السواقط ما وقع من الناصر هذا»[5]، وعبّر المماليك عن سخطهم بقتل أحد العبيد السود المقربين من السلطان[6]، ثم اغتيال السلطان نفسه في سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م[7].

استمر ذكر رُماة البندق الرصاص والنَفطية بعد عصر الناصر محمد[8]، خاصة في عهد السلطان طومان باي، إذ ساندت فرقة العبيد النفطية الرماة هذا السلطان في حروبه الأخيرة مع العثمانيين سنة ٩٢٢-٩٢٣هـ/ ١٥١٦-١٥١٧م[9].

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٤٣، ٣٨٣.

(٢) قانصوه خمسمائة: من كبار الأمراء في عهد الناصر محمد بن قايتباي، وتولى العديد من الوظائف أهمها أتابكية العسكر، تسلطن سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م، لمدة ثلاثة أشهر؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٥٤.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٤٣.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٨٣.

(٥) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٨٣، وانظر ص٣٨٧ من المصدر ذاته.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٨٧؛ الخادم: السلاح الناري، ص١٠٨-١٠٩.

(٧) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٤٠٧.

(٨) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٤٦٤، ج٤، ص٣٠٨، ج٥، ص٣٤-٣٥؛ ابن طولون: مفاكهة الخلان، ق١، ص٢٦٠.

(٩) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص١٠٢-١٠٣، ١٢١، ١٣٤، ١٣٨، ١٤٦، ١٥٥؛ الخادم: السلاح الناري، ص١١٠.

وكانت خطوة الناصر محمد تجاه هذا النوع من التشكيل حافزاً للسلطان الغوري للمضي في هذا الاتجاه، فقد شهد عصر هذا السلطان إتجاهين جديدين فيما يتعلق بالأخطار المحيطة بالسلطنة في عهده، الأول: إحياء نظام الفروسية التقليدي في مواجهة خطر العثمانيين والصفويين[١]، والثاني: محاولة الاستفادة من الأسلحة النارية في مواجهة خطر البرتغاليين الذين استخدموا هذا السلاح، فركز السلطان الغوري على صناعة مكاحل النفط وتوزيعها على عدة أماكن كالإسكندرية وغيرها في الفترة بين (٩١٦-٩٢٠هـ/ ١٥١٠-١٥١٤م)[٢].

ثم سعى السلطان الغوري إلى تشكيل فرقة جديدة لمواجهة خطر البرتغاليين، بين الأعوام (٩١١-٩١٦هـ/ ١٥٠٥-١٥١٠م) [٣]، عرفت بـ «الطبقة الخامسة»، وسميت كذلك لأنها تتسلم رواتبها في غير الأيام الأربعة التي توزع فيها نفقة باقي العسكر[٤]، كما أطلق عليها «العسكر الملفق» لأنها ضمت عناصر متباينة أهمها أولاد الناس، إضافة إلى تركمان وأعاجم وحرفيين وغيرهم[٥].

وقد أشار ابن إياس إلى روح الاستياء عند المماليك من تشكيل هذه الفرقة، بقوله «وقد تزايد أمر هذه المماليك الأراذل الذين صار يستكثر منهم في الديوان، ففيهم من لا يعرف يجذب القوس ولا يمسك الرمح»[٦]، وكان رد السلطان على هذا الاستياء بقوله للمماليك أنه جعل هذا العسكر المُستَجّد فداءً لهم في المعارك والحملات[٧].

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٤٥، ٤٧، ٧٠، ٧٢، ١٢٤، ١٤٥، ١٥١، ١٨٠، ١٨٢، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٦٩، ٣٧١، ٣٧٩، ٣٨١، ٤٤٠، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٥٥.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٩١، ١٩٢، ٢٢٩-٢٣٠، ٢٤٣، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٤-٢٦٥، ٢٦٦-٢٦٧، ٢٧٦-٢٧٨، ٢٨٨، ٣٧٤-٣٧٥، ٤١٧، ٤٢٥، ج٥، ص١٤.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٨٤، ٨٥، ٩٥-٩٦، ٢٠٦.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٢٠٠، ٢٠٦؛ Ayalon: Barud EI_2 (1), P.1060

(٥) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٨٤.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٢٠٦.

(٧) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٢٣٦.

استخدم الغوري هذه الفرقة في الحملة الكبرى التي أعدها في مطلع عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥م لقتال البرتغاليين الذين وصل خطرهم إلى سواحل اليمن وجدة، وكانت تشكيلة هذه الحملة كما يلي: خاصكية ٥٠، جمدارية ١٥٠، الطبقة الخامسة ٤٥٠، تركمان ومغاربة بحارة ٥٣٤٤، وشحن معهم المكاحل والمدافع بقيادة رئيس الحملة سليمان العثماني وحسين الكردي[١].

استطاعت الحملة السيطرة على سواحل اليمن وجدة في جمادى الآخر سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م[٢]، ثم وردت الأخبار بغرق المكاحل والمدافع وحصول خلاف بين قادة الحملة[٣]، وآخر الأخبار وردت في شعبان سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، عندما عاد سليمان العثماني وفي صحبته بعض الأسرى، وهذا آخر العهد بعسكر الطبقة الخامسة[٤].

٥-الفرق المحلية:

اعتمد المماليك على عناصر محلية في مصر والشام كفرق مساندة للجيش كالعربان والتركمان والأكراد[٥]، الذين قدّموا الخدمة الحربية نظير ما حصلوا عليه من إقطاعات وامتيازات من السلطنة[٦].

قام العربان والتركمان بدور كبير في مساندة جيوش المماليك في حملاتهم العسكرية، وفي حماية أطراف السلطنة في دولة المماليك الثانية[٧] وتميّز العشير

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٦-٤٦٧.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٨٣.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص١١٥.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٢٠٣.

(٥) العمري: مسالك، ص٢٧؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٥.

(٦) بولياك: الإقطاعية، ص٣٨.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٣٠، ٢٥١، ج١٣، ص٢٠٦، ج١٤، ص٤٧-٤٨، ٧٢، ٣٣١-٣٣٢، ج١٥، ص١٤-١٥، ٢٢-٢٣، ٢٥، ٣٥٨؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج٢، ص٧٣، ج٣، ص٢٦٣-٢٦٤.

بتقديم الخدمة الحربية في بلاد الشام[1]، وعلى الأخص عربان جبل نابلس الذين ترد إشارات متعددة عن مشاركتهم في الجيش خاصة أيام قايتباي[2]، وقد استخدم العشير غالباً على شكل مشاة تتقدم القوة الرئيسة في الجيش[3]، أما الأكراد فقد تقلص دورهم العسكري في دولة المماليك الثانية لاضمحلال الإمارات الأيوبية.

ونظراً لكثرة ثورات العربان في دولة المماليك الثانية[4]، فقد أُطلق على من ساند الجيش المملوكي منهم «عربان الطاعة»[5]، كما أطلق على نظيرهم من التركمان «تركمان الطاعة» تمييزاً لهم عن باقي التركمان الذين كانوا على عداء مع السلطنة[6]، ومن أبرز مشاركات العربان والتركمان، ما قاموا به من قتال في غزوة السلطان برسباي إلى آمد أواخر عام ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م، إذ أثنى عليهم أحد الأمراء قائلاً للسلطان «يا مولانا هؤلاء هم العسكر الذين ينتصر الملوك بهم لا غيرهم»[7].

وفي الوقت الذي شاركت فيه هذه الجماعات جيوش المماليك في حملاتهم ومعاركهم، فإنها أصبحت مادة استغلها بعض الأمراء في ثوراتهم ضد السلاطين

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٨٧، ٣٥٠؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج٨، ص٧٢؛ ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٢٢، عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة٣٢٨ب، ٣٧٥أ.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٢، ٣٦، ٥٤، ٢٥٠، ٢٥٣.

(٣) الصيرفي: أنباء الهصر، ص٥٤، ٦٧؛ ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٤٤٨، ٤٥٨، ج٥، ص٩، ٦٤؛ ابن طولون: مفاكهة الخلان، ق١، ص٩٤، ٢٥٤.

(٤) انظر مثلاً: ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٨، ١٩٣، ٢٦٢، ٣١٤، ٣٦١، ٣٧٣، ٣٨٤-٣٨٥، ٣٩٣، ٣٩٦، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٧، ٤٤٧، ٤٤٨، ج٣، ص١٢-١٣، ٦٢، ٧٠-٧٢، ١٠٥، ١١٩، ٢٣٢، ٢٩٤، ٣٩٣، ٤١٤-٤١٥، ج٤، ص٢٥، ٥١-٥٢، ٩٣، ٩٦، ٩٩، ١٠٤، ١١٥-١١٦، ٢٥٦-٢٥٧، ج٥، ص٨١-٨٢، ١٦٧.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٣١؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص١٦٣.

(٦) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٥٠، ج٩، ق٢، ص٤٠٥؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص٦٧؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٩٤.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٥.

وبخاصة في بلاد الشام[1]، كما أن كراهية العرب عموماً لحكم المماليك منذ البداية جعلت موقفهم من الصراع المملوكي العثماني أيام طومان باي (٩٢٢-٩٢٣هـ/ ١٥١٦-١٥١٧م) يتأرجح بين الانضمام للعثمانيين أو المماليك[2]، ثم تحولت إلى جانب العثمانيين مما عجّل بانتهاء حكم المماليك[3].

ونظراً لتميز الطبقة العسكرية المملوكية عن أهل البلاد بشرياً وعسكرياً، فإن المماليك لم يستخدموا العامة في جيوشهم إلا في بعض الحالات النادرة، كمحاولة السلطان قايتباي الاستفادة من الزُعر في سنة ٨٩١هـ/ ١٤٩٦م، ضد العثمانيين[4]، ومحاولة طومان باي حشد هؤلاء الزُعر ضد العثمانيين في أواخر عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م[5]، على أن أهم مشاركة للعامة في جيش المماليك في هذه الفترة كان على هيئة متطوعة من مصر والشام تأصلت في نفوسهم فكرة الجهاد الإسلامي في غزوات قبرص (٨٢٧-٨٢٩هـ/ ١٤٢٣-١٤٢٥م) [6]. وفي غزوات رودس (٨٤٦-٨٤٨هـ/ ١٤٤٢-١٤٤٤م) [7]، كما يعدّ من العامة من ألحُق ببعض

(١) انظر مثلاً: ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٢٢، ٦٤، ٦٥، ٧٧، ٨٩-٩١، ٩٢-٩٣، ٩٥، ١٥٢، ١٥٧، ١٦٠، ٢١٧، ٢١٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٥٨-٢٦٢، ٢٧٥، ٣٥٣، ٣٥٦، ج١٢، ص١٥، ٤٠، ٢٠١، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩٦، ٣٠٣، ٣١٠، ج١٣، ص٧٦، ٩٩، ج١٤، ص٦، ج١٥، ص٧٩-٨١، ٢٥٤، ٢٨٤، ٢٩٢، ٣١٨، ٣٢٣-٣٢٥.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص١٤٢، ١٤٤، ١٦٣، ١٧١؛ ابن زنبل: تاريخ، ص٤١، ٤٣، ٤٥، ٥١-٥٢، ٥٦-٥٧، ٦٠-٦١، ٧٣-٧٤، ٧٧-٧٨.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص١٧٤-١٧٥؛ ابن زنبل: تاريخ، ص٩٣-٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٨-١٠١.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٣٠؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٣٥٥ب.

(٥) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص١١٩-١٢٠، ١٤٠-١٤١.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٦٨، ٢٦٩-٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٧-٢٨٨، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٠؛ العيني: عقد الجمان (٨٢٥-٨٥٠هـ)، ص٢٧٦؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج٨، ص٧٢؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص٨٦.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٥١-٣٥٢، ٣٦٠-٣٦٣؛ السخاوي: التبر المسبوك، ص٦٣، ٨٧-٨٨.

الحملات العسكرية من الصنّاع والحرفيين من بنائين وحجّارين ونجّارين وغيرهم[1].

٦- خاتمة:

تَبيَّن من خلال دراسة فرق الجيش المملوكي اعتماد هذا الجيش على ثلاثة فرق أساسية طوال عصر المماليك، مع ظهور تطورات واضحة على هذه الفرق خلال فترة المماليك الثانية.

ولقد كانت فرقة المماليك السلطانية أهم هذه الفرق نظراً لكونها شكّلت البنية الأساسية لجيش المماليك، رغم ما طرأ عليها من تطورات خلال هذه الفترة، ففي دولة المماليك الأولى كانت هذه الفرقة تشكل الأساس في تنظيم الجيش، واستمر هذا الدور خلال دولة المماليك الثانية أمام تراجع بعض الفرق كأجناد الحلقة.

ويعود السبب في استمرارية هذا الدور إلى أن هذه الفرقة ارتبطت بالسلطان من خلال جلب عناصرها إلى مصر وتنشئتهم وإقامتهم مع السلطان في القلعة، ودروها الكبير في الصراعات السياسية على السلطة في تلك الفترة.

أما فرقة أجناد الحلقة فقد كان لتراجعها المستمر أسباباً واضحةً تكمن فيما اتخذ من إجراءات بحق أفراد هذه الفرقة عندما أعيد النظر أكثر من مرة في التوزيع الإقطاعي في دولة المماليك الأولى، وكان لهذه الظاهرة نتائجها الخطيرة على المدى البعيد، إذ قلت مدخولات هذه الفرقة من الإقطاع الذي شكل الدخل الرئيسي لها، مما أدى إلى تنازل أفرادها عن إقطاعاتهم مقابل الحصول على المال، ودخول فئات بشرية غير مؤهلة للقتال من العامة ونحوهم إلى هذه الفرقة لشرائهم الإقطاعات، وبالتالي تراجع دورها العسكري، وأصبحت فرقة اجتماعية أكثر منها عسكرية، حتى أن فئة أولاد الناس، ظلت تشكل فئة قليلة الفاعلية في دولة المماليك الثانية

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٧٥-٢٧٦؛ ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٣٥.

لإجراءات السلاطين في الحد من صرف مرتبات هذه الفئة بكافة أشكالها.

وارتبطت فرقة مماليك الأمراء بطبقة الأمراء وقادة الجيش، وكان عدد مماليك الأمير مرتبطاً بثراء الأمير وطموحه في الوصول إلى السلطنة، وكما اعتمد الأمير على مماليكه في الخروج إلى القتال فإنه اعتمد عليهم أكثر في الصراعات السياسية القائمة على السلطة في دولة المماليك الثانية.

ونظراً للأخطار التي أحاطت بالسلطنة في دولة المماليك الثانية فقد لجأ بعض السلاطين إلى إنشاء فرق جديدة واكبت ظهور السلاح الناري آنذاك واستخدامه في مواجهة الأخطار التي هددت السلطنة في مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي (البرتغاليين)، فأنشأوا فرقة العبيد النفطية وفرقة الطبقة الخامسة، ونظراً لكون هذه الفرق استخدمت سلاحاً جديداً وعناصر بشرية جديدة من غير المماليك، فإن هذه الفرق ظلت موضع رفض وازدراء من فئات المماليك.

وشكلت العناصر المحلية وأهمها العربان والتركمان والعامة - أحياناً - في هذه الفترة فرقاً استخدمها المماليك عند الحاجة في الخروج إلى القتال داخل وخارج حدود السلطنة.

وفي الفصل التالي سيتم الحديث عن نظام الإنفاق على هذه الفرق، وفي الفصل الأخير سيتم الحديث عن إدارة هذه الفرق وقيادتها، وما طرأ عليها من تطور خلال دولة المماليك الثانية.

الفصل الرابع

الرتب والمرتبات

١- الرتب

أ- الرتب العسكرية وامتيازاتها

(١) إمرة مائة وتقدمة ألف

(٢) إمرة طبلخاناه

(٣) إمرة عشرة

(٤) إمرة خمسة

ب- نظام الترقية

جـ- نظام التقاعد

٢- المرتبات

أ- الإقطاعات

ب- المخصصات النقدية

(١) نفقة البيعة

(٢) نفقة الحرب

(٣) الجامكية (الراتب الشهري)

(٤) نفقات أخرى

ج- المخصصات العينية

(١) الكسوة

(٢) الخلع والتشاريف

(٣) الخيول والجمال

(٤) اللحوم والأضاحي

(٥) العليق (العلف)

(٦) مخصصات أخرى

د- مرتبات مماليك الأمراء

٣- خاتمة

الفصل الرابع

الرتب والمرتبات

١- الرتب:

أ- الرتب العسكرية وامتيازاتها:

عرف المماليك نظام الرتب العسكرية القائم على أساس التقسيم العشري لقيادة الجيوش والذي عرف عند المسلمين في فترة سابقة لدولة المماليك[١]، وقد أخذ المماليك نظام رتبهم عن المغول الذين قسمت قيادتهم للجيش إلى «أمراء ألوف وأمراء مئين وأمراء عشروات»[٢].

قُسّمت الرتب العسكرية في دولة المماليك إلى أربع طبقات رئيسة هي:

(١) إمرة مائة وتقدمة ألف:

وهي أعلى رتب الجيش، يُنعت صاحبها بأمير مائة بمعنى أن يكون في خدمته مائة مملوك - وربما زادوا عشرة أو عشرين - ومقدم ألف بمعنى أن يكون مقدماً على ألف جندي من أجناد الحلقة وقت الحرب[٣]، ويطلق على أصحاب هذه الرتبة مقدمو ألف أو ألوف، كما تسمى رتبتهم تقدمة ألف أو ألوف[٤]، ويسمى

---

(١) تيمور، أحمد: الرتب والألقاب المصرية لرجال الجيش والهيئات العلمية والقلمية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٠، ص٣٩-٤١. سيشار إليه: تيمور: الرتب.

(٢) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢١؛ Poliak: The influence, P.872

(٣) العمري: مسالك، ص٢٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٤؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٥؛ الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٣أ-ب.

(٤) تيمور: الرتب، ص٤٣؛ ماجد: نظم، ج١، ص١٤٥.

من يرأس أصحاب هذه الرتبة «رأس مقدمي الألوف»[1].

يمتاز أصحاب هذه الرتبة بحق دق الطبول على أبوابهم، وحدد ابن شاهين الطبول التي تدق على باب كل منهم بـ«ثمانية أحمال طبلخاناه[2]، وطبلان دهل[3]، وزمران[4]، وأربعة أنفرة[5]، والدهل والزمور المستجدة، والإتابك نظير ذلك مرتين»[6].

ويلقب مقدمو الألوف في المكاتبات الرسمية بـ«المقر الشريف» و«المقر الكريم» و«المقر العالي»[7]، كما يخاطبون بـ«الجناب الكريم» ثم «الجناب العالي» ثم «المجلس العالي»[8].

ومن هذه الرتبة يكون كبار نواب السلطنة - في المركز والنيابات[9]، كما يتولى بعض أصحاب هذه الرتبة كبرى الوظائف في الدولة وعلى رأسها «النائب الكافل» الذي ينوب عن السلطان في عامة أموره من التقاليد والمراسيم والتواقيع[10]، ثم يأتي منصب «أتابك[11] العسكر» وهو لقب أطلق على القائد

---

(١) زكي: الجيش المصري، ج٢، ص٨؛ ماجد: نظم، ج١، ص١٤٦.

(٢) فسّر القلقشندي الطبلخاناه بأنها طبول متعددة وأبواق وزمر تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص، تدق في القلعة وترافق العسكر في المعارك؛ صبح الأعشى، ج٤، ص٨-٩.

(٣) دهل: كلمة فارسية معناها الطبل الكبير.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٤٤، هامش (١).

(٤) الزمور: الزمارة: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٤٤، هامش (١).

(٥) النفير: البوق: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٤٤، هامش (١).

(٦) ابن شاهين: زبدة، ص١١٣.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٢، ص٢٨٥.

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٧، ص١٥٨-١٥٩.

(٩) ابن شاهين: زبدة، ص١٢٩-١٣٠.

(١٠) الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٤.

(١١) أتابك: لفظ تركي يتكون من مقطعين «أتا» بمعنى أب، و«بك» بمعنى السيد أو الأمير فيصبح المعنى الأب الأمير أو السيد الأمير، وأطلق هذا اللقب أول مرة على نظام الملك وزير السلطان ملشكاه السلجوقي في سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٨، الباشا: الألقاب، ص١٢٢-١٢٣.

العام في جيش المماليك[1]، وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل، ويبدو أن رتبته كانت رتبة شرف كما يستشف من قول القلقشندي أن الأتابك «ليست له وظيفة ترجع إلى حكم أمر أو نهي، وغايته رفعة المحل وعلو المقام»[2]. ثم تحول هذا المنصب إلى وظيفة أطلق على صاحبها «الأمير الكبير»[3] منذ أن تولى الأمير شيخون العمري[4]، هذا المنصب سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م[5]، وأضيفت إلى صاحبها مهمة نظر البيمارستان المنصوري[6] ابتداء من عام ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م[7].

وتولى منصب أتابك العسكر في دولة المماليك الثانية في مصر ثمانية وأربعون أميراً، منهم ثمانية وصلوا إلى السلطنة بفضل توليهم هذا المنصب، وذلك عندما رُتِّب هؤلاء الأتابكة للإشراف على شؤون الدولة والجيش، ثم استأثروا بها في عهود السلاطين الصغار[8].

ويتلو هذا المنصب وظيفة «أمير سلاح» الذي يتولى حمل سلاح السلطان في القتال ويوم النحر، ويشرف على السلاح خاناه[9]، ثم «أمير مجلس» الذي يتولى الإشراف على مجلس السلطان والأطباء والكحالين وغيرهم[10]، وأمير «داوادار

---

(١) Ayalon: D: Atabab Al-Askir EI2 (1), P.732.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٨.

(٣) ابن شاهين: زبدة، ص١١٤.

(٤) شيخون بن عبد الله العمري الناصري أتابك العسكر، من مماليك الناصر محمد بن قلاوون توفي سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٣٢٤-٣٢٥.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٣٠٣؛ Ayalon: D: Amir Kabir EI2 (1), P.444

(٦) ويسمى المارستان الكبير المنصوري، أكبر المستشفيات في عاصمة دولة المماليك، بناه المنصور قلاوون سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٤٠٦.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٧٩، ج١٥، ص٣٦، ٤٠-٤١، ٦٥، ج١٦، ص٣٨٠-٣٨١.

(٨) انظر ملحق أتابكة العسكر، رقم (١) من هذه الدراسة.

(٩) عن أمير سلاح والسلاح خاناه انظر الفصل الخامس من هذه الدراسة.

(١٠) الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٥؛ السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م): حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ٢ج، مطبة الموسوعات، مصر ١٣٢١هـ ج٢، ص٩٤-٩٥. سيشار إليه: السيوطي: حسن المحاضرة.

كبير» الذي يبلغ الرسائل عن السلطان، وإخراج التواقيع والمراسيم بالوظائف والإقطاعات[1] و«أمير آخور كبير» الذي يشرف على الإسطبلات السلطانية، وما يقدم للخيول من أعلاف وخدمات[2].

ثم تأتي وظيفتا «رأس نوبة النوب» و«حاجب الحجاب»[3]، ثم «شاد الشراب خاناه» الذي يشرف على ما يرد إلى الشراب خاناه السلطانية من أنواع الأطعمة والأشربة، ويتولى هذه الوظيفة أحياناً أمير طبلخاناه[4]، وأمير «خازندار كبير» الذي يشرف على خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش[5]، و«أمير جاندار» الذي يُنظم دخول الأمراء للخدمة، ويقدم البريد للسلطان ويشرف على الزردخاناه[6] التي يعتقل فيها كبار الأمراء[7]، و«المشير» الذي يشرف على الدواوين السلطانية وما يرد إليها وما يصدر عنها[8] و«الاستادار» الذي يتولى رئاسة الديوان المفرد[9]، ثم أمير الحج الشريف[10]، ورأس نوبة الأمراء، الذي له الأمر والنهي والحكم على الأمراء[11]، وذكر الخالدي الوزارة على أنها من وظائف أمراء المئات[12].

واختلفت أعداد من يحملون هذه الرتبة من وقت لآخر، إذ بلغت في دولة

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٩؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢٢.
(٢) الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٥؛ الآخور: لفظ أعجمي يعني المذود الذي يأكل فيه الفرس؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٥.
(٣) انظر عنهما الفصل الخامس من هذه الدراسة.
(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢١.
(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢١.
(٦) انظر عن الزردخاناه الفصل الخامس من هذه الدراسة.
(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٥.
(٨) الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٥.
(٩) انظر عنه الفصل الخامس من هذه الدراسة.
(١٠) ابن شاهين: زبدة، ص١١٣.
(١١) الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٤-١٢٥.
(١٢) الخالدي: المقصد،ورقة ١٢٥-١٢٦.

المماليك الأولى أربعةً وعشرين أميراً سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م[١]، ثم انخفضت أعدادهم أيام السلطان برقوق إلى ما بين ١٨-٢٠أميراً[٢]، ثم أخذت أعدادهم في التناقص بعد ذلك[٣]، إلى أن عادت إلى الارتفاع في عهد السلطان الغوري [٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠٠-١٥١٦] إلى ما بين ٢٤-٢٧ أميراً[٤].

أما في نيابات بلاد الشام فقد أتى ابن شاهين على ذكر أعداد من يحملون هذه الرتبة دون أن يحدد الفترة، كالتالي:

دمشق اثنا عشر أميراً، حلب ثلاثة إلى ستة أمراء، طرابلس أميران، حماه ؟[٥]، أما في الإسكندرية فكانوا ثلاثة أمراء[٦].

(٢) إمرة طبلخاناه:

تقضي هذه الرتبة بأن يكون لصاحبها إمرة أربعين فارساً كحد أدنى، وربما زادوا إلى السبعين أو الثمانين[٧]، ويندرج تحت هذه الرتبة من تأمّر ستين أو سبعين أو ثمانين فارساً[٨].

وسمي أرباب هذه الرتبة بأمراء طبلخاناه، لأن لهم الحق في دق الطبول على أبوابهم، إذ يدق على باب كل أمير منهم ثلاثة أحمال طبلخاناه، ونفيران، ثم أصبح

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٤.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٤؛ الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٣ب.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٦٨-١٦٩، ج٣، ص٢٢٢-٢٢٣؛ Ayalon: Studies (2), P.469

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٤، ٣٠، ٢٧٧، ٤٣٤، ج٥، ص٣.

(٥) ابن شاهين: زبدة، ص١٣١-١٣٣.

(٦) ابن شاهين: زبدة، ص١٣٤.

(٧) العمري: مسالك، ص٢٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٥؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٥؛ الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٣ب.

(٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٨٩، ١٧٧؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص١٠٦، ٢٧٥؛ طرخان: النظم، ص١٦٠.

يدق في زمن ابن شاهين (ت٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) طبلان وزمران فقط[١]، أما في زمن الخالدي (ت ق٩هـ/ ١٥م) فلم تدق الطبول لأصحاب هذه الرتبة «إلا إذا توجهوا في مهم شريف لكشف الجسور أو لقبض غلال ونحو ذلك»[٢].

ويُخاطب أكابر أمراء الطبلخاناه بـ«المجلس العالي» ممن عُيّن منهم لتقدمة ألف، ثم بـ«المجلس السامي»[٣]، كما يلقبون في المكاتبات بـ«الجناب الكريم»[٤].

ومن هذه الرتبة كانت الطبقة الثانية من وظائف أرباب السيوف الهامة في الدولة مثل: دوادار ثاني، أمير آخور ثاني، رأس نوبة ثاني، حاجب ثاني، خازندار ثاني، ووظائف أخرى مثل شاد الشراب خاناه، وأمير جاندار[٥]، ومقدم المماليك والزردكاش[٦]، وأمير شكار الذي يشرف على طيور وحيوانات الصيد بأنواعها، ثم تراجعت هذه الوظيفة إلى إمرة عشرة ايام الخالدي[٧]، ومن هذه الرتبة أيضاً نائب القلعة في القاهرة، وولاة بعض الأقاليم في مصر ووظائف أخرى[٨].

تراوحت أعداد من يحملون هذه الرتبة بين الزيادة والنقص[٩]، إلا أن ابن شاهين حدد أعدادهم في مصر بأربعين أميراً[١٠]، وفي نيابات بلاد الشام كما يلي:

---

(١) ابن شاهين: زبدة، ص١١٣.

(٢) الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٣ب.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٧، ص١٥٩.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٢، ص٢٨٦. ومن ألقاب أمراء الطبلخاناه التي ألغيت في دولة المماليك الثانية لقب «الاسفسهلار» وهو لقب تركي فارسي يعني مقدم العسكر؛ صبح الأعشى، ج٦، ص٧-٨.

(٥) ابن شاهين: زبدة، ص١١٤.

(٦) انظر عنهما الفصل الخامس من هذه الدراسة.

(٧) الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٨.

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢١، ٢٣، ٢٦-٢٧؛ ابن شاهين: زبدة، ص١١٤، ١٢٢؛ الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٧ب، ١٢٨أ.

(٩) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٥.

(١٠) ابن شاهين: زبدة، ص١١٣.

دمشق عشرين أميراً، حلب عشرة أمراء، طرابلس عشرة أمراء، حماة أربعة أمراء[1]، أما في الإسكندرية فكانوا ثلاثة أمراء[2].

(٣) إمرة عشرة:

تقضي هذه الرتبة بأن يكون في خدمة صاحبها عشرة مماليك، وربما كان منهم من له إمرة عشرين فارساً، ولكن لا يُعد إلا في أمراء العشرات[3].

يخاطب أمراء العشرات بـ«مجلس الأمير»، وإذا ارتفع قدر أحدهم لسبب ما خوطب بـ«المجلس السامي»[4]، كما يلقبون في المكاتبات بـ«المجلس العالي»[5].

ومن هذه الرتبة جاء موظفو الطبقة الثالثة في الدولة، مثل: دوادار ثالث، أمير آخور ثالث، رأس نوبة ثالث، حاجب ثالث، وسبعة حجّاب وعشرة رؤوس نوبة[6]، ووظائف أخرى تراجع بعضها إلى إمرة خمسة[7]، وأرباب هذه الرتبة لا ضابط لعدد أفرادها بل تراوح أيضاً بين الزيادة والنقصان[8]، وذكر ابن شاهين أن أعدادهم في مصر خمسون أميراً[9]، أما في نيابات بلاد الشام فقد بلغوا مع أمراء العشرينات والخمسات كما يلي: دمشق ستون أميراً، حلب عشرون أميراً، طرابلس ثلاثون أميراً،

---

(١) المصدر ذاته ص١٣١-١٣٤.

(٢) المصدر ذاته ص١٣٤.

(٣) العمري: مسالك، ص٢٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٥؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٥-٢١٦؛ الخالدي: المقصد، ص١٢٣ب.

(٤) (المجلس السامي بغير ياء)؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٧، ص١٥٩.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٢، ص٢٨٦.

(٦) ابن شاهين: زبدة، ص١١٥.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢، ٢٣، ٢٧-٢٨؛ الخالدي: المقصد، ورقة١٢٨ب- ١٢٩أ.

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٥؛ الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٣ب؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٢٣، ج٤، ص٣٢، ٤٣٤، ج٥، ص٦.

(٩) ابن شاهين: زبدة، ص١١٣.

حماة عشرون أميراً[1]، أما في الإسكندرية فكانوا عشرون أميراً مع أمراء العشرينات والخمسات[2].

(٤) إمرة خمسة:

تقضي هذه الرتبة أن يكون في خدمة صاحبها خمسة مماليك، وأعدادهم قليلة ينحصر أغلبهم في أولاد الأمراء المتوفين، وذلك رعايةً لسلفهم وهم كأكابر الأجناد[3]، ومن هذه الرتبة جاء صغار الولاة وأرباب الوظائف في الدولة[4].

وبلغ عدد أفراد هذه الرتبة في مصر في تقدير ابن شاهين ثلاثين أميراً[5]، أما في نيابات بلاد الشام، فهو كما في رتبة إمرة عشرة[6].

ودون هذه الرتبة هناك إمرة ثلاثة أو أربعة، وهذه الرتب لم توجد في مصر بل اقتصرت على بعض أمراء العرب ولا سيما أمراء بني تنوخ[7].

ب- نظام الترقية:

لما كانت الرتب العسكرية عند المماليك تعتمد التدرج من رتبة إلى أخرى، فإن نظام الترقية قام على انتقال الأمير من رتبة إلى أخرى تعلوها.

ويشترك المماليك السلطانية ومماليك الأمراء في الترقي إلى مراتب الإمرة، على أن حظ المماليك السلطانية في الترقي يفوق حظ مماليك الأمراء، لارتباط الفئة الأولى بالسلطان، فبعد أن يتخرج المملوك من الطباق ويصبح جندياً في هذه الفئة يصبح المجال مفتوحاً أمامه للوصول إلى الإمرة، ثم التنقل في مراتبها، على أن

---

(١) المصدر ذاته ص١٣١-١٣٣.

(٢) المصدر ذاته ص١٣٤.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٥؛ تيمور: الرتب، ص٤٦.

(٤) الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٩أ.

(٥) ابن شاهين: زبدة، ص١١٣.

(٦) ابن شاهين: زبدة، ص١٣١-١٣٣، ١٣٤.

(٧) طرخان: النظم، ص١٦٣.

أسرع فئات المماليك السلطانية ترقيةً هم الخاصكية[1] إذ جرت العادة أن ينعم السلاطين على أعداد من المماليك الخاصكية بإمرات عشرة بين فترة وأخرى[2].

وسار نظام الترقية في دولة المماليك الثانية في ثلاثة اتجاهات، الأول: الاتجاه الطبيعي وهو انتقال المملوك إلى إمرة خمسة أو عشرة، ثم التدرج إلى إمرة طبلخاناه، ثم إلى تقدمة ألف، وما يتبع هذه الرتبة من امتيازات ووظائف، ومن هذا الفريق وصل بعض الأمراء إلى السلطنة ممن لم يرثوا العرش عن آبائهم[3].

أما الاتجاه الثاني، فهو الاتجاه البطيء في الترقية، إذ ترد شواهد متعددة عن مماليك وصلوا إلى الإمرة بعد سنوات طويلة في الخدمة كأجناد وخاصكية[4]، مثال ذلك الأمير سيف الدين بتخاص العثماني الظاهري[5]، الذي ظل جندياً لمدة خمسين عاماً حتى أصبح أمير عشرة أيام الظاهر جقمق[6]، والأمير سيف الدين يلبغا الجركسي[7]، الذي ظل خاصكياً حتى تقدم به السن إلى أن أنعم عليه السلطان جقمق بإمرة عشرة سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م[8]، ويبدو أن وراء هذا النوع من الترقية

---

(١) العريني: الفارس المملوكي، المجلة التاريخية المصرية، ١٩٥٦، م٥، ص٥٧، ٥٨.
سيشار إليه: العريني: الفارس المملوكي.

(٢) انظر مثلاً: ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٥١٤، ج٣، ص٢٤٢، ٢٧٧، ٣٠٢، ج٤، ص١٠٥.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٦٠-٢٦١، ج١٦، ص٢٥٥-٢٥٦؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٧١، ١٧٥؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٠٨، ٤٥٨؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص٥٥-٥٦.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٧٠، ١٨٨، ٢٠٧-٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٣، ٣٤٣؛ حوادث الدهور، ج٢، ص٣٧١؛ المنهل الصافي، ج٢، ص٣٢٩، ٤٣٥، ٤٤٩-٤٥٠، ج٣، ص٨٠-٨١، ١٤٢؛ السخاوي: الضوء، ج٢، ص٣٢٠، ج٣، ص٢، ٦٠، ج٦، ص١٩٨.

(٥) الأمير سيف الدين بتخاص العثماني الظاهري برقوق، توفي بطالاً في سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م عن عمر مائة عام؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٢.

(٦) الصيرفي: أنباء الهصر، ص١٦٧؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٢.

(٧) سيف الدين يلبغا بن عبد الله الجركسي، من مماليك جاركس القاسمي المصارع، مات بطالاً في سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٧٠.

(٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٧٠.

عوامل، منها: خمول الأمير، وقلة كفاءته، وموقف الأمير نفسه من السلطان وحكمه إن كان موالياً أم لا.

وهناك من الأمراء من أقاموا مدة طويلة على رتبهم حتى ارتقوا إلى رتب أخرى[1] كالأمير تغري بردي البكلمشي[2]، الذي أقام على إمرة عشرة عشرين عاماً حتى ترقى إلى إمرة طبلخاناه سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠[3]، وهذا الاتجاه في الترقية شجعه المؤيد شيخ الذي كان لا يّرقي مماليكه «إلا بعد مدة طويلة ولذلك لم يخمل منهم أحد بعد موته»[4].

وجاءت الترقية السريعة اتجاهاً ثالثاً في نظام الترقية في جيش المماليك، وهذا الاتجاه يظهر بوضوح أيام الثورات والفتن، إذ ترقى كثير من الأمراء إلى الرتب العليا في الجيش دون تدرج فيها، ففي شعبان سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م، أنعم الأمير منطاش على الأمير إبراهيم بن قُطُلْتمر[5]، بتقدمة ألف دفعة واحدة من إمرة عشرة[6]، وقام في رمضان من ذلك العام بالإنعام على جماعة من الأمراء بتقادم ألوف دون أن تكون لديهم إمرة عشرة[7]، وقام الأمير ططر قبل أن يصبح سلطاناً بترقية الأمير تغري بردي المؤيدي[8]، من إمرة عشرة إلى تقدمة ألف سنة ٨٢٤هـ/

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣١٣، ج١٥، ص١٨٠، ٤٧٧، ٥٢٠-٥٢١، ٥٢٥، ٥٤٣؛ حوادث الدهور، ج٢، ص٣٧٨-٣٧٩؛ المنهل الصافي، ج٣، ص٨٢-٨٣، ج٤، ص٥٥، ٢٢٠؛ السخاوي: الضوء، ج٦، ص٢١٨.

(٢) الأمير تغري بردي الرومي البكمشلي ، يعرف لأذاه بالمؤذي، أحد مقدمي الألوف تولى حجوبية الحجاب سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م، توفي سنة ٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٢٧-٢٨.

(٣) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص٥٥.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١١٢.

(٥) لم أقف له على ترجمة.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٤١.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٤٣.

(٨) الأمير تغري بردي بن عبد الله المؤيدي، من مماليك المؤيد شيخ وخاصكيته، ولي نيابة حلب وخرج عن طاعة ططر، توفي سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م؛
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٢٦.

١٤٢١م[١]، ويُعدّ الظاهر قانصوه الأشرفي ممن نالوا الترقية السريعة، إذ كان بين قدومه إلى مصر من بلاد الجركس، وسلطنته في ربيع الأول سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م دون ست سنوات[٢].

ولعبت مزاجية بعض السلاطين دورها في الترقية السريعة، فالسلطان جقمق أنعم على الأمير قاني باي الجكمي[٣] بوظيفة حاجب الحجاب، وهي من اختصاص مقدمي الألوف، دفعةً واحدةً من الجندية، رغم أن هذا الأمير لم يشتهر بالشجاعة والإقدام، فعدّت تلك من أخطاء جقمق الفاحشة[٤]، وانتقل الأمير قان بردي الأشرفي[٥] من إمرة عشرة إلى تقدمة ألف خلال شهر، أيام قايتباي[٦].

وجاءت الترقية السريعة في بعض الأحيان نتيجة لبذل المال (الرشوة)[٧]، مثال ذلك الأمير سودون القصروي[٨]، الذي انتقل إلى تقدمة ألف من إمرة عشرة بعد أن دفع مبلغ عشرة آلاف دينار، سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م[٩].

وتجري الترقية عادة في مناسبات محددة، لعل أهمها عند تولي السلطان الحكم، إذ يقوم بترقية جماعية لأعداد من الأمراء إلى مختلف الرتب، بهدف إرضاء هؤلاء الأمراء، وتدعيم سلطنته، حتى ولو كانت هذه الترقية باستحقاق أو بغير

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٢٦.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤٠٦.

(٣) سيف الدين قاني باي الجكمي، من مماليك الأمير جكم من عوض نائب حلب، توفي سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٥١١.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٥١١-٥١٢.

(٥) الأمير قان بردي الأشرفي (إينال)، أحد الدوادارية الصغار، ثم أصبح من مقدمي الألوف، توفي بالطاعون سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م؛ السخاوي: الضوء، ج٦، ص١٩٧.

(٦) السخاوي: الضوء، ج٦، ص١٩٧.

(٧) عبد الرزاق، أحمد: البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩، ص٥٣-٥٤. سيشار إليه: أحمد عبد الرزاق: البذل والبرطلة.

(٨) الأمير سودون القصروي، نسبة إلى قصروه من تمراز نائب الشام، تأمر عشرة أيام خشقدم، قتل في إحدى المعارك سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص٢٨٥.

(٩) الصيرفي: أنباء الهصر، ص١٠٩-١١٠؛ أحمد عبد الرزاق: البذل والبرطلة، ص٥٣.

استحقاق على حد تعبير ابن تغري بردي[1]، ويدخل هنا اعتبار موجب للترقية وهو الخشداشية، إذ يعمل السلطان الجديد على ترقية خشداشيه ومن سانده من مماليكه في الوصول إلى السلطنة إلى الرتب العليا في الجيش[2].

ومن الأمثلة على هذا النوع من الترقية، ما قام به الظاهر جقمق من ترقية للعديد من الأمراء، وذلك عندما تسلطن في ربيع الأول سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٩م[3]، وعندما تسلطن خشقدم في رمضان سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م، أنعم على عدد من الأمراء بتقادم ألوف وعلى عدد من الخاصكية بإمرة عشرة[4]، وعندما تسلطن تمربغا في جمادى الأولى سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م، أنعم على جماعة كبيرة من الأمراء بالترقية إلى مختلف الرتب[5].

جـ- نظام التقاعد:

عرف المماليك نظام التقاعد (الطرخان) عن طريق المغول الذين عرفوا هذا النظام، والطرخان (Tarkan's) مصطلح تركي أطلقته قوانين إلياسا المغولية على الأشخاص الذين يُعفوّن من الخدمة العسكرية في الجيش[6]، كما أُطلقت لفظة البطال على من تقاعد من الخدمة من الأجناد وخرجت عنهم إقطاعاتهم ووظائفهم لسبب من الأسباب[7].

ولم يحدد نظام التقاعد عند المماليك السن التي يعفى عندها الأمير من الخدمة الحربية في الجيش، إذ يظل الأمير يترقى في مراتب الإمرة حتى يتوفى أو يحدث ما يوجب تقاعده، ويعتبر العجز عن أداء الخدمة لتقدم السن أو المرض

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٦٣، ٢٥٧، ٢٦٤.

(٢) العريني: الفارس المملوكي، ص٥٩.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٦٢-٢٦٣؛ مجهول: تاريخ، ورقة ٧٢ب.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٥٧؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٨٠-٣٨١.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٧٩.

(٦) Poliak: The influence, P.870.

(٧) طرخان: النظم، من ٤٧٣-٤٧٤.

المزمن من أهم الأسباب التي توجب التقاعد في جيش المماليك، وفي هذه الحالة كان الأمير يلزم بيته أو مكان آخر يحدد له طرخاناً بعد أن يرتب السلطان له ما يكفيه ويقيم أوده من مال أو إقطاع، وكان هذا التقاعد أحياناً بطلب من الأمير نفسه[1]، فالأمير سودون الفخري[2]، تقاعد لمرض أصابه إضافة إلى كِبر سِنه وعجزه عن الحركة، وذلك في صفر سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م[3]، وتقاعد الأمير الطنبغا الظاهري اللفاف[4] في صفر سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م لكبر سنه وعجزه عن الحركة والخدمة[5].

وتُكتب للأمير الذي يتقاعد لهذا السبب مكاتبة تسمى «طرخانية» ويراد بها «أن يصير الشخص مسموحاً له بالخدم السلطانية يقيم حيث يشاء ويرتحل حيث شاء، تارة بمعلوم وتارة بغير معلوم»[6]، وتقضي هذه الطرخانية أن يقيم الشخص المعني متقاعداً حيث شاء في بلاد السلطنة معززاً مكرماً وافر العناية والرعاية حسب ما تقتضيه المراسيم الشريفة، وأن يُضاعف الإحسان لهذا الأمير بعد أن قضى شبابه في الخدمة، وأن لا يُطلب لخدمة في نهار ولا ليل[7].

وتعددت الأماكن التي أقام فيها الأمراء المتقاعدين في دولة المماليك

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٢٢، ج١٤، ص٢٠١، ج١٥، ص٤٣٤، ج١٦، ص١٨-١٩، ١٩٥-١٩٧، ٢٩٣، ٣٥٥؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٥٢، ٣٢٧، ٢٩٤، ٣٣٧، ٣٤٥، ٤٣٩، ٤٥٠، ٤٧٠، ج٣، ص٨٣-٨٤، ٩٥، ١٧٦، ٤٠٩، ٤١٤.

(٢) الأمير سودون بن عبد الله الفخري الشيخوني نائب السلطنة في مصر، من مماليك الأمير الكبير شيخون العمري، توفي سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٥١.

(٣) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق٢، ص٣٩٩-٤٠٠.

(٤) الأمير سيف الدين الطنبغا بن عبد الله الظاهري المعلم اللفاف، من مماليك الظاهر برقوق، وأحد مقدمي الألوف، توفي بطالاً سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٨.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤٣٩، ج١٦، ص١٨-١٩.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص٤٨، وانظر نصوص الطرخانيات في ملحق رقم (٢).

(٧) القلقشندي: صبح الأعشي، ج١٣، ص٤٨-٥٢؛ الخالدي: المقصد، ورقة ٢٩٥أ-ب.

الثانية،فبالإضافة إلى بيت الأمير نفسه الذي كان يلزمه متقاعداً في كثير من الأحيان[١]، فإن هناك أماكن في بلاد الشام أهمها القدس الشريف[٢]، ودمشق[٣] وفي مصر، دمياط[٤]، وقوص[٥]، إضافة إلى القاهرة[٦]، وأحياناً يذهب بعض الأمراء المتقاعدين إلى مكة المكرمة[٧].

ولم يكن التقدم في السن أو المرض الدافع الوحيد للتقاعد، فالاعتبارات السياسية ظلت وراء كثير من حالات التقاعد في دولة المماليك الثانية، وفي هذه الحالة يمكن اعتبار الاعتقال أو النفي أو القتل أشكالاً للتقاعد، إذ أن النتيجة هي خروج الإمرة وامتيازاتها عن الأمير، لذا، فقد عمد بعض السلاطين إلى اعتقال بعض الأمراء لازدياد نفوذهم، فيُخرجون إمرتهم عنهم ثم يودعونهم السجون[٨]، كما عمد بعض السلاطين إلى النفي، الجماعي لأعداد من الأمراء

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٥-٣٦، ١٥١، ج١٦، ص٢٠، ١٧٢-١٧٣، ١٨٣؛ حوادث الدهور، ج١، ص٧٠، ج٢، ص٢٠٦؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٩٩، ٢٧٥.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٥، ٣٦، ٥١، ج١٤، ص٢٣، ٩٠، ١٣٦، ١٤٣، ١٥٤، ١٩٣، ٢٢٦، ٢٧٧، ٣١٨، ٣١٩، ج١٥، ص٧٨، ٨٢، ١٥٨، ٣٧٣، ٣٨٤، ٤٠٧، ٤٤٦، ٤٧٨، ٥٤٨، ج١٦، ص٦٦، ٨١، ١٨١، ١٩٩، ٣٦٠، ٣٦٥، ٣٨٠، ٣٨٥؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٢٩، ٣٨، ٤١، ٥٠، ٧٨، ١٢٠، ١٢٧، ١٦٩، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٥، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٥٠، ٤٦٣، ج٣، ص٥، ١٨، ١١٤، ١٤٨، ١٩٠، ٢٧٤، ٣٢٢، ٤٢٨، ج٤، ص٩٤.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٥٥-٥٦، ج١٥، ص٣٦٦، ٣٦٨، ٤٣٠، ٤٣٤، ج١٦، ص٦٨.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤٠، ٨٦، ٣٠٩، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٢٩، ٤٣١، ٥٣١، ٥٥٤، ج١٦، ص٦٦، ١٨٤، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٨٩، ٣٧٥.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٦٠، ٥٣٠؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٢١، ٤٣٢، ج٣، ٢٧٥، ٤٧٠، ٤٧٦.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٥٦، ج١٦، ص١٧٤؛ حوادث الدهور، ج١، ص٤٠، ١٠٨؛ المنهل الصافي، ج٣، ص٨، ١٢٦، ٢٠٥، ج٤، ص٢٥٣.

(٧) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص١٧٥، ١٧٦، ٢٠٤، ٢٣٩، ٣١٥، ٣٩٢، ج٤، ص٢٨.

(٨) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٨، ١٥، ٢٢، ٣٧، ٢١١.

والمماليك أيام الاضطرابات السياسية للتخلص من المناوئين لهم في السلطة[1]،أما القتل فكان يُنفذ في الأمراء المغضوب عليهم من قبل السلطان في العديد من السجون، وخاصة ممن يخرجون عن طاعة السلطان[2]، ويعد سجن الإسكندرية المعتقل الذي ظل يُرسل إليه أولئك الأمراء طوال عصر المماليك[3]، وفيه نفذ القتل بحق أعداد كبيرة من الأمراء[4]، إضافة إلى سجون أخرى انتشرت في مصر وبلاد الشام لاعتقال الأمراء والمماليك فيها[5].

وجرت العادة أن يُرسل كبار الأمراء المعتقلين إلى السجون وخاصة سجن الإسكندرية مقيدين ويمتطي الواحد منهم فرساً، ويردف خلفه وصيف يسمى «أوجاقي»[6]، على بغل وفي يده اليمنى خنجراً حتى يوصله إلى السجن[7].

أما المدة التي يبقى فيها الأمير متقاعداً فلم تحددها المصادر، إذ بقيت أعداد كبيرة من الأمراء متقاعدين من الخدمة حتى توفوا وهم على هذه الحال[8]،

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٩٤، ج١٥، ص٢٤٧-٢٤٨، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٨٠، ٤٠٩، ج١٦، ص٦٥-٦٦، ٢٧٧، ٢٨٢، ٢٨٩، ٣٨٣؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٧٠، ٤٦٦، ٤٧١، ج٣، ص٩٧-٩٨، ٣٣٥، ٣٣٧.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٤، ٢٣، ٣٤، ٢٠٦، ٢١٥، ٢٣٦.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٥، ٧، ٦٤، ٢٦٨-٢٦٩، ٢٧٧، ٣٠٧، ج١٥، ص٦٦، ٣٢٢، ٣٦٣، ج١٦، ص٢٠٠، ٣٦٢.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٢١، ج١٥، ص٢٦، ٢٨١، ٤٧٠؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٨-١٩، ٦٩، ١٧٩.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج١، ص٤٢٣، ج٢، ص١٨٧-١٨٩، ٢٠٥، ٢١٣.

Ayalon: Mamluk Military, P. 40-43.

(٦) الأوجاقي أو الأوشاقي هو الذي يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٤.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٤٩-٢٥٠؛ حوادث الدهور، ج٢، ص٢٣٨؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٢٣-٣٢٤، ٣٦٢، ٣٨٠، ٤١٠، ج٣، ص٧، ٣١٤.

(٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٤٣، ج١٦، ص٢٠، ١٧٢، ١٨١، ١٨٣؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٢٩، ٣٨، ٤١، ٨٥، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٦، ٣٥٠، ج٣، ص٢٠، ٣١، ٣٩، ٤١، ٥١، ٥٣، ٨٨، ٩١، ٩٧، ١٢٢، ١٩٩، ٢٠١، ٢٣٩، ٣١٧، ٤٢٨.

على أن هناك كثيراً من حالات التقاعد المؤقتة، عاد الأمراء بعدها للخدمة العسكرية، ويبدو أن هذا النوع من التقاعد مرتبط بأسباب سياسية غالباً(١).

وتجدر الإشارة إلى أن نظام التقاعد شمل أيضاً أفراد الجيش من المماليك الذين أطلق عليهم البطّالين أو البطّالة(٢)، وقد نظر كثير من السلاطين إلى هؤلاء البطالين نظرة سلبية فكانوا يتعرضون للنفي خارج مصر على أيدي هؤلاء السلاطين خوفاً من إثارة الفتن(٣)، كما لجأ بعض السلاطين إلى استخدامهم في المعارك عند الحاجة جنباً إلى جنب مع باقي أفراد الجيش(٤).

٢- المرتبات:

قام نظام الإنفاق في دولة المماليك الثانية على ثلاثة أنواع من المرتبات، وهي: الإقطاعات، والنفقات النقدية، والمخصصات العينية:

أ- الإقطاعات:

يُعّد الإقطاع أهم دخل سنوي حصل عليه أفراد الجيش من مختلف الرتب في عصر المماليك، كما يعد الروك الناصري الذي جرى في دولة المماليك الأولى سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م فيما يتعلق بالتوزيع الإقطاعي ومقاديره، الأساس الذي سار عليه التوزيع الإقطاعي في دولة المماليك الثانية والتي لم يجر فيها أي روك لأراضي مصر بعد الروك السابق(٥).

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٤١-٤٢، ص١٥٩-١٦١، ٤٧٨، ٥٤٨، ج١٦، ص٦٦، ١٨٤، ٢٠٠-٢٠١؛ السخاوي: الضوء، ج٢، ص٢٧٠-٢٧١، ج٣، ص٢٧٩؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٩٣-٩٤، ١٢١، ٢٠٠، ٢٢١، ٢٨٥، ٣١٣، ٣٤٤، ٤٦٠، ج٣، ص٣٥، ٥١، ٢٤٤، ٣٤٧، ٣٨٢، ٣٨٤.

(٢) Ayalon: Mamluk Military, P. 38.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص٣٨٣؛ ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج٢، ص١٨١-١٨٢.

(٤) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق٢، ص٣٧٧-٣٧٨؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص١٠٢٨، ١٠٢٩.

(٥) انظر الفصل الأول من هذه الدراسة (المرتبات).

حصلت فئات الجيش الثلاث على الإقطاعات، وقسمت الأراضي التي وزعت على هذه الفئات حسب درجات خصوبتها ودخلها، إذ اختص الأمراء بعد السلطان بالأراضي الجيدة التي تسمى «البلاد النفيسة الكثيرة المتحصل»[1]، وتراوحت حصة كل أمير من البلاد المقطعة بين بلد وعشرة بلاد، بينما أقطع لفئة المماليك السلطانية الدرجة الثانية من الأراضي إذ يشترك اثنان أو أكثر في بلد، ومنهم من ينفرد ببلد واحد، ثم تأتي حصة أجناد الحلقة ويشترك كل جماعة منهم في إقطاع بلد واحد من البلاد المقطعة[2].

إرتبط التوزيع الإقطاعي في دولة المماليك الثانية بأسباب سياسية غالباً، ففي الوقت الذي تقلصت فيه إقطاعات أجناد الحلقة، وخاصة أولاد الناس[3] أصبحت فئة المماليك السلطانية تحوز الإقطاعات نظراً لارتباط هذه الفئة بالسلطان، ويظهر ذلك واضحاً عند تولية بعض السلاطين الحكم، إذ يعمد السلطان الجديد إلى توزيع الإقطاعات على المماليك بهدف تدعيم سلطنته، فالسلطان خشقدم أرضى المماليك السلطانية الأشرفية (إينال) بتوزيع إقطاعات كبيرة عليهم عندما تسلطن في شوال سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م[4]، وعندما تسلطن تمربغا في جمادى الأولى سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م، قام بتوزيع سبعين إقطاعاً على جماعة من المماليك السلطانية[5] باستحقاق وغير استحقاق[6]، وعندما تسلطن قايتباي في رجب سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م وزع الإقطاعات على المماليك السلطانية وخاصة الإينالية ترقية لهم[7]، ووزع السلطان محمد بن قايتباي نحو ألف إقطاع

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٣.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٣-٤٥٤؛ طرخان: النظم، ص٦٤-٦٥؛ العريني: المماليك، ص١٨٥-١٨٦؛ Poliak: Some notes, P. 104

(٣) عن تراجع هذه الفئة وتدني إقطاعاتها انظر الفصل الأول والثالث من هذه الدراسة.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٥٨-٢٥٩.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٨٣.

(٦) عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ١٩٠أ.

(٧) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٨.

على المماليك السلطانية عندما تسلطن في ذي الحجة سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م[١].

ولم يقف حصول المماليك السلطانية على الإقطاعات عند هذا الحد، بل دأب كثير من السلاطين لإرضاء المماليك الأجلاب بتوزيع الإقطاعات عليهم[٢]، كما استغل الجلبان حدوث الطاعون في بعض السنوات في أخذ إقطاعات المتوفين، كما حصل في جمادى الأولى سنة ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م لدرجة أن المماليك الكتابية حصلوا على الإقطاعات قبل أخذهم العتاقة والخيل[٣]، وفي طاعون سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م طالب الجلبان السلطان قايتباي بتوزيع الإقطاعات عليهم، فوزع عليهم إقطاعات تراوح دخل كل منها نحو ٢٥ألف درهم وما دون سنوياً[٤]، ومن باب إرضاء الأجلاب أيضاً عمد الناصر محمد بن قايتباي في جمادى الأولى سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م إلى توزيع أعداد كبيرة من المماليك على الأمراء حسب رتبهم، ليأخذوا من إقطاع كل أمير عشرة آلاف درهم سنوياً فحصل للأمراء ضرر كبير من ذلك[٥].

وقام السلطان الغوري في جمادى الآخرة سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م، بإخراج ثلثمائة إقطاع لأولاد الناس دون سبب، وأنعم بها على المماليك، وكان من ضمن أولاد الناس المؤرخ ابن إياس الذي خرج إقطاعه لأربعة من المماليك ثم عاد إليه[٦].

وتميز عصر دولة المماليك الثانية بكثرة المناقلات الإقطاعية التي ينتقل الأمير خلالها من إقطاع إلى آخر[٧]، وتكثر هذه المناقلات عادة في بداية حكم

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٣٥.

(٢) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج٢، ص١٦٧.

(٣) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج٢، ص٣٣٤-٣٣٦.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٩٢.

(٥) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٨٥.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٣٦.

(٧) طرخان: النظم، ص٢٦٥.

السلطان الجديد بهدف تحسين أوضاع بعض الأمراء وتدعيم سلطنته[1]، كما جرت بعضها عند اعتقال بعض الأمراء وخروج إقطاعاتهم إلى غيرهم[2]، وترقية بعض الأمراء، وانتقالهم إلى إقطاعات جديدة[3]، أو وفاة أحدهم وانتقال إقطاعه إلى أمير آخر[4].

وكما يزيد إقطاع الأمير بالترقية، فإنه ينقص أو ينتقل الأمير إلى غيره بالتقاعد لأسباب صحية، كالتقدم في السن أو المرض، وفي هذه الحالة يقوم ديوان الجيش بإقطاع الأمير المتقاعد أراض تسمى «الرزق الجيشية يعيش من دخلها طيلة تقاعده»[5].

ب- المخصصات النقدية:

أجرى السلاطين المماليك على جيوشهم، مخصصات نقدية مختلفة أهمها: نفقة البيعة ونفقة الحرب والجامكية الشهرية ونفقات أخرى:

(١) نفقة البيعة:

وتسمى نفقة السلطنة، وهي أحد أهم مراسيم السلطنة في دولة المماليك الثانية، حيث يقوم السلطان من خلالها بتوزيع نفقة معينة على أفراد الجيش عند

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٢٩، ج١٦، ص٢٥، ٢٢١.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٨٩، ج٣، ق٣، ص١١٧٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤٨، ٣٠٤، ج١٦، ص٢٦٥؛ حوادث الدهور، ج٢، ص١٨٣؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج٢، ص٤٤٨-٤٤٩، ج٣، ص٥٠.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٥٧٢-٥٧٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٧٢، ٣٨٢-٣٨٣، ٣٨٩-٣٩٠، ٤٠٤، ج١٦، ص١٥٩، ٢٦٥.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٤٤-٣٤٥، ٣٩٠-٣٩١، ٤٣٠، ٤٣٥.

(٥) بولياك: الإقطاعية، ص٩٦-٩٧؛ العريني: المماليك، ص١٩٥. وذكر بولياك أن أراضي الرزق الجيشية كانت تغل في عهد جقمق وخشقدم حوالي مائتي ألف درهم سنوياً، بولياك: الإقطاعية، ص٩٧.

توليه السلطنة بهدف تثبيت قواعد حكمه الجديد[1].

توزع نفقة البيعة غالباً على المماليك السلطانية، وبلغت النفقة على هذه الفئة حوالي مائة دينار لكل مملوك[2]، إلا أن هذا المبلغ قلّ منذ سلطنة الأشرف إينال في ربيع الأول سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، لأسباب مالية عانت منها الخزينة آنذاك، ويعد هذا السلطان أول من شحّ في نفقة البيعة، إذ جعل المبلغ الذي صرفه على المماليك السلطانية يتدرج إلى أربعة أقسام، هي: مئة، خمسين، خمسة وعشرين، عشرة دنانير لكل مملوك، رغم أن هذا المال هو ما جمعه السلطان عثمان بن جقمق في أوائل ذلك العام من جميع الأوجه ولم يتمكن من إنفاقه على العسكر[3].

ثم أصبحت نفقة المماليك السلطانية تتراوح بين مائة إلى خمسين ديناراً لكل مملوك[4]، وأصبحت المائة دينار تعطى فقط لصفوة المماليك السلطانية، كما فعل محمد بن قايتباي عندما أنفق مائة دينار على مماليك أبيه قايتباي في محرم سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م[5]، وقلّده في ذلك قانصوه الغوري تجاه نفس الفئة من المماليك في صفر سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م[6].

أما نفقة الأمراء فكان يتم توزيعها حسب الرتب، ومن الأمثلة على ذلك ما أنفقه السلطان أحمد بن إينال في جمادى الأولى سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م على الأمراء، فأعطى لإتابك العسكر ٤.٠٠٠ دينار، ولكل مقدم ألف ٢.٠٠٠-

(١) Ayalon: the system, P. 56.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٧٠، ج١٥، ص٢٢٦-٢٢٧، ٢٦٣، ج١٦، ص٢٢١، ٢٢٢، ٣٦٢-٣٦٣؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٦٥، ١٩٢، ٢٠٠، ٤٦٢.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٦٤؛ حوادث الدهور، ج٢، ص١٧٤-١٧٩، ١٩٢؛ Ayalon: The system, P. 57-58.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٩٤-٩٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٥٩؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٧٧، ج٣، ص٣٣٧.

(٥) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٣٧.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٩.

۲.٥٠٠ دينار، ولكل أمير طبلخاناه ٥٠٠دينار، ولكل أمير عشرة ٢٠٠دينار[١].

أما أولاد الناس، فمن الأمثلة على نفقاتهم ما أنفقه محمد بن قايتباي عليهم في محرم سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م ما بين ٢٠-٣٠دينار لكل نفر[٢]، إلا أن إفلاس الخزينة دفع بعض السلاطين إلى قطع نفقة البيعة عن أولاد الناس، كما فعل الظاهر يلباي في ربيع الأول سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م[٣]، وتابعه في ذلك الظاهر تمربغا في جمادى الأولى من ذلك العام[٤] وتكرر ذلك عندما تسلطن جان بلاط في ذي الحجة سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م[٥].

وهناك من السلاطين من لم ينفق هذه النفقة على العسكر، ويعد برسباي أول من فعل ذلك من السلاطين سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م[٦]، واشترط قايتباي على العسكر عندما تسلطن في رجب سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م بعدم الإنفاق عليهم فتم له ذلك[٧]، وقبل طومان باي بالسلطنة شريطة عدم الإنفاق على العسكر لخلو الخزينة من الأموال في رمضان سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م[٨].

(٢) نفقة الحرب:

وتسمى نفقة السفر أو التجريدة، وهي نفقة تصرف عند خروج العسكر للقتال يتجهز بها المشاركون للقتال، وهي من النفقات النقدية الهامة في دولة المماليك الثانية[٩].

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٢١-٢٢٤؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٧١-٣٧٢.
(٢) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٣٧.
(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٦٢-٣٦٣؛ مجهول: تاريخ، ورقة ٧٥ب.
(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٨٠، ٣٨٢؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤٧٠.
(٥) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٤٤٢-٤٤٣، ٤٤٥.
(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٤٢؛ Ayalon: The system, P. 56
(٧) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٥.
(٨) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص١٠٣.
(٩) Ayalon: The system, P. 56.

بلغ المتوسط العام لنفقة الحرب طوال هذه الفترة كما يلي:

الفئة		متوسط النفقة لكل نفر
أتابك العسكر	=	٣-٦آلاف دينار
أكابر أمراء المئين	=	٣-٤آلاف دينار
أمراء المئين	=	٢-٣آلاف دينار
أمراء طبلخاناه	=	٥٠٠-٧٠٠دينار
أمراء العشرات	=	١٠٠-٣٠٠دينار
المماليك السلطانية	=	١٥-١٠٠دينار[١]

ويعد السلطان قايتباي أكثر السلاطين سخاءً في الإنفاق على أفراد الجيش وقت الحرب، ففي جمادى الأولى سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م أعدّ حملة كبيرة لقتال العثمانيين أنفق عليها مليون دينار، وكانت نفقة الأتابك أزبك[٢]، وحده ثلاثين ألف دينار[٣]، وفي ربيع الأول سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م، أعدّ قايتباي آ خر حملاته

(١) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٠٣، ج٣، ق٣، ص١٠٠٠، ١٠٣٥، ج٤، ق١، ص٤٥، ١٣٦، ١٩٤، ٢٧٤، ٣٢٧، ٤٧٨، ج٤، ق٢، ص٥٧٥، ٦٨٨، ٩١٦-٩١٧، ١٠٠٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٩٧-١٩٨، ٢٢٨، ج١٣، ص٥٩، ١٠١-١٠٢، ١٣٠، ج١٤، ص٤٤، ١٨٥، ٢٧٦، ٣٣٠، ٣٦٩-٣٧٠، ج١٥، ص٨١، ٩٠، ٢٩٢، ج١٦، ص١٠٤-١٠٥؛ الصيرفي: أنباء الهصر، ص٢٨، ٣٠-٣١، ٤٩-٥٠، ١٩٢؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج١، ورقة٣٢٩ب، ٢٤٩أ، ٢٨٧أ، ج٢، ورقة٤ب، ٢٠٥ب-٢٠٦أ؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٠، ٤٢، ٩٨، ١٢٥، ١٨٠، ٢٠٨، ٤٠٧، ج٤، ص٨٤-٩٩، ٣٨٢، ٤٥٩، ٤٦٧، ج٥، ص٢٨-٢٩، ٣٠.

(٢) الأمير سيف الدين أزبك من ططخ الأشرفي، من ألمع القادة في دولة المماليك الثانية، تولى أتابكية العسكر مرتين سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م، وسنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م؛ السخاوي: الضوء، ج٢، ص٢٧٠-٢٧٢ وانظر ملحق أتابكة العسكر في هذه الدراسة رقم (١).

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٥١-٢٥٢.

ضد العثمانيين، وأنفق عليها نصف مليون دينار، فأعطى الأتابك أزبك ثلاثين ألف دينار، ولمقدمي الألوف بين ١٠-٢٠ألف دينار لكل أمير[١].

وأجمل ابن إياس ما أنفقه السلطان قايتباي على الحملات العسكرية بسبعة ملايين وخمسة وستين ألف دينار[٢] جمعها من مختلف الأوجه، إذ فرض على الأوقاف والمساجد دفع فائض دخلها للخزينة، كما فرض على التجار أموالاً طائلة لدفعها، وفتح باب المصادرات وفرض الأموال على الأملاك العامة بجميع أنواعها، وقرر على كل شخص دينارين ذهب لمواجهة خطر التركمان والعثمانيين[٣].

ولما كانت نفقة الحرب تصرف من أجل التجهز للقتال، فإن بعض السلاطين استرد هذه النفقة من أفراد الجيش في حالة عدم خروجهم للقتال، ففي صفر سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م أمر السلطان برسباي باسترداد نفقة الحرب من الأمراء والعسكر بعد انحسار خطر قرايلك التركماني عن بلاد الشام فتضرر كثير من الأمراء ممن تصرفوا في بعض هذه النفقة[٤]، واسترد السلطان الغوري نفقة الحرب من الجيش في جمادى الآخر سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م بعد انحسار الخطر الصفوي عن بلاد الشام فحصل لكثير منهم الضرر البالغ[٥].

(٣) الجامكية (الراتب الشهري):

أجرى السلاطين المماليك رواتب منتظمة لأفراد الجيش سميت «الجامكيات»، والجامكية مصطلح فارسي يعني «إعطاء كسوة منتظمة»، واستخدم للدلالة أيضاً على الراتب الشهري في فترة سابقة لفترة المماليك[٦].

(١) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٩.
(٢) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٢٥؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٣٨٥أ-ب.
(٣) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص١٤، ٢٤٨، ٢٧٨-٢٧٩.
(٤) الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص٢١٦؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٣٧.
(٥) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٢٢.
(٦) Hussain, Mones: Djamkiyya EI$_2$ (1), P. 413-414.

وتعدّ الجامكية أكثر المخصصات النقدية التي دفعت بانتظام في عصر المماليك، وهي رواتب شهرية تصرف للعسكر في بداية النصف الثاني من كل شهر(١)، وتوزع حسب الطباق في ثلاثةأو أربعة أيام من أيام الموكب السلطاني(٢)، وتوزع الجامكية بحضور مقدم المماليك السلطانية، وكتّاب المماليك، إلا أنه ابتداء من سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م أصبح السلطان يحضر بنفسه توزيع الجامكية(٣).

وتصرف الجامكيات بوجه خاص لفئة المماليك السلطانية(٤)، وقد تميزت جامكية هذه الفئة بالزيادة خلال دولة المماليك الثانية، إذ بلغت جامكية مماليك السلطان برقوق نحو تسعمائة ألف درهم شهرياً(٥)، وبلغت أيام السلطان فرج سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م «في كل شهر ألف ألف ومائتي ألف درهم»(٦)، وفي أيام المؤيد شيخ [٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م] بلغت نحو أحد عشر ألف دينار شهرياً، ارتفعت إلى ثمانية عشر ألف دينار شهريا في أيام برسباي [٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢١-١٤٣٧م]، ثم إلى ثمانية وعشرين ألف دينار شهرياً في أيام السلطان جقمق [٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨](٧).

وارتفعت جامكيات المماليك السلطانية ارتفاعاً واضحاً أيام السلطان قايتباي [٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٧-١٤٩٥م] حتى وصلت إلى ستة وأربعين ألف وخمسة دنانير شهرياً، وأصبح الديوان المفرد الذي يشرف على الجامكيات عاجزاً عن صرفها لخروج كثير من الأراضي من هذه الديوان للمماليك الخاصكية

---

(١) Ayalon: The system, P. 50-51.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٠٢؛ حوادث الدهور، ج٢، ص٢٠١؛ Ayalon: The system, P. 51.

(٣) الصيرفي: أنباء الهصر، ص٣٩؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٤، ٣٣١-٣٣٢.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص٤٦٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٧٠.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٣٨.

(٦) المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص٢٨.

(٧) الصيرفي: أنباء الهصر، ص٣٣-٣٤.

والمماليك السلطانية عند تولية بعض السلاطين[١].

وفي الاجتماع الذي عقده قايتباي في ١٦ ربيع الأول سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م لمناقشة ازدياد مبالغ الجامكيات وعجزه عن صرفها، اتخذ السلطان جملة من التدابير، كان من بينها اختبار أولاد الناس في جذب الأقواس في ذلك الشهر، وقطع جامكية من يخفق في جذبها، أو إلزامه بدفع بدل مالي مقداره مائة دينار في حالة الخروج للحرب[٢]، كما قام بقطع جوامك العجزة من الجند في ربيع الآخر من السنة ذاتها[٣]، وكرر ذلك في صفر سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م[٤] كما حذف الزيادة في جامكية المماليك السلطانية، وجعلها ألفي درهم لكل مملوك، بعدما وصلت جامكية بعضهم إلى ما بين ثلاثة إلى عشرة آلاف درهم شهرياً[٥].

ثم أصبحت الجامكية تصرف معجلة لكل مملوك يشارك في القتال لمدة أربعة أشهر مقدارها ثمانية آلاف درهم لكل مملوك مع نفقة الحرب ابتداءً من عام ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م، عندما خرج الجيش لقتال شاه سوار التركماني[٦]، واستمرت هذه العادة حتى آخر حملات قايتباي ضد العثمانيين في ربيع الأول سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م[٧].

واستجد السلطان الغوري عسكراً جديداً (الطبقة الخامسة)، أجرى عليه جامكية خاصة تصرف له في اليوم الخامس من تفرقة الجامكية في نهاية الشهر، وسمي لهذا السبب بـ«عسكر الطبقة الخامسة» وكان ذلك ابتداء من عام

---

(١) الصيرفي: أنباء الهصر، ص٣٤.

(٢) الصيرفي: أنباء الهصر، ص٢٢، ٣٠؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٢.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٤.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٧٧؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ١٤٠١أ.

(٥) الصيرفي: أنباء الهصر، ص٣٦-٣٨.

(٦) الصيرفي: أنباء الهصر، ص٥٤؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٨؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٢٠٩ب.

(٧) الصيرفي: أنباء الهصر، ص٤٨٧؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٥١، ٢٦٦، ٢٧٨؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٣٩٢أ.

٩١٦هـ/ ١٥١٠م[١]، واستمر الغوري ينفق على هذا العسكر بوجه خاص حتى أواخر سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م[٢]، عندما رأى دمج هذه الطبقة مع باقي فئات الجيش في توزيع الجامكية في محرم سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م[٣]، وقد بلغت جامكية هذه الطبقة نحو ألف وخمسمائة درهم شهرياً لكل نفر، وقد وعدهم الغوري بزيادتها إلى ألفي درهم شهرياً إذا نجحوا في حملتهم ضد البرتغاليين في محرم سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م[٤].

ونظراً لإفلاس الخزينة الناتج عن كثرة طوائف العسكر وثورات العربان وهجمات البرتغاليين على سواحل جدة في عهده[٥]، تابع السلطان الغوري اتجاه قايتباي في صرف الجامكية المعجلة، حيث صرف جامكية أربعة أشهر معجلة بالمقدار نفسه لكل مملوك شارك في الحملات العسكرية بين السنوات [٩١١-٩٢٢هـ/ ١٥٠٥-١٥١٦م][٦].

(٤) نفقات أخرى:

حصل أفراد الجيش في دولة المماليك على نفقات نقدية أخرى في عدة مناسبات، فعلى أثر اندلاع ثورة منطاش سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م أنفق السلطان برقوق مبالغ كبيرة من المال على أفراد الجيش من المماليك والأمراء في مواجهة الثوار، فاقت ما حصلوا عليه من النفقات السابقة[٧]، وخاصة قبل دخول الثوار

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٢٠٠؛ Ayalon: D: Barud EI$_2$ (1), P. 1060

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٢٠٦، ٢٦٠، ٢٦٩، ٣٢٤، ٣٤٠.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٣٦٠.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٤٣٦.

(٥) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٣٥٩.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٨٤، ١١٩، ٣٢٠، ٣٨٢، ٣٨٧، ج٥، ص٢٧، ٢٨.

(٧) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٥٥، ٦٧، ٧٦-٧٧، ٧٩؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٩٣، ٦٠١، ٦٠٩-٦١٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٦٠؛ المنهل الصافي، ج٣، ص٣٠١؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٢٠٤.

القاهرة في جمادى الآخرة من ذلك العام، عندما أعطى الأتابك ثلاثين ألف دينار، ولكل أمير من أمراء المئات عشرة آلاف دينار وللطبلخاناه خمسة آلاف دينار لكل أمير، وللعشرات ألف دينار لكل أمير[1].

ومن أجل التصدي لبعض الثورات لجأ السلطان قايتباي في رمضان سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م إلى الإنفاق على جماعة من المماليك مائة دينار لكل منهم، وعلى آخرين خمسة وعشرون، وعشرة دنانير عندما ظهر خطر الأمير قانصوه خمسمائة على سلطنته في ذلك العام[2].

وأنفق بعض السلاطين الأموال على المماليك السلطانية تحت إلحاح هؤلاء المماليك، فقد طالب الجلبان السلطان قايتباي بالنفقة عليهم بسبب انتصارهم على العثمانيين في سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م، وسنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م، فأنفق عليهم خمسين ديناراً، وللقرانيص خمسة وعشرون ديناراً[3]، كما طالب الجلبان أيضاً السلطان محمد بن قايتباي بالنفقة عليهم لانتصارهم على قانصوه خمسمائة في شوال سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م[4]. كما أنفق عليهم عندما أخمد ثورة آقبردي الدوادار[5]، في ذي الحجة سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م[6].

ومن المناسبات التي أنفق فيها السلاطين الجراكسة الأموال على الجيش، ما أنفقه السلطان الغوري عندما شفي من مرض أصابه في إحدى عينيه في جمادى الأولى سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م، فأعطى الأتابك ألفي دينار، ولكل أمير من مقدمي

---

(١) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٨٤؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٦١٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٨١-٢٨٢.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣١٩-٣٢٠.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٣٦، ٢٦١-٢٦٢، ٢٦٤.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٥٩.

(٥) الأمير آقبردي الدوادار ابن عم السلطان قايتباي، ولي الدوادارية الكبرى، كانت له حوادث مع السلطان محمد بن قايتباي، توفي سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م؛ السخاوي: الضوء، ج٢، ص٣١٥؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٦٣.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٩٣-٣٩٤.

الألوف ألف دينار، وللطبلخاناه مائتي دينار لكل أمير، ولأمراء العشرات مائة دينار لكل منهم، وللمماليك ثلاثين ديناراً لكل مملوك[١].

وشجع السلطان الغوري المماليك الخاصكية الذين يرمون النشاب في الميدان، فأنفق عليهم في صفر سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م لطائفة عشرة آلاف درهم لكل منهم، ولآخرين ستة آلاف درهم لكل منهم، ولم ينفق على بقية المماليك[٢].

ومن النفقات الأخرى «نفقة نزول ابن السلطان» التي أنفقها السلطان قايتباي في صفر سنة ٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م على الجند أول نزوله من القلعة وظهوره للناس، وكان مقدارها خمسين ديناراً لكل مملوك[٣].

ب- المخصصات العينية:

إضافة إلى النفقات النقدية، حصل أفراد الجيش من أمراء ومماليك باختلاف رتبهم على مرتبات عينية من الكسوة والخلع والخيول واللحوم والأعلاف وغيرها[٤].

(١) الكسوة:

يمنح السلطان الأمراء والمماليك الكسوة سنوياً، وربما صرفت لهم على دفعتين في السنة صيفاً وشتاءً[٥]، وقد مُنحت الكسوة في دولة المماليك الثانية في شهر رمضان في أغلب الأحيان مع الجامكية[٦]، كما منحها قايتباي مع نفقة

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٣٢٢-٣٢٣.
(٢) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٨٢.
(٣) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٩٨.
(٤) العمري: مسالك، ص٢٩-٣٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٥١؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٦.
(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٥٤-٥٥؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٦؛ العريني: المماليك، ص٢٠٢؛ Ayalon: The system, P. 257
(٦) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٤٧٤، ج٤، ص١٤٤، ٢٤٥، ٣٣٩-٣٤٠، ٣٩٩-٤٠٠، ٤٧٧.

الحرب بين [٨٧٢-٨٧٥هـ/ ١٤٦٧-١٤٧٠م] لقتال شاه سوار التركماني[١].

وقد جرت العادة منذ منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، دفع ثمن الكسوة للمماليك، وقد تميزت نفقة الكسوة بالارتفاع المستمر خلال هذه الفترة، ففي رجب سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م طالب المماليك بزيادة نفقة الكسوة، فزيدت من خمسمائة درهم إلى ألف درهم لكل مملوك وللخاصكية ألف وخمسمائة درهم لكل منهم[٢]، وتكرر طلب المماليك للزيادة في نفقة الكسوة في شعبان سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م من ألف إلى ألفي درهم لكل مملوك[٣]، وفي صفر سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م ثار الجلبان مطالبين بالزيادة في الكسوة فزيدت إلى ثلاثة آلاف درهم لكل مملوك[٤].

وأنفق السلطان الغوري نفقة الكسوة على أفراد الجيش في رمضان سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م فجعل كسوة أولاد الناس والمماليك العواجز ألفي درهم، وللجلبان والقرانيص ثلاثة آلاف درهم[٥].

تكونت ملابس الأمراء والمماليك من قسمين، أولهما خاص بفصل الصيف ويغلب على قماشه اللون الأبيض، تشد فوق أقبيتهم[٦] الحياصة[٧]، وهي من الفضة المطلية بالذهب، وترصع بالجواهر في خِلَعْ السلطان لكبار أمراء المئات،

---

(١) الصيرفي: أنباء الهصر، ص٧٤، ٢٥٤-٢٧٦؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٩، ٢٨، ٥٧؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٢٠٩ب، ٢٢٧ب.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٧٩-٢٨٠؛ Ayalon: The system, P. 258

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤٣٥؛ حوادث الدهور، ج١، ص١١٣.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٠٢؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٣٧.

(٥) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٢٨٥؛ Ayalon: The system, P. 258

(٦) أقبية: جمع قباء وهو ثوب يلبس فوق الملابس؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٣١، هامش (٢)؛ ماير، ل.أ: الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢، ص٤٢. سيشار إليه: ماير: الملابس المملوكية.

(٧) الحياصة: حزام مصنوع من معدن ثمين، وهي جزء من ثياب التشريف التي يمنحها السلطان لكبار الأمراء؛ ماير: الملابس المملوكية، ص٤٦.

وثانيهما في الشتاء حيث تكونت ملابسهم من فوقانيات[1]، ملونة من الصوف النفيس، والحرير الفائق المفرى بالسنجاب[2]، ولبس كبار الأمراء السمور(٨) والوشق (٩) والقاقم (١٠) والفنك (١١)، كما لبس معظمهم الطرز من الزركش أو الحرير، كما لبس المماليك في أرجلهم الخف الأبيض صيفاً والأصفر شتاءً، ومن له إقطاع في الحلقة كان يكُفّت مهمازه بالذهب[3].

(٢) الخلع والتشاريف[4]:

جرت العادة أن يُنعم السلطان على الأمراء بالخلع والتشاريف في مناسبات مختلفة منها عند توليه السلطنة[5]، وعند تقليد الأمراء لبعض الوظائف، وفي عيد الفطر، وعند خروج السلطان للميادين، وفي دوران محمل الحج في شوال من كل عام[6].

وتتكون خلع كبار أمراء المئات من «فوقاني أطلس أحمر بطرز زركش، مفرى بسنجاب بدائرة سجف من ظاهره مع غشاء قندس، وتحته قباء أطلس أصفر وكلوته[7] زركش بكلاليب ذهب وشاش رفيع، موصول به طرفان من حرير أبيض مرقومان بألقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون،

---

(١) فوقانيات: ملابس بيضاء تصنع من قماش رخو يسمى نصافي أو ما يماثله من أقمشة أخرى؛ ماير: الملابس المملوكية، ص٤٦.

(٢) السنجاب والسمور والوشق والقاتم والفنك والقندس أيضاً حيوانات يؤخذ منها الفراء الفاخر الثمين لصناعة ثياب كبار الأمراء في دولة المماليك؛ ماير: الملابس المملوكية، ص٤٦-٤٧.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٠-٤١؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٦؛ العريني: المماليك، ص٢٢٤-٢٢٥.

(٤) التشاريف: خلع مكونة من ملابس قيمة ينعم بها السلطان على كبار الأمراء؛ ماير: الملابس المملوكية، ص١٠١-١٠٢.

(٥)ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٢٠، ٢٥٩؛ ماجد: نظم، ج١، ص٢٨.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٥٢-٤؛ ماير: الملابس المملوكية، ص١٠٩-١١٠.

(٧) كلوته: غطاء للرأس تلبس وحدها أو بعمامة؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٥٥، هامش(٦).

ومنطقة ذهب مركب على حاشية حرير تشد في وسطه»[1].

وتكونت خِلَعْ الرتب الأخرى من نوع يسمى طُرد وَحش[2]، مُجوخ بألقاب السلطان وربما كان عليه طراز مزركش بالذهب، وعليه فرو سنجاب وقندس، وتحت هذا الطراز قباء ثم كلوته زركش وحياصة ذهب، أما الشاش فيماثل ما يمنح لكبار أمراء المئات وتختلف باقي الرتب في نوع القماش واللون والحياصة والشاش والكلوته والسنجاب والقندس[3].

(٣) الخيول والجمال:

أنعم السلاطين المماليك على الأمراء بالخيول مرتين سنوياً، الأولى عند خروج السلطان لزيارة مرابط خيوله في فصل الربيع، فينعم على أخصائه من الأمراء بما يختاره من الخيول على قدر مراتبهم، وفي هذه الحالة تكون خيول الأمراء المقدمين مسرجة بكنابيش[4] من زركش، أما خيول أمراء الطبلخانات فتكون عرياً من غير قماش، والمرة الثانية عند لعب السلطان الكرة في الميدان، فتكون خيول الأمراء المقدمين والطبلخانات مسرجة ملجمة بفضة يسيرة بلا كنابيش، ويرسل إلى نواب بلاد الشام كل بحسب ما يختاره، أما أمراء العشرات فلم يكن لهم حظ من ذلك إلا ما يتفقدهم به السلطان على سبيل الإنعام، كما ينعم السلطان على المقربين إليه من كبار الأمراء، بأعداد كبيرة من الخيول تصل إلى مائة فرس في السنة[5].

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٥٢؛ ماير: الملابس المملوكية، ص١٠٥-١٠٦.

(٢) طر وحش: كلمة مركبة تطلق على نوع من الثياب تصنع على هيئة جلد الوحش؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٣٢، هامش (١).

(٣) العريني: المماليك، ص١٥٣-١٥٤؛ وانظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٥٣.

(٤) كنابيش: جمع كنبوش وهو خمار لتغطية الوجه؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٧٦، هامش (٥).

(٥) العمري: مسالك، ص٣٠-٣١؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٥٤؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٠٠-٢٠١، ٢١٦.

وهناك أوقات أخرى ينعم فيها السلطان على الأمراء بالخيول كخروجه للصيد، وإذا مات لأحد المماليك فرس، يمنحه السلطان بدلاً منها بعد إحضار قطعة من لحمها كشهادة على موتها[1].

وفي حالة الحرب يقوم السلطان بتوزيع الخيول والجمال على العسكر[2]، فعندما ظهر خطر تيمور لنك على بلاد الشام سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م، كان جملة ما وزعه الظاهر برقوق على الجيش أربعة آلاف جمل، وألفين وخمسمائة فرس على المماليك السلطانية وغيرهم[3].

وفي عهد قايتباي والغوري تم توزيع سبعة دنانير لكل مملوك بدل ثمن جمل إضافة إلى نفقة الحرب والجامكية[4].

(٤) اللحوم والأضاحي:

خصص السلاطين لمماليكهم مرتبات يومية من اللحوم[5] حيث يستلم المملوك في العادة زبدية[6] واحدة من اللحم يومياً[7].

وقد تعرضت اللحوم المرتبة للمماليك للتعطيل باستمرار في دولة المماليك الثانية، حتى أصبح ديوان الوزارة - الذي يشرف على هذه اللحوم - عاجزاً عن صرفها يومياً بسبب الكميات الكبيرة التي تصرف للمماليك، وغلاء الأسعار في

---

(١) المصادر ذاتها.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٩٤-٥٩٥، ٦٠٨، ج٣، ق٣، ص١٠٠١، ١٠٣٥، ج٤، ق١، ص٥٢، ج٤، ق٢، ص٥٧٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٦١، ٢٧٦، ج١٣، ص٦٢، ج١٤، ص٣٥، ١٨٣؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٩، ٢٨، ج٤، ص٢٨١، ٣٨٧، ج٥، ص٦٢-٦٣.

(٣) ابن تغري برد: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٥٥-٥٦؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٣٨٦-٣٨٧.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٥١، ٢٦٩-٢٧٠، ج٤، ص٩٩، ١١٩، ١٢٢، ٣٨٢، ج٥، ص٢٧.

(٥) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج٢، ص٢٥٠-٢٥١، ٢٥٣؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ١١١أ؛ Ayalon: The system, P. 258

(٦) تعادل الزبدية بين ١٢٣٥-١٣٥٠غم؛ Ayalon: The system, P. 258-259
أو رطلين ونصف وربع: ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج٢، ص٢١٢.

(٧) الصيرفي: انباء الهصر، ص٣٦؛ Ayalon: The system, P. 259

بعض السنوات[1] مما أدى إلى ثورات الجلبان عند تعطل اللحوم أو تأخر صرفها[2]، كما حصل في سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م لدرجة أن المماليك أصبحوا لا يأكلون إلا الفول المسلوق[3]، إلى أن جاء ربيع الأول من سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م، حين عُيِّن الأمير يشبك الظاهري الدوادار[4] لمنصب الوزارة، وأخذ في قطع مرتبات أولاد الناس، والفقهاء الذين تجاوزت حصتهم أكثر من ثلاثين رطلاً[5] من اللحوم يومياً، وأصبح صرف اللحوم يقتصر على المماليك فقط[6]، وخَفَّض صرف اللحوم إلى زبدية واحدة لكل مملوك كما في السابق، بعد أن تجاوز المماليك حصتهم إلى ما بين ثلاثة إلى عشرين زبدية من اللحم يومياً[7].

وفي عهد السلطان الغوري تعرضت اللحوم المرتبة للتعطيل لفترات طويلة إلى ما بين ثلاثة إلى عشرة أشهر في السنة[8]، حتى أنه في محرم سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م تجمّد للعسكر من اللحوم المعطلة في ديوان الوزارة أكثر من أربعين ألف دينار، صرفها لهم السلطان في ذلك الشهر[9].

وإضافة إلى اللحوم المرتبة، قام السلطان بتوزيع الأضاحي على العسكر في

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٠٩-٧١٠، ٧٣٤.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٨٠٢؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج٨، ص١٧٠

(٣) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج٢، ص٢٥٣.

(٤) الأمير يشبك بن مهدي الظاهري (جقمق)، ساند الأشرف قايتباي في سلطنته فولاه الدوادارية الكبرى، قاد إحدى الحملات ضد شاه سوار، قتل في إحدى المعارك سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م؛ السخاوي: الضوء، ج١٠، ص٢٧٢-٢٧٤.

(٥) الرطل: في هذه الفترة نوعان الليثي=٦٢٠غم، والجروي=٩٦٧غم. انظر، هنتس، فالتر: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ط٢، ١٩٨٢، ص٣٢. سيشار إليه: هنتس: المكاييل.

(٦) الصيرفي: أنباء الهصر، ص٢٣-٢٤؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٢-٢٣.

(٧) الصيرفي: أنباء الهصر، ص٣٦.

(٨) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٢٣٠، ٢٤٣، ٣٥٩، ٣٧١، ٤٢٧-٤٢٨، ٤٨٣، ٤٨٥، ج٥، ص٩.

(٩) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٨، ١٣.

ذي الحجة من كل عام[1]، وقد جرت العادة أن يتسلم كل مملوك رأسين من الغنم وقت الأضحية، إلا أنه وفي سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦، ثار الجلبان وطالبوا بزيادة أضحيتهم رأساً من الغنم، فأصبحت أضحية المماليك ثلاثة رؤوس[2]، ولقلة الأضحية في ذي الحجة سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م فرق السلطان قايتباي رأساً واحداً من الغنم وديناراً لكل مملوك[3]، ثم زادهم ديناراً آخر مع الأضحية في العام التالي[4].

(٥) العليق (العلف):

خصص السلاطين لأفراد الجيش رواتب من العليق (الأعلاف) يتكون أكثرها من مادة الشعير[5]، إضافة إلى التبن والدريس وأحيانا القمح[6]، وتوزع مرتين في الأسبوع وتصرف من مخازن السلطان (الشونة السلطانية)[7].

ويُصرف العليق عن طريق وحدة تسمى «العليقة»[8]، وقد جرت العادة أن يتسلم المملوك ثلاثة علائق، والخاصكي خمسة علائق[9].

وإضافة إلى العليق المرتب للمماليك السلطانية، خصص السلطان لخيول الأمراء إطلاقات[10] في كل سنة في أراضي الجيزة في مصر لزراعة القرط لخيولهم دون

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٧٦، ٩٤، ٣٤٢، ٣٨٦، ج٣، ص٣٣، ٤٥، ١٩٨، ٢٢٢، ٣١٤، ٣٣٤-٣٣٥، ٤٢٢، ٤٤٠، ج٤، ص١٢، ٢٩، ١٣٠، ١٤٧، ٢٠٧، ٢٥١، ٢٩٤.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٠٢، ١١٢؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٣٧، ٣٤٢.

(٣) عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٣٦٠ب.

(٤) المصدر ذاته، ج٢، ورقة ٣٦٩أ.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٣٠؛ حوادث الدهور، ج٢، ص٢٣٠-٢٣١، ٣٢٨-٣٢٩؛ ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٣٣١، ٣٦٩.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٣٦٩.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٠٠؛ Ayalon: The system, Pp. 261-262

(٨) تعادل العليقة ١-٢٥ من الأردب؛ Ayalon: The system, P. 261-262

(٩) الصيرفي: أنباء الهصر، ص٣٦.

(١٠) الإطلاقات: قطع من الأراضي تمنح وتعفى من جميع أنواع الضرائب؛ الأسدي: التيسير والاعتبار، ص١٨٣ (الملحق).

أخذ خراج عنها، أضافة لزراعة البرسيم لخيول المماليك السلطانية بدلاً من مادة الشعير المرتبة لهم في غير الربيع عن كل عليقة نصف فدان من القرط لمدة ثلاثة أشهر[1].

(٦) مخصصات أخرى:

كان لخاصة السلطان من الأمراء المقربين، العديد من العقارات والأبنية الفخمة التي أنفق على إنشائها مبالغ كبيرة تصل إلى مائة ألف دينار[2] كما رتبت لهم العلوفات ووزّعت حوايص الذهب على الأمراء المقدمين عند خروج السلطان للميدان للعب بالكرة كما رتب لهم الكسوة من القماش المنّوع، إضافة إلى السكر والحلوى في شهر رمضان، وإذا ولد لأحد الأمراء ولد، أعطي دنانير ولحم وخبز وعليق حتى يتأهل للإقطاع في جملة أجناد الحلقة[3]، كما تناول الأمراء السماط (الموائد السلطانية) في أيام الموكب في الإيوان الكبير[4].

د- مرتبات مماليك الأمراء:

تَسلَّم مماليك الأمراء مرتباتهم المالية من أمرائهم مباشرة، فقد نص المنشور الإقطاعي لكل أمير على أن للأمير ثلث إقطاعه والثلثين الباقيين لمماليكه[5].

ويقوم الأمراء بصرف جامكيات شهرية لمماليكهم، فالأمير نوروز الحافظي[6]

---

(١) العمري: مسالك، ص٣٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٥٤-٥٥.

(٢) العمري: مسالك، ص٣١؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٥٥؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٦.

(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٦.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٥٦.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٦.

(٦) الأمير سيف الدين نوروز بن عبد الله الحافظي من مماليك الظاهر برقوق أحد مقدمي الألوف ولي نيابة الشام، خرج عن طاعة المؤيد شيخ، قتل سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٢٨-١٢٩.

تراوحت جامكية مماليكه بين ١٠-١٠٠ دينار شهرياً لكل مملوك[١]، وكان الأمير إينال النوروزي[٢]، يصرف على كل مملوك من مماليكه عشرة دنانير شهرياً كحد أدنى[٣]، كما صرف الأمراء لمماليكهم العليق واللحوم المرتبة أيضاً[٤]، ناهيك عن بعض الحالات النادرة التي استلم فيها بعض مماليك الأمراء نفقات مباشرة من السلطان، ففي جمادى الأولى سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م، وقبيل اجتياح منطاش والناصري للقاهرة استمال السلطان برقوق مماليك أمراء المئات، فأنفق على كل مملوك ٥٠٠درهم، ولم يُسلم المال إلى أمرائهم خَشية استحواذهم عليه دون مماليكهم[٥]، وفي أواخر ربيع الأول سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، تجمّع نحو ألف مملوك من مماليك الأمراء، مطالبين السلطان بنفقة البيعة عليهم فتم لهم ذلك[٦].

٣- خاتمة:

يعتبر نظام الرتب العسكرية عند المماليك من أبرز وأهم أنظمة قيادة الجيش في تلك الفترة، وقد أخذ المماليك هذه النظم عن المغول وطوروها، وقد لوحظ على تلك الرتب شمولها أمراء الجيش جميعهم، وشكلت طبقة مقدمي الألوف صفوة قادة جيش المماليك، ومن هذه الطبقة وصل بعض الأمراء للسلطنة، أما باقي الرتب فكان لكل منها امتيازاتها الخاصة من حيث إقطاعاتها ورواتبها ووظائفها.

وارتبط بنظام الرتب العسكرية نظامي الترقية والتقاعد، ونظام الترقية مطلب أساسي لتنقل الأمير من رتبة إلى أخرى تعلوها، وما ارتبط من أسباب ودوافع.

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٢٩.

(٢) الأمير سيف الدين إينال بن عبد الله النوروزي أمير سلاح من مماليك نوروز الحافظي، توفي سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٣٤-١٣٥.

(٣) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص٢٠٠-٢٠١.

(٤) السخاوي: الضوء، ج٣، ص٢٧٨؛ العريني: المماليك، ص٢٣٠-٢٣١.

(٥) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٧٦-٧٧.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٦٣؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة١٥أ-ب.

وجاء تقاعد الأمراء وخروج الإمرات عنهم مدفوعة بعوامل عدة بعضها مرتبط بأسباب شخصية تخص الأمير من حيث كفاءته وصحته وعمره، والبعض الآخر مرتبط بأسباب سياسية تتعلق بموقف الأمير من السلطنة ومزاجية بعض السلاطين وحرصهم على الحد من نفوذ كبار الأمراء.

ويلاحظ على نظام التقاعد في جيش المماليك أنه تقاعد دائم في الحالات المرتبطة بصحة الأمير وعمره، ومؤقت في الحالات المرتبطة بالسياسة، ومزاجية السلاطين ولذا، كثرت حالات عودة الأمراء إلى رتبهم من فترة إلى أخرى.

وبموجب الرتب السابقة كانت هناك مخصصات الإنفاق على الجيش، فجاءت الإقطاعات في مقدمة مرتبات الجيش، فهي أساس الإنفاق ومحوره منذ فترة سابقة لفترة المماليك، وأما النفقات النقدية فهي أهم ما حصل عليه أفراد الجيش من الأمراء والمماليك كنفقة البيعة ونفقة الحرب والجامكية الشهرية التي كانت تخص فئة المماليك السلطانية وفئات أخرى.

وجاءت المخصصات العينية مكملة للنفقات النقدية، حصل من خلالها أفراد الجيش على ما يلزمهم من كسوة ولحوم وخيول وأعلاف وغيرها، والتي كان بعضها مرتب بانتظام وبعضها الآخر يقدم لهم على سبيل الإنعام من السلطان.

ويلاحظ على صرف هذه المرتبات تطورات ارتبط غالبها بتدني دخل الأراضي القائمة على صرف هذه المرتبات والأزمات المالية التي كانت تعاني منها الخزينة بين فترة وأخرى، وهذا يفسر مطالبة أفراد الجيش بزيادة حصتهم من النفقات أو المخصصات إما لغلاء الأسعار وإما لتعطل صرف هذه المرتبات لفترات طويلة، وظهور ثورات متعددة عبّر فيها المماليك عن استيائهم من عدم انتظام صرف هذه المرتبات لهم.

وسيرد في الفصل التالي الحديث حول تلك المؤسسات التي قامت على إدارة صرف هذه المرتبات وإدارة الفرق العسكرية وغيرها وما طرأ عليها من تطور خلال فترة الدراسة.

الفصل الخامس

إدارة الجيش

١- الدواوين

أ- ديوان الجيش (الإقطاع)

ب- الديوان المفرد

جـ- ديوان الوزارة

د- دواوين أخرى

٢- إدارة الفرق العسكرية

أ- إدارة فرقة المماليك السلطانية

ب- إدارة أجناد الحلقة

جـ- إدارة مماليك الأمراء

٣- العرض العسكري

٤- خزائن السلاح

٥- القضاء العسكري

٦- خاتمة

الفصل الخامس

إدارة الجيش

١ - الدواوين:

تُعد الدواوين من أهم المؤسسات التي قامت على خدمة الجيش في دولة المماليك وذلك من خلال إشرافها على الأمور المالية والإقطاعية، وأهم هذه الدواوين ديوان الجيش وديوان المفرد، وديوان الوزارة ودواوين أخرى.

أ- ديوان الجيش أو (ديوان الإقطاع):

يُمثل الإقطاع في دولة المماليك الركيزة الأساسية في نظام الإنفاق على الجيش، كبدل للعطاء الذي تسلمه الأجناد في فترات سابقة للمماليك، ويعد ديوان الجيش من أهم الدواوين التي أُنيط بها أمر النظر في الإقطاعات[1]، وديوان الجيش عند المماليك قسمان: أحدهما خاص بمصر ويسمى «ديوان الجيش المصري» والآخر خاص ببلاد الشام ويسمى «ديوان الجيش الشامي»[2].

ويقوم على إدارة ديوان الجيش مجموعة من الموظفين يرأسهم «ناظر» يسمى «ناظر الجيش» الذي أنيط به «التحدث في أمر الإقطاعات بمصر والشام والكتابة بالكشف عنها ومشاورة السلطان عليها وأخذ خطه (توقيعه)»[3].

وفي بلاد الشام كان هناك «ناظر جيش» لكل نيابة من نياباتها[4]، وتتلخص

---

(١) طرخان: النظم، ص١١٩.

(٢) ابن شاهين: زبدة، ص١٠٣؛ بولياك: الإقطاعية، ص٦٥.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٠؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٤؛ الخالدي: المقصد، ورقة ١٣٦ب؛ وانظر وصية «ناظر الجيش» في ملحق رقم (٣).

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٩، ص٢٥٨.

مهمة كل منهم في «كتابة المربعات[1] التي تنشأ من الشام، وتنزيل المناشير[2] الشريفة التي تصدر إليه»[3].

ومن أبرز من تولى هذه الوظيفة في مصر في دولة المماليك الثانية، القاضي سعد الدين إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م، وجمع معها وظائف أخرى[4]، كما تولى القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقي (ت٨٥٤هـ/ ١٤٥٤م) نظر الجيش في سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م، وعظمت منزلته في أوائل عصر برسباي، وولي الوزارة والإستادارية إلى أن إنحط قدره في أيام العزيز يوسف بن برسباي وصودر وسجن ثم نُفي إلى الحجاز في أواخر عام ٨٢٤هـ/ ١٤٣٨م[5].

وتولى الصاحب جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الكريم (ت٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م) نظر الجيش في سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م، مع نظر ديوان الخاص، وكان ذا منزلة هامة في الدولة ورأي نافذ فيها، وباشر هذه الوظيفة بسيرة حسنة[6].

ويُساعد ناظر الجيش في إدارة هذا الديوان أربعة من الموظفين، وهم: صاحب ديوان الجيش، ويتولى كتابة ما يخرج من هذا الديوان من وثائق، وينوب عن ناظر الجيش في أموره[7]، ومستوفي[8] الجيش، الذي يتولى كتابة الكشف من هذا

---

(١) المربعة: إحدى الوثائق الخاصة بمنح الإقطاع انظر الحديث عنها فيما يلي.

(٢) المناشير: إحدى الوثائق الخاصة بمنح الإقطاع انظر الحديث عنها فيما يلي.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٢، ص٩٧.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٥٦؛ السخاوي: الضوء، ج١، ص٦٥.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٥٥٢-٥٥٤؛ وانظر أخباره في: المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٩٣٠-٩٣١، ١٠١٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٥٠-٥٢، ٢٢٨-٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٥٩، ١٩٢، ١٩٤، ٢١٧، ٢١٨-٢١٩، ٢٢١، ٢٨٥-٢٨٦؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٩أ، ١١أ، ٢٥أ-٢٦أ.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٩٧؛ حوادث الدهور، ج٢، ص٢٨٣-٢٨٨.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٤؛ الخالدي: المقصد، ورقة ١٣٦ب.

(٨) المستوفي: موظف في الديوان يقوم بمهمة جباية الأموال ومقابلة الحسابات وتدقيقها، انظر: ابن مماتي، الأسعد بن مليح (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م): قوانين الدواوين، جمعه وحققه عزيز سوريال عطية، مصر، ١٩٤٣، ص٣٠١. سيشار إليه: ابن مماتي: قوانين الدواوين.

الديوان بعد توقيع السلطان وناظر الجيش، وإخراج الاستحقاقات، وتقسم هذه الوظيفة إلى: مستوفي إقطاعات الديار المصرية، ومستوفي إقطاعات الديار الشامية[1] ومستوفي إقطاع العرب الذي ينظر في شؤون إقطاعات العرب[2]، ومستوفي الرزق «الذي يكتب في الرزق الجيشية[3]، مستقل بذلك لا يكتب في غيرها»[4].

وتَسجل في هذا الديوان كافة فئات الجيش من أمراء وأجناد حلقة ومماليك سلطانية ومماليك أمراء، حيث يقوم كاتب الجيش بتسجيل كل فرد وتاريخ ابتداء إمرته أو جنديته ومقدار إقطاعه وكيفية انتقاله إليه[5].

ويقوم كاتب الجيش بإضافة كل جماعة من أجناد الحلقة إلى مقدم مشهور من أعيانهم ممن هو متميز الإقطاع حيث كان يسمى مقدم الحلقة، ويشرف عليهم نقيب مُلِمٌّ بمساكنهم، لدعوتهم عند الحاجة[6] ويضيف كل جماعة من أمراء الطبلخانات والعشرات ومقدمي الحلقة إلى مقدم من أمراء المائة يسمى مقدم ألف، حيث يخصص للأمراء وأجناد الحلقة جريدة يعين فيها اسم كل أمير ورتبته، وعدد المضافين إليه، وكذلك مقدمي الحلقة[7].

ويُجهز كاتب الجيش أوراق أخرى تتضمن أسماء أمراء الميمنة والميسرة والمقدم في الجيش، وأسماء الأمراء الذين يصطحبون السلطان في الصيد والركوب للمنتزهات والميادين للعب الكرة وغير ذلك[8].

أما بالنسبة إلى المماليك السلطانية، فتضاف جماعة من كل فئة إلى مقدم منها

---

(١) الخالدي: المقصد، ورقة ١٣٧أ.

(٢) الخالدي: المقصد، ورقة ١٣٧أ.

(٣) الرزق الجيشية: هي الأراضي التي تمنح لبعض الأمراء المتقاعدين ليعيشوا من دخلها؛ بولياك: الإقطاعية، ص٩٦-٩٧.

(٤) الخالدي: المقصد، ورقة ١٣٧أ.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٠٠-٢٠١.

(٦) المصدر ذاته، ج٨، ص٢٠٣.

(٧) المصدر ذاته، ج٨، ص٢٠٣-٢٠٤.

(٨) المصدر ذاته، ج٨، ص٢٠٦.

سواء أكانوا أرباب الوظائف[١] أم الكتابية أم غيرهم، مع تبعيتهم الكاملة لمقدمهم الكبير مقدم المماليك السلطانية[٢].

وأما مماليك الأمراء فبالإضافة إلى تبعيتهم المباشرة لأمرائهم، إلا أنهم كانوا مسجلين في هذا الديوان كغيرهم من الفرق[٣]، فإذا تسلم الأمير إقطاعه، قدّم لكاتب الجيش البيانات اللازمة حول مماليكه، ويتولى إعدادها «كاتب عدة الأمير» في سجل خاص يشمل أسماءهم وما خصص لهم من إقطاع أميرهم، وما لهم عليه من رواتب ومخصصات[٤].

وبعد أن ترفع هذه الأوراق لكاتب الجيش، يُحدد يوماً لعرض هؤلاء المماليك أمام السلطان ليعتمدهم بمشهد من الأمراء، فإذا أجيز المملوك كتب اسمه وأوصافه بدقة، وإذا رُفض المملوك طُولب الأمير بإقامة غيره، وبعد العرض يستحق هؤلاء المماليك إقطاعاتهم من هذا التاريخ، بخلاف الأمير الذي يستحق إقطاعه من تاريخ كتابة منشوره[٥].

وفي زمن القلقشندي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) استعيض عن عرض أجناد الأمراء في ديوان الجيش، بأوراق يقدمها كل أمير بأسماء أجناده إلى ديوان الجيش لتحفظ فيه[٦].

ويشرف ديوان الجيش على إصدار الوثائق الخاصة بمنح الإقطاع، إذ يقوم ناظر الجيش بتدقيق الأوراق الخاصة بالروك، ومقادير الإقطاع، وفحص هذه الأوراق بالديوان، ثم كتابة الوثائق المختلفة بمساعدة كتّاب الجيش بأمر من السلطان[٧].

---

(١) انظر الحديث عنهم فيما بعد عند الحديث عن إدارة المماليك السلطانية.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٠٤-٢٠٦.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٠٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٦٢.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٠٦-٢٠٧؛ طرخان: النظم، ص١٥٤.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٠٧؛ طرخان: النظم، ص١٥٤-١٥٥.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٦٢.

(٧) طرخان: النظم، ص١١٩.

وأولى الوثائق التي يصدرها ديوان الجيش هي «المثال»، والتي تنص على ماهية الإقطاع الممنوح، من حيث إصداره جديداً أو منقولاً، واسم المقطع ومقدار إقطاعه وتاريخ اعتماده، ويقوم السلطان بالتوقيع على هذه المثالات بكلمة (يُكتب)، ثم يوقع ناظر الجيش تحته بعبارة «يمتثل الأمر الشريف»، بعد ذلك يحيل الناظر «المثال» إلى أحد كتاب الجيش لحفظه وكتابة تاريخه[١].

وبمقتضى المثال تكتب وثيقة ثانية مربعة الشكل تسمى «المربعة» وتتضمن البيانات الواردة في المثال، ولكن بتفصيل أكثر، من حيث رتبة الأمير وعدد أجناده وموقع الإقطاع ومساحته، كما تذكر فيها ألقاب السلطان كاملة[٢].

وبعد ذلك ترسل المربعة إلى ديوان الإنشاء[٣] ويكتب المنشور بمقتضاها[٤] ويتسلمها كاتب السر عن طريق مدرا «وهم طائفة من الأعوان بديوان الإنشاء مهمتهم أخذ المكاتبات وإدارتها على كاتب السر ومن دونه من كتّاب الديوان»[٥]، ثم يحيلها كاتب السر إلى كتاب الدّرج – سموا كذلك لكتابتهم على درج من ورق – لكتابة المنشور على أساس البيانات الواردة في المربعة، وهؤلاء مختصون بكتابة مناشير صغار الأمراء، أما كبار الأمراء فاختص بكتابة مناشيرهم كتّاب الدست، ثم يأخذ السلطان توقيعه على المنشور[٦]، ويمتاز المنشور بكثرة تفاصيله، وينص على نعم السلطان وعطاياه وصدقاته وكرمه، وتختلف المناشير في افتتاحياتها وحجوم أوراقها باختلاف رتبة المقطع من الأمراء[٧].

---

(١) طرخان: النظم، ص١١٩-١٢٠؛ وانظر النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٠٨؛ العمري: مسالك، ص٤٧.

(٢) طرخان: النظم، ص١٢٠.

(٣) انظر هذا الديوان: المقريزي: المواعظ والاعتبار؛ ج٢، ص٢٢٥-٢٢٧.

(٤) العمري: مسالك، ص٤٧؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٧.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص١٣٩؛ طرخان: النظم، ص١٢٢.

(٦) طرخان: النظم، ص١٢٢.

(٧) طرخان: النظم، ص١٢٣-١٢٩؛ وانظر المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١١.

وفي بلاد الشام يقوم النائب بإبلاغ السلطان بمن يموت من الأمراء لإقامة بدله، أما أجناد الحلقة،فللنائب إقامة عوض من يموت منهم، ويكتب مثالاً على نحو ما يكتب في مصر، ثم المربعة ويرسلها إلى ديوان الجيش في مصر لتدقيقها، وأخذ توقيع السلطان عليها، ثم تكتب المربعة والمنشور من الديوان بعد ذلك[١].

ب- الديوان المفرد:

ويسمى ديوان الاستادارية[٢]، وهو من الدواوين التي أنشئت في دولة المماليك الثانية، أنشأه السلطان برقوق سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م، للإشراف على الإقطاعات الخاصة بجامكيات وعليق وكسوة المماليك السلطانية[٣]، وأشرف هذا الديوان على البلاد التي خصصت له والتي وصلت إلى أكثر من مائة وستين بلداً، أهمها فارسكور[٤] والمنزلة[٥] والتي تدر دخلاً كبيراً من أجل توفير الأموال اللازمة لمخصصات المماليك السلطانية[٦].

ويشبه الديوان المفرد ديوان الجيش في إدارته، إذ يرأسه أحد كبار موظفي الدولة هو الاستادار[٧]، وينوب عنه ناظر يسمى «ناظر الديوان المفرد»[٨]، وهناك

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٧.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٥٦، ج٤، ص٤٤، ٢٨٤.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٣؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢٣؛ الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٦ب-١٢٧أ، ١٣٧أ؛ Ayalon: The system, P. 283

(٤) فارسكور: قرية من كورة الدقهلية قديماً وهي الآن من مراكز مديرية الدقهلية في مصر؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٣٤٦؛ هامش (٢).

(٥) المنزلة: هي بلدة المنزلة الحالية في مصرالواقعة على بحيرة المنزلة؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص١٨٩، هامش (٣).

(٦) ابن شاهين: زبدة، ص١٠٧.

(٧) الاستادار: لفظ فارسي يتكون من مقطعين «استد» بمعنى أخذ، و«دار» بمعنى ممسك فيصبح المعنى «المتولي للأخذ»؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٧.

(٨) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٢٥، ٣٢٥، ٣٦٠، ٤٢٦، ٤٣٥، ٤٤٢، ج٤، ص٨٢-٨٤، ١٤٢.

صاحب الديوان ومستوفيه[1]، وذكر الخالدي أن لهذا الديوان موظف آخر يسمى «عامل الباب والشونة» مهمته الإشراف على ضبط ما يكتب ويصرف من الشونة من غلال ونحوها[2].

ويُلخص ابن شاهين وظيفة الاستادار - ويسمى استادار العالية - بـ«التصرف في جميع بلاد المفرد الشريف المرصدة لجوامك المماليك السلطانية، وله التصرف في غالب الأقاليم بطرائق عديدة»[3]، وفي الإشراف على البيوت السلطانية، وما يتبعها من مطابخ وشراب خاناه وحاشية وغلمان[4].

وأصبحت وظيفة الاستادار في دولة المماليك الثانية مرتبطة بمدى توفيره للأموال اللازمة لمخصصات المماليك السلطانية، لذا، فقد تعرض الاستادار إلى ضغوط مستمرة من قبل السلطان لتعطل مرتبات المماليك أو تأخر صرفها وعجزه عن توفير الأموال اللازمة لسد العجز في الديوان[5]، كما تعرض كثير منهم لأذى المماليك السلطانية لتعطل أو تأخر صرف مرتباتهم[6].

ويعتبر يحيى بن عبد الرزاق الزين القبطي الاستادار (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) من أبرز من تولى الاستادارية في دولة المماليك الثانية سنة ٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م[7]، وأكثر

(١) الخالدي: المقصد، ورقة ١٣٧أ.

(٢) الخالدي: المقصد، ورقة ١٣٧أ.

(٣) ابن شاهين: زبدة، ص١٠٦.

(٤) العمري: مسالك، ص٥٧.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٤٢-٤٣، ٧٣، ٢٥٨، ٢٧٧؛ حوادث الدهور، ج٢، ص٢٢٧، ٢٤٥؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٢٨، ١٤٤، ٣٥٨، ٤٢١، ٤٢٧، ٤٣٧، ج٣، ص٣٩، ١٨٤، ٢٩٣، ج٤، ص٨٢، ١٨٥، ٢٨٢، ٣٥٨-٣٥٩، ٣٨٠.

(٦) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٦٤٧، ٧٩٣، ٨٦٤-٨٦٥، ٩٠٩، ٩٣٠-٩٣١؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج٨، ص١٦٨، ٢٥١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٨٤، ١٣٨؛ حوادث الدهور، ج٢، ص٢٢٠، ٢٧٠-٢٧١؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٧) السخاوي: الضوء، ج١٠، ص٢٣٣-٢٣٤.

من تعرض لأذى المماليك السلطانية بسبب مرتباتهم[1]، فقد عزل وصودرت أملاكه أكثر من مرة[2].

وعانى الديوان المفرد في بعض الفترات من العجز عن صرف مرتبات المماليك السلطانية ففي سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م توقفت أحوال هذا الديوان، ووصل عجزه إلى حوالي مائة وعشرون ألف دينار، فتشدد الاستادار في تحصيل الأموال اللازمة لسد العجز من مختلف الأقاليم[3]، وفي سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م عجز الديوان المفرد عن توفير عليق خيول المماليك السلطانية، فأمر السلطان برسباي بتحصيل الشعير من الناس[4]، كما لجأ برسباي في رمضان سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م إلى قطع رواتب من أرباب البيوتات والضعفاء والفقراء والمستحقين للجامكية من هذا الديوان، بخلاف ما كان يتم قبل ذلك من التوسعة عليهم في مثل هذا الشهر[5].

وفي عهد السلطان قايتباي أثيرت مشكلة عجز الديوان المفرد، خاصة بعد أن ارتفعت مقادير جامكيات ومرتبات المماليك السلطانية عما هو مقرر سابقاً، وخاصة سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م، وكان سبب تعطل هذا الديوان في ذلك الوقت خروج مساحات كبيرة من أراضيه المرصدة له إلى كثير من المماليك السلطانية، وبالذات الخاصكية عند تولية بعض السلاطين الحكم[6]، وأمام هذه المشكلة أمر

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٠٦، ج١٥، ص٤٣٣-٤٣٤؛ حوادث الدهور، ج١، ص٢١؛ السخاوي: التبر المسبوك، ص١٤٦؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٧٧، ٢٧٠-٢٧١، ٢٨٩.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٧٠، ٨٣، ٢٩٢؛ حوادث الدهور، ج١، ص٣٧-٣٨، ج٢، ص١٦٥، ١٧٧؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٣٣، ٣٦٢، ٣٨٤، ٤٠٢، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٤٢-٤٤٨.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٦٨٨.

(٤) الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص١٥٤.

(٥) الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص٢٥٨؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٥٦.

(٦) الصيرفي: أنباء الهصر، ص٣٣-٣٤، ومن الأمثلة على خروج هذه البلاد ما وزعه السلطان خشقدم من إقطاعات ثقيلة من هذا الديوان على المماليك السلطانية عندما تسلطن في رمضان سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٥٨-٢٥٩؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٨٣.

السلطان قايتباي بقطع المخصصات الزائدة لهؤلاء المماليك حتى أرجعها إلى سابق عهدها[1].

وفي عهد السلطان الغوري استمر الديوان المفرد يتعرض للعجز والتعطيل، وأصبح الاستادار عاجزاً عن تسديد المبالغ المطلوبة[2]، وقد ساعد ظهور العجز في هذا الديوان وغيره من الدواوين ما استجده السلطان الغوري من العسكر (الطبقة الخامسة)، وما رافقه من زيادة في مرتبات الجامكية وغيرها، إضافة إلى كثرة طوائف العسكر التي تجمعت في عهده[3].

ولظاهرة تعطل موارد الديوان المفرد وغيره من الدواوين في النصف الثاني من دولة المماليك الثانية أسبابها، إذ أدى تعرض الفرنجة المستمر لسواحل الإسكندرية والبرتغاليين لسواحل جدة في سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م، إضافة إلى ثورات العربان في إقليم البحيرة، إلى تعطل تلك الموارد وقلة مدخولاتها مما كان له أثره الواضح على مدى توفير المخصصات للمماليك السلطانية[4].

ج- ديوان الوزارة:

تمثل الوزارة في التاريخ الإسلامي أكبر منصب في الدولة بعد الخليفة أو السلطان، ثم تراجعت في عصر المماليك أمام نيابة السلطنة، وفي دولة المماليك الثانية تراجعت أيضاً منذ أن أسس الظاهر برقوق الديوان المفرد فأصبحت مكانة الاستادار تفوق الوزيرالذي أصبح يشاركه في مهام الوزارة ثلاثة موظفين هم: كاتب السر، الاستادار، ناظر الخاص[5]، وأصبحت مهمة ديوان الوزارة – ويسمى ديوان الدولة – في هذه الفترة، تتلخص في تأمين صرف اللحوم المرتبة للمماليك، كما

---

(١) انظر الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٨٢، ١٨٥.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٣٦٨-٣٧٠.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٣٥٩.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢٣-٢٢٤؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٤؛ **Ayalon: The system, P. 286.**

أشرف الوزير ونائبه – ناظر الدولة -[1]، على تأمين هذه اللحوم من مصادرها للمماليك والمطبخ السلطاني[2]، ومتابعة صيارف ومعاملي اللحم الذين يقومون بشراء الأغنام من الأسواق، وتأمين وصول اللحم للطباق[3].

وقد أصبح بقاء الوزير في منصبه مرتبطاً بمدى توفيره لنفقات اللحوم المترتبة للمماليك السلطانية[4]، لذا، فقد كثرت ثورات المماليك الجلبان ضد الوزراء الذين عطّلوا أو أخّروا مرتبات اللحوم عن صرفها لعجز هؤلاء الوزراء عن تأمين اللحوم، إما لقلة موارد اللحوم وإما لغلاء الأسعار[5].

واستمر منصب الوزير في التراجع في هذه الفترة، ففي ذي الحجة سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م تولى الشمسي محمد البباوي[6]، أحد معاملي اللحم نظر الدولة[7]، ثم أصبح وزيراً في ربيع الأول من العام التالي، فعدت هذه التولية من أقبح الحوادث في حق الوزارة[8]، وفي جمادى الآخر سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م، تولى قاسم شغيته[9]

(١) انظر أمثلة على ناظر الدولة في: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٩٦، ج١٥، ص٥٤؛ ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٢٢، ١٧٩، ٢٣٥، ج٥، ص٥، ص١٣.

(٢) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص٣٩-٤٠، ج٤، ق٢، ص٧٣٤؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤٣٦؛ Ayalon: The system, P. 281

(٤) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج٢، ص٢٢٥-٢٢٦، ٣٣٠.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٣، ص١٠٦٧، ج٤، ق٢، ص٧٠٩-٧١٠، ٨٠٢، ٩٠٩، ٩٣٠-٩٣١، ١٠١٨؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج٤، ص٢١١، ج٥، ص١٣٢، ج٨، ص١٧٠، ١٧٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٢٧، ج١٥، ص٥٠-٥١، ٨٣-٨٤، ج١٦، ص٨٣؛ ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٦٣١، ٦٨٠، ج٢، ص١٢٤، ١٧٦-١٧٧.

(٦) محمد البباوي: من بلدة ببا بالوجه القبلي في مصر، كان أمياً خدم طباخاً في البداية ثم صبياً عند أحد معاملي اللحوم، ثم أصبح معاملاً للحم؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٤٠-٣٤١.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٧٨.

(٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٤٠-٣٤١.

(٩) قاسم شغيته: ولي نظر الدولة والوزارة أكثر من مرة، مات تحت التعذيب في سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م؛ ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٣٠٧.

أحد صيارف اللحم الوزارة فضاعت هيبتها[١].

وفي ربيع الأول سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م عاد لمنصب الوزير بعض هيبته، عندما عين السلطان قايتباي أحد كبار الأمراء في عهده، وهو الأمير يشبك الظاهري الدوادار - منصب الوزارة، في محاولة منه لإصلاح الوزارة، وسد عجز ديوانها عن صرف اللحوم المرتبة، وقام الأمير يشبك بقطع مرتبات الفقهاء والمتعممين وأولاد الناس من اللحوم، وتخفيض مرتبات المماليك السلطانية من اللحوم وإعادتها إلى سابق عهدها[٢].

وكغيره من الدواوين وللأسباب نفسها، أصاب ديوان الوزارة العجز والتعطيل أيام السلطان الغوري[٣] نتج عنه تأخر مرتبات المماليك من اللحوم عن موعد صرفها، ففي جمادى الأولى سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م، شكا ناظر الدولة للسلطان تعطل الديوان عن صرف اللحوم، فأمر بقطع مرتبات الفقهاء وأولاد الناس[٤].

كما تعرض الديوان للعجز في سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م، فلجأ السلطان الغوري إلى اعتقال معاملي اللحم ومصادرتهم[٥]، وعلى رأسهم المعلم علي الصغير[٦]، وأدى اعتقال هؤلاء المعاملين إلى توقف صرف اللحوم، حتى إذا جاء محرم سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، تجمّد للعسكر من اللحوم المرتبة في هذا الديوان أكثر من أربعين ألف دينار[٧] مما دفع السلطان إلى صرف خمسة عشر ألف دينار لشراء الأغنام لسد العجز في هذا الديوان[٨].

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤٣٦.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٢-٢٣؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة٢٠٥أ.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٣٥٩.

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٢٢.

(٥) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٧٠، ١٧٧، ٢٣٠.

(٦) علي الصغير: أحد كبار معاملي اللحم في عهد السلطان الغوري، توفي في رمضان سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م؛ ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٣٣٩.

(٧) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٨.

(٨) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص١٣.

د- دواوين أخرى:

ومن الدواوين التي أشرفت على مرتبات المماليك السلطانية وخاصة فيما يتعلق بالكسوة، ديوان الخاص[١]، الذي يرأسه «ناظر الخاص» أو «ناظر الخواص الشريفة»[٢]، ومن مهام هذا الديوان، تقديم الكسوة المنوعة للأُدُر الشريفة والمماليك السلطانية وأرباب الدولة من قضاة وسادة ونواب وأمراء، وما يتصل بها من خِلعْ وتشاريف ومهام أخرى[٣]، وقد استمر ناظر الخاص في تأدية مهمته بالنسبة إلى كسوة المماليك السلطانية في دولة المماليك الثانية[٤].

وأشرف ديوان «المرتجع» أو «المرتجعات» على الإقطاعات الشاغرة التي انتقلت عن أصحابها لسبب ما ولم تقطع بعد، وتسمى أيضاً «المحلولات» أو «المرتجعات» ويتولى هذا الديوان إعادة إقطاعها من جديد، وأمر هذا الديوان راجع إلى «مستوفي ديوان المرتجع»[٥].

ومن الدواوين المتعلقة بالإقطاع أيضاً «ديوان الذخيرة» الذي أشرف على الإقطاعات المنقولة عن أصحابها إلى أن ينعم السلطان بها على مقطع آخر[٦]، ومن هذا الديوان وزع بعض السلاطين الإقطاعات على المماليك السلطانية في بعض المناسبات[٧].

وتجدر الإشارة إلى «ديوان المماليك»[٨]، الذي كان – فيما يبدو – تسجل فيه

---

(١) ابن شاهين: زبدة، ص١٠٨.

(٢) ابن شاهين: زبدة، ص١٠٨؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٤.

(٣) ابن شاهين: زبدة، ص١٠٨-١٠٩.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٤٣٥، ج١٦، ص٢٦٠.

(٥) طرخان: النظم، ص٢٨٤؛ وانظر ابن شاهين: زبدة، ص١١٠.

(٦) بولياك: الإقطاعية، ص٧١؛ وانظر ابن شاهين: زبدة، ص١١٠.

(٧) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٨٣.

(٨) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٥٣؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص١٣٤؛ السخاوي: الضوء، ج٥، ص٤، ج٨، ص٥٤.

أسماء المماليك الذين يشاركون في بعض المعارك[1]، حيث يقوم «كاتب المماليك» بقراءة أسماء المماليك المجهزين للقتال، أو عند استلام النفقات حين إقامة العرض[2].

ومن الدواوين القائمة على خدمة الجيش فيما يتعلق بالخيول السلطانية «ديوان الاصطبلات» وله ناظر مهمته الإشراف على الإصطبلات والمناخات (للجمال)، وعليقها وأرزاقها وما يستعمل لها ويبتاع لها ومنها[3]، يشرف عليه أحد مقدمي الألوف وهو أمير آخور[4].

وتجدر الإشارة فيما يتعلق بالدواوين إلى، اختفاء ديوان الأسطول في عصر المماليك، والذي عرف عند الفاطميين والأيوبيين[5]، رغم اهتمام المماليك بالأسطول وتقويته، وتخصيصهم جزءاً من ميزانيتهم للإنفاق عليه، والمعارك التي خاضها جيش المماليك ضد جزيرتي قبرص ورودس، والنشاط البحري ضد البرتغاليين أيام السلطان الغوري[6].

٢- إدارة الفرق العسكرية:

أشرف على إدارة الفرق العسكرية في عصر المماليك مجموعة من الوظائف الخاصة بكل فرقة.

---

(١) العيني: عقد الجمان [٨٢٤-٨٥٠هـ]، ص٥٨١.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج١، ق١، ص٣٤٩؛ وانظر أمثلة في ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٧٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٨٧، ج١٥، ص٤٣٥؛ حوادث الدهور، ج١،ص٦-٧، ١١٣؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤٥١، ج٤، ص٣٥٣-٣٥٤، ٤١٣، ٤٤٨، ج٥، ص٢٧.

(٣) العمري: مسالك، ص٦٢.

(٤) انظر عنه الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٩٤-١٩٥.

(٦) ماجد: نظم، ص١٨٨-١٩٢؛ وانظر ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٥٤-٣٥٥، ٣٦١-٣٦٢، ج٤، ص١٨٥، ٢٠١، ٣١٠-٣١١، ٣٦٥-٣٦٦.

أ- إدارة فرقة المماليك السلطانية:

ارتبطت فئة المماليك السلطانية بالسلطان من خلال إقامتها في الطباق بقلعة الجبل بالقاهرة مركز الحكم، وإشراف السلطان على إدارتها، ومنذ بداية تكوين أفراد هذه الفرقة، قامت الطواشيه (الخصيان) خدّام القلعة بالإشراف على مراحل تعليم المماليك في الطباق (المماليك الكتابية)، وعلى مراقبة عدم اختلاط الكبار بالصغار منهم[(١)].

وبلغ عدد الطواشيه في زمن لم يحدده ابن شاهين الظاهري (ت٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) حوالي ستمائة طواشي، وحدد وظائفهم بـ«سواقون» و«بوابون» و«كنانية»[(٢)]، وقسم على باب الستارة[(٣)]، ومقدمو الطباق[(٤)].

يشرف مقدمو الطباق على ما يقوم به الطواشية من خدمات في طباق القلعة، وكان لكل مقدم إشرافه الخاص على الطبقة التي تخصه، وبعضهم نسبت إليه الطبقة التي أشرف عليها، كطبقة الصندلية التي نسبت إلى الطواشي صندل بن عبد الله الرومي (ت١ ٨٠هـ/ ١٣٩٨م) وهو من أبرز الطواشية أيام الظاهر برقوق[(٥)].

كما راقب المماليك في مراحل تربيتهم الأولى أزِمّة[(٦)] من الخدام، ورؤوس النوب[(٧)]، مهمتهم فحص أحوال المماليك فحصاً دقيقاً، ومعاقبة المخالف منهم لأي

---

(١) العريني: المماليك، ص١١٦-١١٧؛ الفارس المملوكي، ص٥٥.

(٢) ذكر ابن شاهين أن الكنانية قسم من الطواشيه يساعدون زمام الأدر الشريفة في القلعة ويتصرفون في الأشغال المختلفة؛ ابن شاهين: زبدة، ص١٢٢.

(٣) ابن شاهين: زبدة، ص١٢٢.

(٤) انظر أمثلة عليهم في: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٥٠، ج١٣، ص٩؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص١٧٣، ج١٠، ص١٥٣.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٩.

(٦) الأزمّة: جمع زمام وهو طواشي سمي بذلك لأن تعلق جميع الأدر الشريفة بيده وهو من أعيان أمراء الطبلخانات؛ ابن شاهين: زبدة، ص١٢٢.

(٧) رؤوس النوب – جمع رأس نوبة، وهو المشرف على المماليك السلطانية يحكم بينهم ويعاقب المخالف منهم، انظر عنه فيما بعد.

أدب من آداب التعليم[1]، وقام الفقهاء والقراء ممن علموا القرآن الكريم للمماليك في الطباق[2] بمعاقبة من يقترف ذنباً أو يترك أدباً من آداب الدين أو الدنيا كل على قدر جرمه[3].

كما قام آغوات الطباق[4] بالإشراف على المماليك ومراقبتهم في الطباق، فالآغا أشبه بمؤدب للآني (المملوك الصغير) يشمله بعطفه ورعايته ويساعده في محنته[5]، وقد ظل آغوات الطباق في دولة المماليك الثانية مسؤولين عن كثير من الثورات التي قام بها المماليك في الطباق، وتعرضوا بسبب ذلك للتوبيخ أو الضرب أحياناً من قبل السلطان[6].

ويرأس جهاز الطواشيةالمشرفين على تربية المماليك، طواشياً من بينهم يطلق عليه «مقدم المماليك السلطانية»، وتتلخص وظيفته بـ«التحدث على المماليك السلطانية والحكم فيهم»[7]، ومرتبته من إمرة طبلخاناه، يساعده نائب من الطواشية أيضاً من إمرة عشرة يسمى «نائب مقدم المماليك السلطانية»[8].

يبدأ مقدم المماليك حياته في العادة خادماً صغيراً في البيوت السلطانية، ثم مربياً (لالا) لأبناء السلطان، أو يقيم خادماً في الحريم السلطاني، ثم ينتقل في الوظائف المتعلقة بالطباق حتى يصل إلى وظيفة مقدم المماليك[9].

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٤.

(٢) انظر أمثلة عليهم في: السخاوي: الضوء، ج٦، ص١٤٨، ج٧، ص٨٧، ج٨، ص٧٥، ١٦٨-١٦٩.

(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٤.

(٤) عن الآغا والآني: انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٥) العريني: المماليك، ص٢١٦-٢١٧.

(٦) انظر مثلاً: ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٤٥-٢٤٦، ج٤، ص٤١-٤٢، ج٥، ص٧، ٨٢؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ص٣٤٨ب، ٣٧٠ب.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢١؛ وانظر ج٥، ص٤٥٦، ج١١، ص١٧٣.

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢١؛ وانظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٩) العريني: المماليك، ص١١٨.

ويشرف مقدم المماليك السلطانية على الموظفين جميعهم من الطواشية القائمين على خدمة وتعليم المماليك الكتابية وتقضي هذه الوظيفة على أن يحسن المقدم للمماليك، ويُعلمهم أنه واحد منهم لكنه مقدم عليهم، ويرفق بهم مع إقامة المهابة التي توحي أنه بينهم ودائماً معهم، وعليه أن يُلزم مقدم كل طبقة بتقسيم صدقات السلطان الجارية، وترتيب الطباق وإيصال إحسان السلطان للمماليك، وعليه أن يتفقد أمور السواقين، ويستطلع أخبار المماليك وأن لا يخفى عليه شيئاً منها، ويُلزم المقدمين والسواقين بما عليهم من الخدمة، وأن يعدل في التفرقة والعرض والنفقة، وأن يوزع الكساوي المرتبة للمماليك، وأن ينظر في أمر الصغار والكبار أصحاب الطبقات العالية، وإلزامهم بالركوب في الأيام المعتادة، والدخول إلى مكان الخدمة الشريفة والخروج منها، إضافة إلى تفقد ركوبهم ووقوفهم أيام الأسفار والحروب حول الدهليز السلطاني، ومراقبة من يدخل إليهم، وتفقد طعامهم وشرابهم(١).

ولم يقتصر دور مقدم المماليك على الإشراف على الطواشية وتعليم المماليك الكتابية، بل كان نظره في الوظيفة عاماً على المماليك السلطانية، فقد كان بعضهم مسؤولاً عن الثورات التي قام بها المماليك الجلبان(٢)، واشترك بعضهم في عرض العسكر، وتوزيع الجامكية في غيبة السلطان(٣).

تراجع دور شخصية مقدم المماليك في دولة المماليك الثانية عما كانت عليه في دولة المماليك الأولى، فاقتصرت حرمتهم ومهابتهم على قلة منهم، كما تراجعت رتبة المقدم إلى إمرة عشرة مما كان له أثره على مستوى تعليم المماليك في الطباق(٤).

وتولى تقدمة المماليك في دولة المماليك الثانية – العديد من الطواشية، من

---

(١) من وصية مقدم المماليك، انظر العمري: التعريف، ص١٣٠-١٣١؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١١، ص١٧٣؛ وانظر ملحق رقم (٤) من هذه الدراسة.

(٢) انظر: ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج١، ص٤-٥، ج٢، ص٢٣١، ٢٧٨؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٢٥٢أ.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٤١٦، ج٥، ص٢٠.

(٤) انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

أبرزهم زين الدين بهادر بن عبد الله الشهابي (ت٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م) الذي تولاها سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٢م، وكان من ذوي الكلمة النافذة في الدولة[١]، والأمير ياقوت الارغنشاوي الحبشي (ت٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م). الذي وصف بحسن سيرته وتواضعه[٢] والأمير خشقدم اليشبكي الرومي (ت٨٥٦هـ/ ١٤٥٦م) الذي تولاها سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م[٣]، والأمير عبد اللطيف الرومي المنجكي (ت٨٦١هـ/ ١٤٥٦م) الذي تولاها سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م[٤] والأمير مرجان العادلي (ت٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م)، الذي تولاها سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م[٥]، وجوهر النوروزي (ت٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م)، تولاها سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م[٦]، ومثقال الحبشي (ت٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) تولاها سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م[٧] وخالص التكروري (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) تولاها سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م[٨]، وعنبر التكروري (ت٩١٥هـ/ ١٥٠٩م)، تولاها سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م[٩]، وسنبل العثماني (ت بعد

(١) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص٤٣٦؛ وانظر ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٣٣؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٦٣.

(٢) السخاوي: الضوء، ج١٠، ص٢١٣؛ وانظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٦٤-١٦٥.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٤٤، ج١٥، ص١٦٥، ج١٦، ص٢٠-٢١؛ حوادث الدهور، ج١، ص٣٤؛ السخاوي: الضوء، ج٣، ص١٧٤، ج٤، ص٣٤٠؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٣٣، ٢٩٧.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٤٨، ٣٨١، ج١٦، ص١٨٥؛ السخاوي: الضوء، ج٤، ص٣٤٠؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٣٨.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٤٢، ج١٦، ص٧٩، ٣١٢؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٢٨٧، ٣١٣، ٣٤٥، ٣٧٢.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٤٢، ج١٦، ص١٨٥، ٢٢٥، ٢٩٢؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٢٨٧، ٣٧٢، ٤٣٥، ج٣، ص١٢٧.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٩٢؛ السخاوي: الضوء، ج٦، ص٢٣٩؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤٣٥، ج٣، ص١٥٩، ١٦٤.

(٨) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص١٦٤، ٣٦٠؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٣٠٣أ.

(٩) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٤٢٥، ج٤، ص٦٥، ١٦٤.

٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، تولاها سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م[١].

إضافة إلى وظيفة مقدم المماليك، أشرفت وظيفة «رأس النوبة» على إدارة هذه الفرقة أيضاً، ويلخص القلقشندي مهمة هذه الوظيفة بـ«الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم»[٢]، أي مراقبة المماليك ومعاقبة المخالف منهم، وقد قام بهذه الوظيفة أحد مقدمي الألوف تبعه ثلاثة من أمراء الطبلخانات[٣].

ولم تقتصر إدارة المماليك السلطانية على فئة الكتابية منهم، بل أشرف العديد من الأمراء أرباب السيوف والطواشية على فئات المماليك السلطانية أرباب الوظائف الخاصة بالقصر السلطاني، إذ أشرف أمير سلاح على فئة السلاحدارية[٤]، وأشرف أمير طبر[٥] على الطبردارية[٦]، وللدوادارية كبير عليهم يدعى أمير دوادار كبير[٧].

وأشرف على طائفة الجمدارية[٨] رأس نوبة الجمدارية[٩] وذكر ابن شاهين أن لهذه الفئة سبعة رؤوس نوب[١٠]، وأشرف على الخازندارية أمير خازندار كبير[١]،

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٦٦.
(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٨، وانظر ج٥، ص٤٥٥.
(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٨.
(٤) السلحدار: مصطلح يتكون من مقطعين أحدهما عربي وهو السلاح والآخر فارسي (دار) بمعنى ممسك، فيصبح المعنى ممسك السلاح، يتولى حمل سلاح السلطان وإليه أمر السلاح خاناه القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦٢.
(٥) الطبر: سلاح يشبه الفأس، انظر الحديث عن السلاح خاناه فيما بعد.
(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢؛ ماير: الملابس المملوكية، ص٥٨.
(٧) انظر عن وظيفته الفصل الرابع من هذه الدراسة.
(٨) الجمدار: مصطلح فارسي يتكون من مقطعين (جام) بمعنى ثوب و(دار) بمعنى ممسك، فيصبح المعنى (ممسك الثوب) يقفون في الخدمة لإمساك ما يؤمرون به؛ الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٤؛ دوزي: تكملة، ج٢، ص٢٦٧.
(٩) النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص٢١٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٣٤.
(١٠) ابن شاهين: زبدة، ص١١٦.

كبير[1]، ومثلها طائفة الجاندارية التي أشرف عليها أمير جاندار كبير[2].

وأشرف على «الزردكشية»، الزردكاش الكبير[3]، أما السقاة[4]، فقد أشرف عليهم طواشياً سُمي رأس نوبة السقاة[5].

وهناك طوائف أخرى من المماليك ذات وظائف مثل البندقدارية[6] والجمقدارية[7]، والحرب دارية والرمح دارية[8]، والبشقمدارية[9] والحراس[10] والأوشاقيه أو الأوجاقية[11]، وهي وظائف ترجع إدارتها - فيما يبدو - إلى أشخاص من بينهم كمقدمين عليهم[12].

ب- إدارة أجناد الحلقة:

قُسمت أجناد الحلقة من خلال العمل الذي قاموا به إلى أربعة أقسام، هي: البحرية وهي الطائفة التي جددها السلطان قلاوون، من بقايا البحرية الصالحية،

---

(١) انظر عنه الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٢) انظر عنه الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٣) انظر الحديث عن خزائن السلاح فيما يلي.

(٤) السقاة: جمع ساقي ومهمته حضور الخدمة عند قدوم الطعام والشراب للسلطان وفراش ما يحتاج إلى فرشه؛ الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٤.

(٥) ابن إياس: بدائع، ج٣، ص٢٠٠، ٣٨٦، ٤٢٢، ج٤، ص١٦٦.

(٦) جمع بندقدار: وهو الذي يحمل جراوة البندق للسلطان في خروجه للصيد. الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٩ب.

(٧) جمع جمقدار: وهو الذي يحمل الدبوس في الاحتفالات قريباً من السلطان؛ دوزي: تكملة، ج٢، ص٢٨٣.

(٨) النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٠٤، ٢٢٧، ويبدو أن هاتين الطائفتين لهما صلة بخزائن السلاح كفئة السلاحدارية.

(٩) جمع بشمقدار: وهو الذي يحمل نعل السلطان أو الأمير؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٩.

(١٠) النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٠٥.

(١١) جمع أوشاقي أو أوجاقي، وقد سبق التعريف به، انظر الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(١٢) النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٠٤-٢٠٥.

ورتبها بالقلعة ومهمتها حراسة السلطان[1]، ومماليك المهمات الشريفة، الذين يرسلهم السلطان في بعض السفارات المختلفة، ومماليك الغيبة الذين يعينهم السلطان في مراكز معينة في مصر أثناء غيبته، وفئة تخدم بيوت الأمراء[2]، ويرادف لفظة البحرية مصطلح «المفاردة» الذي أطلق في بعض الأحيان على أجناد الحلقة[3]، وهو يعني أفراد الجيش من غير المماليك[4]، وأوكلت إليهم مهمة الإقامة في القاهرة بعد خروج العسكر إلى الحرب[5].

وأشرف على قيادة أجناد الحلقة وإدارتهم في عصر المماليك مقدمون وأمراء ونقباء، إذ يقود كل أربعين جندياً من أجناد الحلقة مقدم يسمى «مقدم الحلقة» ليس له سلطة عليهم إلا وقت الحرب[6]، فتكون «مواقف الأربعين مع مقدمهم، وترتيبهم في موقفهم إليه»[7]، وذكر الخالدي أن مقدمي الحلقة في عهده كانوا أربعين مقدماً لهم سمو حال وقدم هجرة ورأي مسدد ووجاهة في العسكر، ويحضرون باستمرار المواكب السلطانية في الإيوان ويشرفون على من يسافر من الحلقة في المهمات الشريفة[8].

ويضاف كل ألف من أجناد الحلقة إلى أمير من مقدمي الألوف لقيادتهم وقت الحرب ولهذا سُمي كل من هؤلاء الأمراء «أمير مائة مقدم ألف»[9]. ولكل مائة من هؤلاء الألف، نقيب أوباش، تكون مهمته النظر في أمورهم، ويقع على

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٦.

(٢) ابن شاهين: زبدة، ص١١٦؛ الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٤أ؛ طرخان: مصر، ص٢٢٥.

(٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ١٨٩، ٢١٣؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١١١.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص٩٣-٩٤ (هامش٥).

(٥) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص١٦٣، ١٦٦.

(٦) العمري: مسالك، ص٢٨؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٦؛ الخالدي: المقصد، ورقة١٢٤أ؛ بولياك: الإقطاعية، ص١٨-١٩.

(٧) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٦.

(٨) الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٤أ.

(٩) ابن شاهين: زبدة، ص١١٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٧٠.

عاتقه تبليغهم عند إقامة العرض للخروج للحرب، ويكون النقيب مُلماً بمساكن هؤلاء الأجناد ليسهل تبليغهم عند إقامة العرض[1].

أما عرض أجناد الحلقة، فقد تولاّه أحد كبار موظفي الدولة، كنائب السلطنة[2] أو ناظر الجيش[3] أو حاجب الحجاب[4] أو مقدم المماليك[5] أو نقيب الجيش[6] أو رأس نوبة[7].

ج- إدارة مماليك الأمراء:

ترجع فرقة مماليك الأمراء في قيادتها وإدارتها وإقامتها والإنفاق عليها[8] إلى الأمراء مباشرة، ويعد كبار الأمراء صورة مصغرة للسلطان، إذ يعد كل أمير من مقدمي الألوف والطبلخانات «سلطان مختصر في أغلب أحواله» على حد تعبير القلقشندي[9].

ويقيم المماليك مع أمرائهم، ويقوم الأمير بتسجيل مماليكه في ديوانه الخاص به، ومنه ترسل نسخة إلى ديوان الجيش لتحديد عبرة (مقدار) إقطاع الأمير[10].

ويشرف الأمير على تعليم مماليكه وتدريبهم عسكرياً، فهناك أمراء اقتنوا مماليك كتابية، على غرار الكتابية من المماليك السلطانية، كالأمير سودون البلاطي

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٠٣؛ ابن شاهين: زبدة، ص١١٦؛ وانظر ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٨٠، ١٥٥، ١٦٦، ج٩، ق٢، ص٣٦٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٧٩.

(٢) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٨٠، ج٩، ق٢، ص٣٦٢-٣٦٣.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٧٧.

(٤) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٨٠، ١٥٥.

(٥) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق٢، ص٣٧٤.

(٦) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص١٥٥؛ المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص٤٦٠.

(٧) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص١٦٣، ج٩، ق٢، ص٣٧٤؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٨٠٧.

(٨) عن الإنفاق على مماليك الأمراء، انظر الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٩) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٦٠.

(١٠) انظر الحديث عن ديوان الجيش فيما سبق.

الأعرج أحد مقدمي الألوف في زمن برسباي (ت٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)[١].

ولكبار الأمراء بيوت خدمة كبيوت السلطان، تسمى «البيوت الكريمة»، وهي تقابل «البيوت الشريفة» التي تخص السلطان، ولهم اصطبلات لخيولهم ومناخات لجمالهم وشون لغلالهم[٢]. ويقوم الأمير بتعيين بعض مماليكه في وظائف تقوم على خدمته وخدمة مماليكه، مثل: استادار، رأس نوبة، دوادار، أمير مجلس، جمدارية، أمير آخور، استادار صحبة، مشرف[٣].

ويركب المماليك في خدمة أميرهم أيام المواكب، خاصة أرباب الوظائف منهم، كرأس نوبة والدوادار وأمير مجلس، كل حسب مكانته عند الأمير، وتكون الجمدارية من مماليكه الصغار خلفه وخلف هؤلاء جميعاً يقف أمير آخور ومعه الجنائب[٤] والأوشاقية[٥].

وبلغ من ارتباط مماليك الأمراء بأمرائهم، أن الأمير كان لا يتناول طعامه إلا مع أجناده من المماليك[٦].

٣- العرض العسكري:

جرت العادة في عصر المماليك أن يتم استعراض الجيش قبل خروجه إلى القتال، وقد أشرف على عملية العرض «نقيب الجيش»[٧]، وصاحب هذه الوظيفة، كأحد الحجاب الصغار، يتولى عدة مهام منها حراسة السلطان في سفره أو خروجه

---

(١) ويقال له خجا سودون، انظر ترجمته في السخاوي: الضوء، ج٣، ص٢٧٧-٢٧٨؛ العريني: المماليك، ص٩٢-٩٣.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٦٠.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٦٠؛ Ayalon: Studies (2), p.462

(٤) الجنائب: هي الخيول المسرجة المعدة للركوب – العريني: المماليك، ص٢٢٥.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٦١؛ وانظر السخاوي: الضوء، ج٣، ص٢٧٨.

(٦) السخاوي: الضوء، ج٣، ص٢٧٨.

(٧) يعرف في نيابات الشام باسم «نقيب النقباء»؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٦.

في الموكب[1]، وإحضار من يطلب من الأمراء والأجناد للسلطان أو نائبه[2]، واعتقال بعض الأمراء[3]، على أن أهم وظيفة لنقيب الجيش هي تنظيم وجمع وعرض الجيش، وتبليغ الأمراء والعسكر بموعد العرض وذلك بمساعدة نقباء الألوف (الحلقة)[4].

ويتم عرض الجيش في ميدان القلعة الفسيح[5]، ويبدأ العرض برفع راية السلطان التي تسمى «الجاليش» أو «الشاليش» وهي راية على رأسها خصلة كبيرة من الشعر، وهي من تقاليد الترك الذين كان علمهم يزيّن بخصلات من شعر ذنب الخيل[6]، وتكون الراية عادة من الحرير الأبيض المطرز تعلوها هذه الخصلة[7].

ويعلق الجاليش على الطبلخاناه السلطانية[8] قبل خروج الجيش للقتال بأربعين يوماً[9] ويبقى الجاليش معلقاً طيلة العرض، طال أو قصر[10]، وعندما يتحرك الجيش يوضع الجاليش في مقدمته[11].

وبعد تعليق الجاليش وعرض العسكر يتم توزيع نفقة الحرب على

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢٣.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢١-٢٢، ج٥، ص٤٥٦.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤٣٨، ج٣، ص٩٦، ٣٣٧، ج٤، ص٩٨، ج٥، ص١٦.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢١؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢٣؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٧٦، ج٤، ص٣٣٥، ٤٤٦، ٤٠٣، ج٥، ص١٩، ١٧٦.

(٥) ماجد: نظم، ج١، ص١٥٩.

(٦) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص٢٦٠. سيشار إليه: ابن خلدون: المقدمة.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٦، هامش(١)، ويطلق الجاليش أيضاً على مقدمة الجيش الذي يخرج للقتال؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٧٢.

(٨) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٤٥.

(٩) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٣٣.

(١٠) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٣٧.

(١١) ماجد: نظم، ج١، ص١٥٩.

العسكر[1]، ثم يركب السلطان فرسه وفي يده الطبر، ويتحرك الجيش أمامه على شكل أطلاب[2]، ويخرج طُلب السلطان في البداية، ويتبعه أطلاب الأمراء حتى يصل إلى الرايدانية[3]، ويصطف الناس لمشاهدة عرض الأطلاب[4]، وقد ترك لنا ابن إياس وصفاً مسهباً لطُلب السلطان الغوري عندما خرج لملاقاة العثمانيين في مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، حيث احتوى طلبه على الهجن والخيول المزركشة والمزينة بالملابس والسروج إضافة إلى التخوت والخزائن والطبول وركب معه أمراء عشرات ورؤوس نوب بالشاش والقماش وبعض الخدم من الطواشية، ومجموعة من الفقهاء وموظفي الدولة، كما احتوى هذا الطُلب على الصناجق[5] وما بها من طبول[6].

أما طُلب كبار الأمراء فقد جرت العادة أن يحتوي طُلب كل أمير على أكثر مماليكه، تتقدمهم خزانة الأمير محمولة على جمل أو جملين، وتتقدم الخزانة عدة جنائب تُجر على أيدي مماليك ركاب خيل وهجن وركّابه من العرب على هجن تتقدمهم الهجن بين أربعة إلى ثمانية، أما الجنائب فعددها مرتبط بسعة حال الأمير، ومن الجنائب من هو مسرج ملجم، ومنها من هو بعباءة فقط[7].

وبعد انسحاب الأطلاب يشق السلطان شوارع القاهرة في موكب متجمل

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٣٧.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٣٧، والطلب هو فرقة من العسكر خاصة ببعض الأمراء، وللسلطان طلبه الخاص به؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٥٥، هامش(١)؛ ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٣٥ وما بعدها.

(٣) الريدانية: جهة قرب العباسية الحالية بالقاهرة؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص١٣٧، هامش(٦).

(٤) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٣٥-٣٦.

(٥) الصناجق أو السناجق، هي الرايات. ابن خلدون: المقدمة، ص٢٦٠.

(٦) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٣٥-٣٦.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٦١.

للغاية، فالسلطان قانصوه الغوري خرج في موكب عظيم تقدمه النفير السلطاني المسمى «البرغشي»، وأفيال ثلاثة مزينة بالصناجق يردفه العسكر بالشاش والقماش، والأمراء رؤوس النوب يفسحون الناس بالعصي عن الموكب، ثم تبعهم الأمراء والطبلخانات والعشرات وأرباب الوظائف، وخلفه مقدم المماليك والسلحدارية، وعدد كبير من الخاصكية والجمدارية حتى وصل إلى مخيمه بالريدانية[١].

ويساق في هذا العرض أعداد كبيرة من الخيول، قد تصل إلى ثلاثة آلاف فرس، كما حصل في العرض الذي أقامه السلطان فرج، عندما خرج إلى بلاد الشام لقتال الثائرين بها في أواخر عام ٨١٤هـ/ ١٤١١م، وساق في العرض أعداد كبيرة من العربات التي تجرها الأبقار عليها آلات الحصار والنفوط والمدافع والصناجق تردفها الزردخاناه[٢]، محمّلة على أكثر من ألف جمل تحمل كميات كبيرة من الأسلحة[٣].

ويصحب الجيش أثناء العرض والخروج، فرقة موسيقية هي الطبلخاناه وهي «طبول متعددة معها أبواق وزمر تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص»[٤]، وتتكون من أربعين حملاً من الكوسات[٥]، وأربعة طبول دهل وأربعة زمور وعشرين نفيراً[٦].

كما يصحب العسكر كبار فقهاء الدولة وقضاتها وأرباب الوظائف فيها[٧]،

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٤٠-٤١.

(٢) الزردخاناه: تعني خزائن السلاح انظر الحديث عنها فيما يلي.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٣٣-١٣٤.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٨-٩.

(٥) الكوسات هي صنوجات دائرية نحاسية تدق بعضها ببعض أثناء قرع الطبول [ ].

(٦) ابن شاهين: زبدة، ص١٢٥.

(٧) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٣٥.

والقراء والوعاظ والمؤذنين[1]، والأطباء والكحالين والجواسيس[2]، والغلمان والفراشين وغلمان الزردخاناه والبنائين والحجارين والنجارين والطبالين والزمّارين والمغنيين ونحوهم[3].

ويقود الجيش المتوجه للقتال في حالة عدم خروج السلطان أحد كبار مقدمي الألوف كالأتابك وغيره، ويطلق عليه «باش العسكر»[4] أو «مقدم العسكر»[5].

٤- خزائن السلاح:

عرفت المؤسسات القائمة على حفظ وتخزين الأسلحة في فترة سابقة المماليك تحت اسم «خزائن السلاح» أيام الفاطميين[6]، ثم عرفت عند الأيوبيين، ومن بعدهم المماليك تحت اسم «السلاح خاناه» أو «الزردخاناه»[7]، و«خاناه» لفظة فارسية تعني «البيت» فيصبح المعنى «بيت السلاح» أو «بيت الزرد»[8].

وجدت الزردخاناه مع الدواوين والبيوت الشريفة في قلعة الجبل بالقاهرة[9]، كما وجدت زردخانات في الثغور والقلاع[10]، إضافة إلى ما امتلكه كبار

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٣٤-٣٥.

(٢) ماجد: نظم، ج١، ص١٦١.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٣٤-٣٥.

(٤) الصيرفي: أنباء الهصر، ص٢٢٥، ٣٤٤؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤٢، ٣٨٤، ٣٨٩، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤١٧، ٤٣٠، ٤٣٦، ج٣، ص٢٦، ٢٩، ٥٤، ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٥٠، ٢٦٥، ٤٠٨، ٤٣٢، ٤٤٩، ج٤، ص٧٣، ١٠١، ١٨٤، ٣٠٨، ٣٨٢، ٤٠٨، ٤٦٦، ج٥، ١٠٧، ١٣٦.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٩، ج١٤، ص٢٨٠.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٧٣؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج١، ص٤١٧-٤١٨.

(٧) مجهول: خزانة السلاح، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٧٨، ص٥ (مقدمة المحقق). سيشار إليه فيما بعد: مجهول: خزانة السلاح.

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١١؛ مجهول: خزانة السلاح، ص٥-٦، والزرد درع مزدوجة بحلقات متداخلة في بعضها؛ مجهول: خزانة السلاح، ص٦، هامش (٥).

(٩) العمري: مسالك، ص٨٣؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٠٥.

(١٠) ابن شاهين: زبدة، ص٤٠؛ مجهول: خزانة السلاح، ص٦.

الأمراء من زردخانات خاصة بهم[1]، كما وجدت زردخانات متنقلة تصحب الجيش في خروجه للقتال، تحتوي على الأسلحة اللازمة للقتال في المعركة[2].

احتوت الزردخاناه في عصر المماليك على أنواع الأسلحة المختلفة[3] كالسيوف بأنواعها وأجناسها المختلفة[4]، والرماح بمختلف أحجامها وألوانها[5]، والسهام وما يتصل بها من جعاب وَرِيَّش ونصول[6]، وقسي اليد والرجل بشداتها وأوتارها المتنوعة[7] والنشاب[8] والسكاكين والنمجاوات[9] والدبابيس واللتت والأعمدة[10] والأطبار

---

(١) مجهول: خزانة السلاح، ص٦.

(٢) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣٣٩، ج٥، ص٤٢، ٧٠، ١٣٤.

(٣) الهروي، علي بن أبي بكر (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م)؛ التذكرة الهروية في الحيل الحربية، تحقيق تومنين سورديل، نشر في مجلة: Bulletin D'etudes orientales, Tom XVII, Annees, 1961-1962, P. 242-266، ص١٣.

سيشار إليه: الهروي: التذكرة؛ مجهول: خزانة السلاح، ص٦-٧ (مقدمة المحقق).

(٤) الطرسوسي، مرضي بن علي (ت٥٨٩هـ/ ١١٩٣م): تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر أعلام الأعلام والعدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق كلود كاهن، نشر في مجلة: Bulletin D'etudes orientales, Tom XVII, Annees, 1947-1948, P. 106-126، ص٤-٦، سيشار إليه: الطرسوسي: تبصرة؛

النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص٢٠٢-٢١٤؛ العمري: التعريف، ص٢٩٥-٢٩٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٣٩-١٤٠.

(٥) الطرسوسي: تبصرة، ص١٠-١٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص٢١٤-٢٢٢؛ العمري: التعريف، ص٢٩٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٤٠، ١٤١.

(٦) النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص٢٣٠-٢٣٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٤٤.

(٧) الطرسوسي: تبصرة، ص٦-١٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص٢٢٢-٢٣٠؛ العمري: التعريف، ص٢٩٧-٢٩٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٤١-١٤٢.

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٤٢.

(٩) العمري: التعريف، ص٢٩٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٤١. النمجاة: سكين عوجاء الشكل؛ مجهول: خزانة السلاح، ص٨٦، هامش (١٥).

(١٠) الدبوس: عامود مضلع من الحديد يستعمل لقتال لابس الخوذة، ويشابهه في الشكل والعمل العامود واللتت.

الطرسوسي: تبصرة، ص١٥؛ العمري: التعريف، ص٣٠٠-٣٠١؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٤٢.

والبلط[1]، والبيض (الخوذ)[2]، والتراكيش[3]، والحراب[4]، والمزاريق[5]، والدروع والجواشن[6]، والتروس بأنواعها وأشكالها المختلفة[7].

كما احتوت الزردخاناه على آلات الحصار وما يتصل بها من أسلحة مثل الجروخ[8]، والكلاليب (الخطاطيف)[9]، والمكاحل والبارود، والنفوط وآلاتها[10] والقدور وحوائجها المختلفة[11] وآلات نقب الأسوار[12] وأخشاب المنجنيقات[13]،

---

(١) الطبر والبلط بمعنى الفأس. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٤١؛ مجهول: خزانة السلاح، ص٨٦، هامش (٢١).

(٢) وهي من الزرد توضع على الرأس للوقاية من الضرب، ويشبهها «المغفر» الذي يسدل خلف الرأس والأذنين، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٤٢.

(٣) التراكيش هي الجعاب التي توضع فيها السهام. ماجد: نظم، ج١، ص١٦٨.

(٤) الهروي: التذكرة، ص١٣.

(٥) المزاريق: جمع مزراق وهو عود مجوف يحتوي على ماء يُهلك بصر من يوجه إليه ذلك الماء. مجهول: خزانة السلاح، ص٨٦، هامش (١٤).

(٦) الدروع والجواشن لها أسماء مختلفة، وتسمى الزرديات ومنها جاء تسمية الزردخاناه بهذا الاسم. ماجد: نظم، ج١، ص١٧٠. وعن الدروع والجواشن: انظر الطرسوسي: تبصرة، ص١٤.

(٧) من أنواع التروس، الطوارق والجنويات، الطرسوسي: تبصرة، ص١٢-١٣.

(٨) الجرخ: قوس يستعملها المغاربة والفرنجة، ترمى منها السهام والحجارة وقدور النفط في حصار الحصون والقلاع. مجهول: خزانة السلاح، ص٨٦، هامش (١٦).

(٩) مجهول: خزانة السلاح، ص٦ (مقدمة المحقق).

(١٠) العمري: التعريف، ص٣٠٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٤٤-١٤٥. ماجد: نظم، ج١، ص١٧٢-١٧٣. ويتم تحضير البارود في الزدخاناه، وهناك حادثة احترق فيها بعض الصنّاع الذين قاموا بسحق البارود فيها في ربيع الآخر سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م؛ ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٣١٤؛ الطرسوسي: تبصرة، ص٢٠-٢٣.

(١١) وتسمى قوارير النفط وهي قدور يرمى بها النفط على الحصون والقلاع لإحراقها؛ العمري: التعريف، ص٣٠٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٤٥.

(١٢) الهروي: التذكرة، ص١٣.

(١٣) عن المنجنيقات، انظر: الطرسوسي: تبصرة، ص١٦-١٨؛ العمري: التعريف، ص٣٠٣-٣٠٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص١٤٣-١٤٤.

الزردكاش، أرنبغا (ت٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م)؛ الأنيق في المناجنيق، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٨٠، حيث سيجد القارئ شرحاً لأشكال المنجنيقات وأنواعها مدعماً بالرسوم.

وحبال القنب والمسامير وصناديق الحجارة الكبار، والكفيات (المقاليع) الصغار، والزفت والقار والكلس، وجلود الجواميس والجمال والأبقار والأوعال والقطّاعات والزانات الحديد[1] والستائر[2]، إضافة إلى التجافيف أو البركستوانات[3]، والعصي المتعلقة ببعض الألعاب المختلفة، وعلى القبة والطير – وهما من شعار السلطنة[4].

وقام على إدارة «السلاح خاناه» في عصر المماليك مجموعة من الوظائف يقوم على رأسها اثنين من مقدمي الألوف، وهما «أمير السلاح» الذي يتولى حمل السلاح للسلطان في القتال ويوم النحر، ويشرف على السلاح خاناه فيما يقدم إليها ويستعمل لها، ويكون مقدماً على فئة السلاح دارية[5] من المماليك السلطانية[6]، وأمير جاندار الذي يتسلم السلاح خاناه التي يعتقل فيها كبار الأمراء[7].

وقام على خدمة الأسلحة صناعة وتجديداً جماعة من الصنّاع الذين أطلق

---

(١) مجهول: خزانة السلاح، ص٦ (مقدمة المحقق).

(٢) عن الستائر المتعلقة بالدبابات وحصار الأبراج. انظر الطرسوسي: تبصرة، ص١٨-١٩، وبالبركستوانات.

(٣) وهي الأقمشة التي توضع على الخيل، عرفت بالتجافيف في العصر الفاطمي، وبالبركستوانات في العصر المملوكي، وتصنع من الفولاذ المكفت بالذهب؛ ماجد: نظم، ج١، ص١٧٧-١٧٨.

(٤) مجهول: خزانة السلاح، ص٦ (مقدمة المحقق)؛ ابن الشحنة: البدر الزاهر، ص٧٢.

(٥) السلاح دارية: مصطلح يتكون من مقطعين أحدهما عربي (سلاح) والآخر فارسي (دار) بمعنى ممسك، فيصبح المعنى «ممسك السلاح» وظيفته حمل سلاح السلطان وتولي أمر السلاح خاناه؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦٢.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٨، ج٥، ص٤٥٦؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٨٦، ج٩، ص٢٨٧؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٤، ٩٥.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٥.

عليهم «الزردكاشية»[١]، والزردكاش مصطلح يعني صانع الزرد[٢]، ويعرف كبيرهم بـ«الزردكاش الكبير»[٣]، الذي يتولى الإشراف عليهم، وعرض خزائن السلاح وتوزيع الأسلحة على المماليك السلطانية، والخروج بالزردخاناه الحربية أثناء القتال[٤].

وقامت وظيفة «نظر خزائن السلاح» بالإشراف على كل ما يستعمل ويباع من أنواع الأسلحة التي تَحمل للزردخاناه السلطانية، إذ يجمع سنوياً، ويعرض على السلطان على رؤوس الحمالين إلى الخزائن حتى إذا تم ذلك، خلع السلطان على الناظر ومن معه[٥].

وكُلف «المباشر في السلاح خاناه» بحفظ ما يدخل ويخرج منها، وما يتم تسليمه للسلحدارية والزردكاشية والحرب دارية، والرمح دارية من الأسلحة واستعادتها منهم، ومراقبة ما يصل إلى السلاح خاناه من خزائن السلاح، واستعادة سيوف الأمراء الذين يتم اعتقالهم ومصادرة أسلحة من يتوفى من الأمراء، ومراقبة إصلاح الأسلحة وتنبيه أمير السلاح لذلك[٦].

كما وجدت وظيفة «شاد السلاح خاناه» الذي يقوم بالإشراف على استعمال آلات الحرب وجلب أصناف الأسلحة من مصر والشام، والإشراف على الصنّاع والبارودية ونحوه يساعده موظف لضبط الوارد والصادر[٧].

ومن الوظائف التي أشرفت على السلاح خاناه أيضاً وظيفة «مشارفة خزائن

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٢؛ مجهول: خزانة السلاح، ص١٦ (مقدمة المحقق)؛ ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٢٦٧، ٣١٤.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٢.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٣١١، ٤٠٠، ٤٧٠، ج٣، ص٥٤، ١٥٩، ١٧٩، ١٨٣، ١٩١، ٣١٤-٣١٥، ٣١٧.

(٤) مجهول: خزانة السلاح، ص١٧ (مقدمة المحقق).

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٢، وانظر ج١١، ص٣٤٥-٣٤٨.

(٦) النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٧) الخالدي: المقصد، ورقة ١٢٨ب، وانظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٢، ص٣٠٩-٣١٠.

السلاح» وتتلخص مهمة صاحبها في ضبط السلاح وزيادته، وضبط ما يصل ويحمل إلى الخزائن[١].

كما وجد موظفون آخرون للزردخاناه كالمستوفيين والمستخدمين الذين «يستدعون ما يحتاج إليه من خشب وحديد وعقب وسلوخ وأصباغ وآلات يعملون فيها ما يؤمرون به من آلات السلاح على اختلاف أوصافها وتباين أصنافها»[٢]، وهناك كتّاب الزردخانات[٣]، والغلمان والفراشين[٤]، وعتالين الزردخاناه[٥].

واهتم السلاطين الجراكسة بخزائن السلاح سواء أكان في القاهرة أم خارجها، إذ عُرف عن السلطان برقوق أنه «جدد خزائن السلاح بثغر الإسكندرية»[٦]، وأن السلطان قايتباي أوقف وقفاً على قاعة السلاح بثغر دمياط، وعين بها زردكاشاً وبواباً للإشراف على الأسلحة الموجودة فيها[٧].

وعُرف عن السلطان الغوري اهتمامه البالغ بالزردخاناه، ففي شعبان سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨ عرض الأسلحة الموجودة في الزردخاناه من قديم الزمان، فوجد كثيراً منها قد أصابها التلف من الصدأ نتيجة الإهمال، فاستدعى ناظر الزردخاناه ووبخه بالكلام، وهمّ بشنقه على باب الزردخاناه، وكلفه بإصلاح ما فسد من الأسلحة[٨]، كما عكف الغوري على عادة تزيين باب الزردخاناه بأنواع الأسلحة المختلفة عند حضور سفراء بعض الدول المجاورة لدولة المماليك[٩]. وفي شوال سنة

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٢، ص٤٠٢.

(٢) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣٥٤، وانظر: ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٤٧، ج٥، ص٥، ٧٩.

(٣) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٣٥، ٤٠.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٢؛ ابن إياس: بدائع، ج٥، ص٣٥.

(٥) ابن إياس: بدائع، ج٥، ص١٠.

(٦) ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص٨٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٩١، ج١٢، ص١١٣؛ المنهل الصافي، ج٣، ص٣٤١.

(٧) مجهول: خزانة السلاح، ص٨، ١٠ (مقدمة المحقق).

(٨) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٤١-١٤٢.

(٩) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص١٥٤، ٢١٩، ٢٥٥، ٢٦٥-٢٦٦، ٣٨٣.

٩١٦هـ/ ١٥١٠م وصلته زردخاناه حافلة بأنواع الأسلحة، والمواد اللازمة لصناعة السفن من السلطان العثماني بناء على طلبه[١].

وتجدر الإشارة إلى أن الزردخاناه الموجودة في قلعة الجبل بالقاهرة، قد تعرضت في دولة المماليك الثانية للنهب والإقتحام أيام الفتن والثورات للحصول على الأسلحة للقتال الذي نشب كثيراً بين الفئات المتصارعة من أمراء ومماليك سلطانية[٢].

كما استخدمت هذه الزردخاناه في هذه الفترة كسجن مؤقت لكبار الأمراء[٣]، وهي أرفع الاعتقالات قدراً، حيث لا يبقى فيها المعتقل فترة طويلة، فإما أن يقتل وإما أن يخلى سبيله[٤].

٥- القضاء العسكري:

قام على خدمة الجيش في عصر المماليك فيما يتعلق بالأمور القضائية وظيفتان هما: «قضاء العسكر» و«الحجابة».

وعرف قضاء العسكر زمن صلاح الدين الأيوبي[٥]، وفي عصر المماليك كان يشغل هذه الوظيفة في مصر ثلاثة قضاة يمثلون المذاهب: الشافعي والحنفي والمالكي

---

(١) ابن إياس: بدائع، ج٤، ص٢٠١.

(٢) انظر مثلاً: العيني: عقد الجمان (٨٢٤-٨٥٠هـ)، ص٥٧٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٣٥٢؛ حوادث الدهور، ج١، ص٤؛ ابن الشحنة: البدر الزاهر، ص٧٢، ٨٩، ١٢٣؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٤٦٤، ج٣، ص٣٤٣، ٤٥٦؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج٢، ورقة ٣٢١ب.

(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠؛ مجهول: خزانة السلاح، ص١٨ (مقدمة المحقق)؛ دوزي: تكملة، ج٥، ص٢٠٣.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢٢؛ وانظر أمثلة في: ابن الفرات: تاريخ، ج٩، ق١، ص١٠٠، ١٠٢، ١٣٣؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٠٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٢٣؛ ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٦٦٩.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٦.

فقط يجلسون في دار العدل دون القضاة الأربعة[1]، وتتلخص مهمة قضاة العسكر في الفصل في القضايا القائمة بين الأجناد[2]، كما يصحب قاضي العسكر السلطان في أسفاره[3].

وفي بلاد الشام وجدت هذه الوظيفة، ولكن اقتصرت على قاضيين يمثلان المذهب الشافعي والحنفي فقط، وكان يصدر بتعيينهما توقيع شريف من السلطان[4]، وقد بقيت هذه الوظيفة قائمة في سلطنة المماليك إلى أن دخلت مصر تحت الحكم العثماني، فكان قاضي العسكر هو القاضي التركي الذي جاء مع الجيش العثماني[5].

وأما «الحجابة» فقد كان من ضمن اختصاصها الفصل في القضايا القائمة بين الأجناد أيضاً، فالحاجب «ينصف بين الأمراء والجند تارة بنفسه، وتارة بمشاورة السلطان، وتارة بمشاورة النائب إن كان[6]، ويذكر المقريزي أن حكم الحاجب كان «لا يتعدى النظر في مخاصمات الأجناد واختلافهم في أمور الإقطاعات ونحوها»[7].

٦- الخاتمة:

لقد قام على إدارة الشؤون المالية والإقطاعية للجيش دواوين هامة في عصر دولة المماليك الثانية أهمها ديوان الجيش الذي ظل يشكل في عصر المماليك المسؤول الأول عن إدارة الإقطاعات وتوزيعها وإصدار الوثائق الخاصة بها.

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٦؛ عرنوس: محمد: تاريخ القضاء في الإسلام، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، د.ت، ص١٠٠، سيشار إليه: عرنوس: تاريخ القضاء.

(٢) عرنوس: تاريخ القضاء، ص١٠٠.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٦.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٢

(٥) عرنوس: تاريخ القضاء، ص١٠٠.

(٦) العمري: مسالك، ص٥٦؛ وانظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٩-٢٠؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص٩٤.

(٧) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢١٩.

وأما إدارة النفقات النقدية والعينية الأخرى فقد أنشأ لها دواوين، مثل: ديوان المفرد الذي أنشأ في عصر السلطان برقوق لإدارة جامكيات المماليك السلطانية وتوفير الأموال اللازمة لذلك، كما أشرف ديوان الوزارة على صرف اللحوم المرتبة وغيرها، وديوان الخاص الذي خصص جانباً من أعماله لصرف كسوة المماليك السلطانية ودواوين أخرى.

وقد تأثر عمل هذه الدواوين بعوامل كثيرة أدت إلى تعطل صرف مرتبات أفراد الجيش كالغلاء وثورات العربان وخراب البلاد القائمة على توفير الأموال اللازمة لهذه الدواوين إضافة إلى عوامل خارجية كتعرض الفرنجة والبرتغاليين لسواحل السلطنة وتدني دخل البلاد من الأموال.

وأما إدارة الفرق العسكرية، فكان لكل فرقة إدارتها الخاصة بها، فالمماليك السلطانية أشرف على إدارتها الطواشية وبعض الأمراء، أما أجناد الحلقة فأشرف على قيادتهم مقدمين ونقباء من بينهم إضافة إلى قيادة الأمراء المقدمين لهم في المعارك، وأما فرقة مماليك الأمراء، فكانت تحت الإشراف المباشر لكل أمير من خلال شرائهم وقيادتهم وصرف مرتباتهم.

وعرف المماليك مؤسسة هامة قامت على خدمة أسلحة الجيش وما يتعلق بها وهي: «السلاح خاناه» التي أشرف على إدارتها مجموعة من الموظفين الذين أوكل إلى كل منهم مهمة خاصة به أشرف من خلالها على بعض جوانب هذه المؤسسة.

وشكّل العرض العسكري جانباً هاماً من إدارة الجيش يتضح فيه جوانب من تشكيل الجيش سواء أكان في اللباس أم في عرض بعض مرافق الجيش ومظاهر الأبهة عند السلاطين وكبار الأمراء.

وجاء قضاء العسكر للتعبير عن دور المماليك وحرصهم على إدارة الخصومات التي تقع بين أفراد الجيش من أمراء ومماليك سواء أكان في الإقطاعات أم غيرها.

الخاتمة

اتجهت هذه الدراسة لبحث أنظمة المماليك العسكرية من حيث عناصر الجيش البشرية وتقسيمات فرقها ونظمها في الرتب والترقية والتقاعد، ونظام المرتَّبات الإقطاعية والنقدية والعينية، وإدارة الجيش ومؤسساته في فترة المماليك الثانية، هي محاولة لبيان أهم التطورات التي طرأت على هذه الأنظمة، وقد لوحظ من خلال الدراسة ما يلي:

- أثَّرت الأوضاع السياسية والعسكرية التي رافقت نشوء دولة المماليك على البنية البشرية للجيش في دولة المماليك الأولى - خاصة فيما يتعلق بالعنصر التركي والمغولي.

- شكّلت تجارة المماليك المصدر الأول بين مصادر الحصول على المماليك وهي ثمرة جهود كبار السلاطين في تنشيط هذه التجارة، ودعمها لاستمرارية تدفق العناصر البشرية إلى مصر وبلاد الشام واستخدامها في الجيش.

- ظلّ الأتراك يمثلون العنصر الهام في الجيش حتى بداية عصر السلطان برقوق ثم أصبح الجراكسة أصحاب السيادة بين عناصر الجيش الأخرى من روم وتتار وغيرها.

- تراجع العنصر المغولي في جيش المماليك في الفترة الثانية بسبب انحسار الخطر المغولي وتوقف المغول عن التدفق إلى بلاد السلطنة.

- ظلّت العناصر المحلية كالعربان والتركمان والأكراد يشكّلون الجيش المساند لجيش المماليك مع تراجع الأكراد في الفترة الثانية بسبب اضمحلال الإمارات الأيوبية.

- شكّلت فرقة المماليك السلطانية، أهم فرق الجيش لارتباطها بالسلطان من حيث إنشائها وإقامتها، ودورها في الصراعات السياسية القائمة على السلطة في دولة المماليك الثانية.

- تراجعت فرقة أجناد الحلقة منذ وفاة الناصر محمد بن قلاوون – وحتى نهاية دولة المماليك الثانية، نتيجة الإجراءات التي اتخذت بحق أفراد هذه الفرقة، كالحد من إقطاعات هذه الفرقة نتيجة إعادة النظر في التوزيع الإقطاعي أكثر من مرة، ودخول فئات من العامة والحرفيين في هذه الفرقة لشرائهم إقطاعات هؤلاء الأجناد، وتحولت هذه الفرقة إلى فئة اجتماعية أكثر منها عسكرية، وتقلّص دورها العسكري تدريجياً.

- تُعد فرقة مماليك الأمراء الجيش الخاص بكل أمير، الذي يقوم على خدمته وقت السلم، وفي مؤازرته أثناء الاضطرابات السياسية والصراع على السلطة، وفي صحبته أثناء القتال.

- شهد عصر دولة المماليك الثانية تكوين فرق جديدة لمواجهة الأخطار التي أحاطت بالسلطنة منذ نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجري/ الخامس والسادس عشر الميلادي، كفرقة العبيد النفطية، وفرقة الطبقة الخامسة، مكونة من عناصر بشرية من غير المماليك، استخدمت سلاحاً جديداً في مواكبة ظهور الأسلحة النارية في ذلك الوقت.

- أخذ المماليك نظام الرتب العسكرية عن المغول، وقد شملت هذه الرتب جميع أمراء الجيش، وشكلت طبقة مقدمي الألوف صفوة القادة، ومنها وصل بعض الأمراء للسلطنة، ولباقي الرتب امتيازاتها ووظائفها الخاصة بها.

- ارتكز نظام الترقية في جيش المماليك على انتقال الأمير من رتبة إلى أخرى تعلوها، مدفوعة بعوامل عدة أكثرها مرتبط بسياسة السلطان وحرصه على تدعيم حكمه، أما نظام التقاعد – الذي أخذه المماليك عن المغول أيضاً – فكان شائعاً في دولة المماليك الثانية، لكثرة الثورات والفتن، وخضوع أغلب حالات التقاعد لأسباب

سياسية، إضافة إلى أسباب صحية وشخصية أخرى، كما لوحظ على نظام التقاعد في جيش المماليك في هذه الفترة أنه تقاعد دائم في الحالات المرتبطة بصحة الأمير وعمره، مؤقت في الحالات المرتبطة بالسياسة وبمزاجية السلاطين، ولذا، كثرت حالات عودة الأمراء إلى رتبهم في هذه الفترة.

- تُعد الإقطاعات أساس الإنفاق العسكري ومحوره عند المسلمين منذ فترة سابقة للمماليك، واستمرت هذه الأهمية في هذه الفترة، أما المرتَّبات النقدية والعينية فقد لوحظ عليها جملة من تطورات ارتبط بتدني دخل الأراضي القائمة على صرف هذه المرتَّبات، والأزمات المالية التي كانت تعاني منها الخزينة بين فترة وأخرى، ومطالبة أفراد الجيش باستمرار زيادة حصتهم من النفقات والمخصصات، إما لغلاء الأسعار، أو لتعطل صرف هذه المرتَّبات لفترات طويلة وظهور ثورات متعددة عبّر فيها المماليك عن استيائهم من هذا التعطيل.

- استمر ديوان الجيش أو الإقطاع في دولة المماليك يؤدي مهمته في الإشراف على الإقطاعات، وإصدار الوثائق الخاصة بمنحها وتوزيعها، وتسجيل فرق الجيش وأفراده ومقادير إقطاعاتهم، كما ظهرت في دولة المماليك الثانية دواوين أخرى أشرفت على توزيع المخصصات العينية والنقدية كالديوان المفرد وديوان الوزارة، وقد تأثر عمل هذه الدواوين بعوامل أدت إلى تعطيل صرف هذه المرتَّبات كالغلاء وثورات العربان وخراب البلاد القائمة على توفير الأموال، إضافة إلى عوامل خارجية كتعرض الفرنجة والبرتغاليين لسواحل السلطنة.

- كان لكل فرقة من فرق جيش المماليك إدارة خاصة بها من طواشية ومقدمين ونقباء وأمراء مقدّمين، وأشرفت على إدارتها وقت السلم، وقيادتها وقت الحرب.

- استمرت خزائن السلاح – التي وجدت في فترة سابقة للمماليك – تؤدي دورها في خدمة الأسلحة صناعةً وحفظاً وتخزيناً، واعتبرت من أهم مؤسسات الجيش في دولة المماليك الثانية.

- صوّر العرض العسكري في دولة المماليك الثانية، مظاهر الاهتمام بتسليح الجيش وتنظيمه وإعداده، واهتمام السلاطين والأمراء بإظهار ثرائهم من خلال عرض ما يتعلق بالجيش من رايات وخيول وخزائن أسلحة وألبسة وغيرها.

- أخذ المماليك القضاء العسكري عن الأيوبيين، وكان لهذه المؤسسة دورها الواضح في فض الخصومات بين الأجناد في كافة الأمور من إقطاعية وغيرها.

الملاحق

١- ملحق رقم (١): أتابكة العسكر في مصر في دولة المماليك الثانية.

٢- ملحق رقم (٢): مراسيم طرخانيات أرباب السيوف في الجيش المملوكي.

٣- ملحق رقم (٣): وصية ناظر الجيش.

٤- ملحق رقم (٤): وصية مقدم المماليك السلطانية.

ملحق (١)

أتابكة العسكر في مصر في دولة المماليك الثانية

(٧٨٤-٩٢٢هـ/١٣٨٢-١٥١٦م)

الأتابك	تاريخ توليه المنصب
١- الأمير أيتمش بن عبد الله الأسندمري البجاسي الظاهري	رمضان(٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)
٢- الأمير قرادمراش الأحمدي اليلبغاوي	جمادى الأولى(٧٩١هـ/ ١٣٨٨م)
٣- الأمير يلبغا الناصري	جمادى الآخر(٧٩١هـ/ ١٣٨٨م)
٤- الأمير تمربغا الأفضلي (منطاش)	شوال(٧٩١هـ/ ١٣٨٨م)
٥- الأمير سيف الدين إينال اليوسفي اليلبغاوي	صفر(٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م)
٦- الأمير كمشبغا بن عبد الله الحموي اليلبغاوي	جمادى الأولى(٧٩٤هـ/ ١٣٩١م)
٧- الأمير أيتمش بن عبد الله الأسندمري البجاسي الظاهري (ثانية)	صفر(٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م)
٨- الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله الدوادار	ربيع الآخر(٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م)
٩- الأمير يشبك الشعباني الظاهري الدوادار	جمادى الآخر(٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)
١٠- الأمير تغري بردي بن عبد الله الرومي	جمادى الأولى(٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)
١١- الأمير دمرداش بن عبد الله المحمدي الظاهري	محرم(٨١٤هـ/ ١٤١١م)
١٢- السلطان الملك المؤيد شيخ	ربيع الآخر(٨١٥هـ/ ١٤١٢م)
١٣- الأمير يلبغا الناصري أمير مجلس	شعبان(٨١٥هـ/ ١٤١٢م)
١٤- الأمير الطنبغا العثماني	رمضان(٨١٧هـ/ ١٤١٤م)
١٥- الأمير الطنبغا بن عبد الله القرمشي الظاهري	جمادى الآخر(٨١٨هـ/ ١٤١٥م)
١٦- الأمير تاني بك ميق	ربيع الأول(٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)
١٧- الأمير جانبك بن عبد الله الصوفي	جمادى الأولى(٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)
١٨- الأمير طراباي الظاهري	ذي الحجة(٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)

الأتابك	تاريخ توليه المنصب
١٩- الأمير بيبغا بن عبد الله المظفري	ربيع الآخر(٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م)
٢٠- الأمير قجق بن عبد الله العيساوي الظاهري	ذي القعدة(٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م)
٢١- الأمير يشبك بن عبد الله الساقي	رمضان(٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)
٢٢- الأمير جارقطلو بن عبد الله الظاهري	جمادى الآخر(٨٣١هـ/ ١٤٢٧م)
٢٣- الأمير سودون بن عبد الرحمن	رجب(٨٣٥هـ/ ١٤٣١م)
٢٤- الأمير إينال بن عبد الله الجكمي	رجب(٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م)
٢٥- السلطان الظاهر جقمق العلائي	ربيع الأول(٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م)
٢٦- الأمير قرقماش الشعباني	ربيع الأول(٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)
٢٧- الأمير آقبغا التمرازي	ربيع الآخر(٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)
٢٨- الأمير يشبك بن عبد الله السودوني المشد	شوال(٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)
٢٩- السلطان إينال العلائي	شعبان(٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م)
٣٠- الأمير تنبك بن عبد الله البردبكي الظاهري	ربيع الأول(٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)
٣١- السلطان المؤيد أحمد بن إينال	ذي القعدة(٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م)
٣٢- السلطان الملك الظاهر خشقدم	جمادى الأولى(٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م)
٣٣- الأمير جرباش كرت المحمدي	رمضان(٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م)
٣٤- الأمير قانم من صفر خجا المؤيدي (التاجر)	رمضان(٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م)
٣٥- السلطان الظاهر يلباي الإينالي	صفر(٨٧١هـ/ ١٤٦٦م)
٣٦- السلطان الظاهر تمربغا	ربيع الأول(٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)
٣٧- السلطان الأشرف قايتباي	جمادى الأولى(٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)
٣٨- الأمير جاني بك قلقسيز	رجب(٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)
٣٩- الأمير أزبك من ططخ	محرم(٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)
٤٠- الأمير تمراز الشمسي	صفر(٩٠١هـ/ ١٤٩٥م)
٤١- الأمير قانصوه خمسائة	ذي القعدة(٩٠١هـ/ ١٤٩٥م)
٤٢- الأمير تمراز الشمسي (ثانية)	جمادى الأولى(٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)
٤٣- الأمير أزبك من ططخ (ثانية)	ربيع الآخر(٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م)

الأتابك	تاريخ توليه المنصب
٤٤ - السلطان جان بلاط بن يشبك الأشرفي	صفر(٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م)
٤٥ - الأمير تاني بك الجمالي	محرم(٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م)
٤٦ - الأمير قصروه نائب الشام	جمادى الآخرة(٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م)
٤٧ - الأمير قيت الرجبي	شوال(٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م)
٤٨ - الأمير قرقماش بن أركماس ولي الدين	رجب(٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)
٤٩ - الأمير دولات بن أركماس الساقي	صفر(٩١٧هـ/ ١٥١١م)
٥٠ - الأمير سودون العجمي	ربيع الأول(٩١٧هـ/ ١٥١١م)
٥١ - الأمير سودون الشهابي	رمضان(٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)

المصادر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٦، ٢٧٢، ٣٢٠، ٣٥١، ج١٢، ص٦، ٣٧، ٧١، ١٩٤، ج١٣، ص٤٨، ٦٨، ١٢٠، ٢٠٣، ج١٤، ص٣، ٢٣؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص٢٢، ٦٦، ٦٨، ٧٦-٧٧، ٨٢، ٩٣، ١٠٧، ١١٩، ١٤١، ١٥٤، ١٦٤-١٦٥، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢١١، ٢٥١، ٣٠٨، ٣٤٩، ٣٧١، ٣٨١، ٤٢٩، ٤٤٣، ٤٥٩، ٤٦٩، ج٣، ص٥، ٢٠، ٣١٦، ٣٣٣، ٣٤٧، ٣٨٢، ٤٢٥، ٤٤٥، ٤٦٥، ج٤، ص٨، ٧٤، ٢١٣، ٢٢٠، ج٥، ص١٠٨.

ملحق (٢)

مراسيم طرخانيات أرباب السيوف في الجيش المملوكي

١- نسخة مرسوم مفتتح بـ«الحمد لله»، من صبح الأعشى في صناعة الانشا، للقلقشندي ج١٣ ص٤٨-٥٠.

«الحمد لله اللطيف بعباده، الرؤوف بخلقه، المانّ بفضله الغامر بجوده الجائد برزقه المتفضل على العبد في الصبا بصفحه وفي الكهوله بعفوه وفي الشيخوخة بعتقه / نحمده على أن جلبنا على اصطناع الصنائع، وخصنا برفع العوائق وقطع القواطع، وألهمنا عطف النسق وإن كثرت مما سواه التوابع، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تسكن الرحمة في قلب قائلها، وترفع سطوة الغضب عن منتحلها في أواخر السطوة وأوائلها، ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أفضل نبي أوعد فوفا، وأكرم رسول وعد فوفى، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا في المعروف سنته، ونهجوا في الإحسان إلى الخلف نهجه، فكان لهم رسول الله أسوة حسنة، صلاة تقيل العثرات، وتتلو بلسان قبولها «إن الحسنات يذهبن السيئات» وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن أول من رفعته المراحم الشريفة، بعين عنايتها، ولحظته العواطف المنيفة، بلحظ رعايتها[1] ما لايفارقه ولا يباين، وأن لا يحط من قدره العالي بسبب ما اتفق إذ كل مقدر كائن، وأن يصرف اختياره في الإقامة حيث شاء من الممالك المحروسة والمدائن.

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال من شيمه السماح، ومن كرمه بلوغ النجا والنجاح، ومن نعمه الصفح عن الذنب المتاحح، حتى يحفظ عن الأنفس النفيسة الأموال، ويريح لها الأرواح، (ولا برح يولي) من قسمة المكرمات ما ينسى به الذنب، فكأنه كان برقاً أومض ولمح وراح - أن يكون المشار إليه طرخاناً يقيم حيث شاء وأين

(١) بياض في الأصل.

أراد من البلاد الإسلامية المحروسة، معاملاً بمزيد الإكرام والإحترام وأوفر العناية والرعاية حسب ما اقتضته المراسيم الشريفة في ذلك عندما شملته الصدقات العميمة والمراحم الشاملة بالعفو الشريف والحكم المنيف والإقبال والرضا، والصفح عما مضى، لما رأيناه من ترفيه خاطره وقرار قلبه برفع التكليف عنه وقرّه ناظره، ولما تخلقت به أخلاقنا، من التيمن الذي ألبسه أثواب الأمان وجبلت عليه طباعنا، من الرأفة والرحمة والراحمون يرحمهم الرحمن، ولما مهده له عندنا اعترافه الذي هو له في الحقيقة أقوى شفاعة، ولما تحققنا أنه لم يفعل ذلك إلا لوفور الطاعة التي أوجبت له الإرهاب، إذ الهرب من الملوك طاعة وكيف لا وقد تيقن سخطنا الشريف وعلم وخشي مهابتنا الشريفة ومن خاف سلم.

فليتقلد عقود هذه المنن التي طوقت جيده بالجود، وليشكر مواقع هذا الحلم الذي سرّ وسار كالمثل السائر في الوجود، وليقابل هذا الإقبال بالدعاء لأيامنا الزاهرة وليحفظ بمواهبنا العميمة وصدقاتنا الباهرة، وليحط علماً بأن إحساننا العميم قد أعاد إليه ما ألفه من الإسعاد والإصعاد، وان صفحنا الشريف قد أضرب عما مضى والماضي لا يعاد، فليقم حيث شاء من البلاد المحروسة، متفيئاً ظلال مواهبنا التي يغدو وسرائره بها مأنوسة، وارداً بحار عطايانا الزاخرة، ممتعاً بملابس رضانا الفاخرة طيب القلب منبسط الأمل، منشرح الصدر بما عمّه من الإنعام وشمل، مرعي الجناب في كل مكان، معظم القدر على توالي الأزمان، مبتهجاً بغمد ما عرض من ذلك التقطيب، مستبشراً بإقبالنا الذي يلذ به عيشه ويطيب، والله تعالي يديم له عوارفنا المطلقة، وغمائم كرمنا المغدقة، مواهبنا التي انتشرت له في كل قطر فهي الأنواع العطايا مستغرقة، ومنننا التي تسير معه حيثما سار تقيم لديه أنى أقام فلا تزال عنده مخيمة في الأماكن المتفرقة، والإعتماد على الخط الشريف أعلاه إله تعالى أعلاه.».

نسخة مرسوم مفتتح بـ«أما بعد»

من كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشا للقلقشندي: ج١٣ ص٥١-٥٢.

«أما بعد حمد الله على نعمه التي أوزعتنا بالإحسان إلى عباده أداء شكرها،

والآله التي ألهمتنا بالتخفيف عن بريّته اقتران محامده بذكرها، ومننه التي وفقّ بها دولتنا الشريفة لأن يكون العدل والإحسان أولى ما أجرته بفكرها، وأحق ما أمرته بذكرها، الصلاة والسلام على رسوله الذي أوضح سبل المعروف، وشرع سنن العدل المألوف. ووصفه الله تعالى بالرأفة والرحمة، فبه يقتدي كل رحيم وبه يأتم كل رؤوف، وعلى آله وصحبه الذين رفعوا منار العدل لسالكه، وقربوا منار الفضل لآخذه وبيّنوا الحيف والاشتطاط لتاركه - فإن الله تعالى خص أيامنا الزاهرة بتعاهد أهل خدمتنا بالعدل والإحسان، فلا نزال ننعم النظر في أمورهم ونفيض عام إحساننا على خاصهم وجمهورهم، ليناموا من عدلنا في مهاد الدعة، ويبيت ضعيفهم من مراحمنا الشريفة في أتم رأفة وفقيرهم في أوفر سعة.

ولما كان فلان ممن توفر في الخدمة الشريفة قسمه، وكبر في الطاعة سنه ووهن عظمه، وعجزت عن الركوب والنزول حركته، وذهبت مواقف حربه ولم يبق إلا أن تلتمس بركته - إقتضى حسن الرأي الشريف أن يضاعف إليه الإحسان، ويعامل بوافر البر وجزيل الإمتنان.

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا يزال يوالي المنن، ويولي الأولياء من المعروف كل جميل حسن - أن يستقر المذكور طرخاناً لا يطلب لخدمة في نهار ولا ليل، ولا يلزم بالقيام بنزك[1] ولا خيل، فليمض حكم هذه الطرخانية لا تتأول السنة الأقلام في نصّه، ولا تتطرق أوهام الإفهام إلى اعتراض ما ثبت من إعفائه بنقضه ولا نقصه، وسبيل كل واقف عليه اعتماد مضمونه والوقوف عند حكمه، والإنتهاء إلى حده، وإتباع رسمه، إن شاء الله تعالى.».

---

(١) النزك: الطعن بالنزك وهو الرمح الصغير (هامش١).

ملحق (٣)

وصية ناظر الجيش

من كتاب التعريف بالمصطلح الشريف للعمري ص١٥٩-١٦٠، ومقارنتها بصبح الأعشى للقلقشندي ج١١ ص٣٢٤-٣٢٥.

«وليأخذ أمر هذا الديوان بكليته، ويستحضر كل مسمى فيه إذا دعي باسمه وقوبل عليه بحليته، وليقم (فيه) [١]، قياماً بغيره لم يرض، وليقدم من يجب تقديمه في العرض، وليقف على معالم هذه المباشرة، وجرائد جنودنا وما تضحى له من الأعلام ناشره، وليقتصد في كل محاسبة، ويحررها على ما يجب أو ما قاربه وناسبه، وليستصح أمر كل ميت يأتي[٢] إليه من ديوان المواريث الحشرية ورقة وفاته أو يخبره به مقدمه أو نقيبه إذ مات معه في البيكار عند موافاته، وليحرر ما تضمنه الكشوف ويحقق ما يقابل من أخراج كل حال على ما هو معروف، حتى إذا سئل عن أمر كان عنه لم يخف، وإذا كشف على كشف أظهر ما هو عليه (حقيقة) [٣] ولا ينكر هذا لأهل الكشف.

وليتحرز في أمر كل مربعة، وما فيها من الجهات المقطعة، وكل منشور يكتب، ومثال عليه جميع الأمر يترتب، وما يثبت عنده، وينزل في تعلقه[٤] ؟؟ فيه إلى تحقيقه.

وليعلم أن وراءه من ديوان الإستيفاء من يساوقه قي تحرير كل إقطاع، وفي كل زيادة واقتطاع[٥]، وفي كل ما ينسب إليه وإن كان إنما فعله بأمرنا المطاع، فليتبصر بمن

---

(١) زيادة من صبح الأعشى، ١١/ ٣٢٤. سطر١٣.

(٢) في صبح الأعشى (تأتي) ١١/ ٣٢٤. سطر١٦.

(٣) لم ترد في صبح الأعشى.

(٤) في صبح الأعشى (تعليقه) ١١/ ٣٢٥. سطر٤.

(٥) في صبح الأعشى (إقطاع) ١١/ ٣٢٥. سطر٦.

وراءه، وليتوق اختلاف كل مبطل وافتراءه، وليحقق أنه هو المشار إليه دون رفقته الموكل به النظر والمحقق به جملة جندنا المنصور من البدو والحضر.

وإليه مدارج الأمراء فيما ينزل[1]، وأمر كل جندي لهم ممن[2] فارق أو نزل، وكذلك مساوقات الحساب وأن يأخذ بتاريخ المنشور (الشريف)[3] أو على السياقة، ومن هو في العساكر المنصورة في الطليعة أو في الساقة، وطوائف العرب والتركمان والأكراد ومن عليهم تقدمة أو «درك[4] بلاد» ملزمة[5]، أو غير ذلك مما لا يفوت إحصاءه[6] القلم، وأقصاه أو أدناه تحت كل لواء ينشر أو علم، فلا يزال لهذا كله مستحضراً (وله)[7] على خاطره محضراً، لتكون لفتات نظرنا إليه دون رفقته في السؤال راجعة وحافظته الحاضرة غنية عن التذكار والمراجعة».

---

(١) في صبح الأعشى (تنزل) ١١/ ٣٢٥. سطر٩.

(٢) في صبح الأعشى (له) ١١/ ٣٢٥. سطر٩.

(٣) لم ترد في صبح الأعشى.

(٤) في صبح الأعشى «أو يلزمهم روك بلاد» ١١/ ٣٢٥. سطر١٢.

(٥) (ملزمة) غير واردة في صبح الأعشى.

(٦) في صبح الأعشى (إحصاؤه) ١١/ ٣٢٥. سطر١٢.

(٧) لم ترد له في صبح الأعشى.

ملحق (٤)

وصية مقدم المماليك السلطانية

من كتاب التعريف بالمصطلح الشريف للعمري ص١٣٠-١٣١ ومقارنتها بصبح الأعشى للقلقشندي ج١١ ص١٧٣.

«وليحسن إليهم، وليعلم أنه واحد منهم ولكنه مقدم عليهم، وليأخذ بقلوبهم مع إقامة المهابة التي يخيل إليهم بها أنه معهم وخلفهم وبين أيديهم، وليكرم مقدم المماليك كل طبقة بما يلزمه عند تقسيم صدقاتنا الجارية عليهم من ترتيب الطباق وإجراء ساقية جارية من إحساننا إليهم، ولا ينس السواق، وليكن لأموالهم متعهداً، ولأمورهم متفقداً، وليستعلم أخبارهم حتى لا يزال معهم على بصيرة، وليعرف ما هم عليه مما لا يخفى عليه فإنهم[1] إن لم يكونوا أهلاً فإنهم جيرة، وليأمر كلا منهم ومن مقدميهم والسواقين لهم بما يلزمهم من الخدمة، وليرتبهم على حكم مكانتهم منا فإن تساووا فليقدم من له قدمة وليعدل في كل تفرقة، وليحسن في كل عرض ونفقه، وليفرق فيهم ماهم من الكساوي ويسبل عليهم رداء الشفقة، وليعد منهم لغابنا المحمي سباعاً/ تغترس العادية، وليجمل النظر في أمر الصغار منهم والكبار أصحاب الطبقات العالية، وليأخذهم بالركوب في الأيام المعتادة، والدخول إلى مكان الخدمة الشريفة والخروج على العادة، وليدرهم في أوقات البياكر[2] والأسفار نطاقاً دائر الدهليز المنصور، وليأمرهم أمراً عاماً بأن لا يركب أحد منهم إلا بدستور، ولا ينزل إلا بدستور، وليتحرز لأمرهم من طوائف الغلمان، ولا يستخدم منهم إلا معروفاً بالخير ويقيم عليه الضمان، وليحرر على من دخل عليهم وخرج، ولا يفسح[3] لأحد منهم إلا من علم أنه ليس في مثله

---

(١) في صبح الأعشى (فإنهم وإن لم يكونوا) سطر٩.

(٢) في صبح الأعشى (البياكير) سطر١٥.

(٣) في صبح الأعشى (يفتح) سطر١٨.

حرج، ولا يدع للريبة بينهم مجالاً للإضطراب، وليوص مقدميهم بتفقد ما يدخل إليهم فإن الغش أكثره من الطعام والشراب، ولعدم مراجعتنا في أمرهم فإن بها يعرف الصواب، وليعمل بما نأمره به ولا يجد جوى في جواب».

المصادر والمراجع

١- المصادر الأولية:

أ- المصادر المخطوطة.

ب- المصادر المطبوعة.

جـ- المصادر الأجنبية.

٢- المراجع:

أ- المراجع العربية.

ب- المراجع الأجنبية.

٣- المقالات:

أ- المقالات العربية.

ب- المقالات الأجنبية.

المصادر والمراجع

١- المصادر الأولية

أ-المصادر المخطوطة:

١- ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م). مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة. مخطوط مصور ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية رقم الشريط (١٠٠).

٢- الخالدي: محمد بن لطف الله العمري (ت ق٩هـ/ ١٥م). المقصد الرفيع المنشأ الهادي إلى ديوان الإنشا. مخطوط مصور ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية رقم الشريط (٤٤٣٩).

٣- السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م). ذيل دول الإسلام، ٢ق. مخطوط مصور ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية رقم الشريط (٥٤٦).

٤- عبد الباسط: القاضي زين الدين عبد الباسط الغرسي (ت٩٢٠هـ/ ١٥١٤م). نيل الأمل في ذيل الدول. مخطوط مصور ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية شريط رقم (٢٨٥، ٦١٠).

٥- العيني: بدر الدين محمود بن أحمد (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م). عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث٧٩٩-٨٣٠هـ). مخطوط مصور ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية رقم الشريط (١٥٤٤).

٦- مجهول: مؤلف مجهول. تاريخ الخلفاء والسلاطين. مخطوط مصور ميكروفيلم،

مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية رقم الشريط (٥٦٢).

٧- المنصوري: ركن الدين بيرس المنصوري الدوادار (ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م). زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة (حوادث ٦٢٩-٦٩٣هـ). مخطوط مصور ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية رقم الشريط (٢٠).

٨- ابن ناظر الجيش: تقي الدين بن محب الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م). تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف. مخطوط مصور ميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية رقم الشريط (٤٤٣٩).

ب- المصادر المطبوعة:

٩- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). الكامل في التاريخ (١٢ج). دار صادر - بيروت، ١٩٧٩-١٩٨٢.

١٠- الأسدي: محمد بن محمد بن خليل (ت بعد ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م). التيسير والإعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والإختيار. تحقيق عبد القادر طليمات، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٨م.

١١- ابن إياس: أبو الركات محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م). بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٥ج. تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢-١٩٨٤م.

١٢- ابن أيبك: أبو بكر عبد الله بن أيبك الدواداري (ت٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م). الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر. تحقيق هانس رويمر، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٦٠م.

١٣- البصروي: علاء الدين على ين يوسف بن أحمد الدمشقي (ت٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م). تاريخ البصروي. تحقيق أكرم العلبي، دار المأمون، دمشق ١٩٨٨م.

١٤- ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ / ١٤٦٩م).

حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور. (٢ج) (حوادث ٨٤٥-٨٦٥هـ). تحقيق وليم بوبر، مطبعة جامعة كاليفورنيا، ١٩٣٠-١٩٣١م.

* المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (٤ج). تحقيق محمد أمين وسعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤-١٩٨٦م.

* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٦ج). شارك في تحقيق أجزائه الأخيرة فهيم شلتوت وجمال الدين الشيال وإبراهيم طرخان، دار الكتب المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٢٩-١٩٧٢م.

١٥- ابن حبيب: الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م). تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه (٣ج). تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦-١٩٨٦م.

١٦- ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

* أنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ (٩ج). دار الكتب العلمية، بيروت (عن طبعة الهند ١٩٦٧-١٩٧٦م).

* الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥ج). تحقيق محمد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، د.ت.

١٧- الحنبلي: أبي الفلاح عبد الحي بن العماد (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٨ج)، دار المسيرة، بيروت ١٩٧٩م.

١٨- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).

* العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٥. دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٥٨م.

* المقدمة. دار إحياء التراث العربي، بيروت - د.ت.

١٩- ابن دقماق: صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م).

* الإنتصار لواسطة عقد الأمصار (ج-٤-٥). نشر **Vollers**، مطبعة بولاق، ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م.

* الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين. ٢ج. تحقيق محمد كمال الدين، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥م.

٢٠- الزردكاش: أرنبغا (ت٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م). الأنيق في المناجنيق . تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ١٩٨١م.

٢١- ابن زنبل: أحمد بن الحس علي بن أحمد بن نور الدين الرمال المحلي (ت ق ١٠هـ/ ١٦م). تاريخ السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مع قانصوه الغوري سلطان مصر وأعمالها. مصر ١٢٧٨هـ.

السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)

* التبر المسبوك في ذيل السلوك. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت (عن ط. القاهرة ١٣٥٥هـ).

* الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ج. دار مكتبة الحياة، بيروت د.ت (عن ط. القاهرة ١٣٥٥هـ).

٢٣- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت١٩١١هـ / ١٥٠٥م). حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ٢ج. مطبعة الموسوعات، مصر ١٣٢١هـ.

* نظم العيقان في أعيان الأعيان، حرره فيليب حتى، المكتبة العلمية، بيروت ١٩٢٧م.

٢٤- ابن شاهين: غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (ت٨٧٣هـ / ١٤٦٨م). زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك. تصحيح بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس ١٨٩٤م.

٢٥- ابن الشحنة: عفيف الدين حسين بن محمد بن محمد (ت٩١٠ أو ٩١٦هـ/ ١٥٠٤، ١٥١٠م). البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر (محمد بن قايتباي). تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٢٦- ابن شداد: عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم. (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م). تاريخ الملك الظاهر. تحقيق أحمد حطيط، فيسبادن ١٩٨٣م.

٢٧- الشوكاني: محمد بن علي بم محمد (ت١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م). البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ٢ج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

٢٨- ابن صصري: محمد بن محمد (ت٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م). الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية. تحقيق وليم بيرنر، جامعة كاليفورنيا ١٩٦٣م.

٢٩- الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م). الوافي بالوفيات ١٥ج. تحقيق ديدرنغ وآخرون، فيسبادن، بيروت ١٩٥٣-١٩٨٠.

٣٠- الصيرفي: علي بن داود الخطيب الجوهري (ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)

* أنباء الهصر بأنباء العصر. تحقيق حسن حبشي، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٧٠.

* نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ٣ج، حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠-١٩٧٣.

٣١- طافور، بيرو. رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي. ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، مصر، القاهرة ١٩٦٨م.

٣٢- الطرسوسي: مرضي بن علي (ت٥٨٩هـ/ ١١٩٣م). تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر أعلام الإعلام والعدد والآلات المعينة في لقاء الأعداء . نشرة كلود كاهن في مجلة:

Bulletin D'etudes orientals (Tom XIII, Anees Beyrouth, 1974-1948, P. 106-162.

٣٣- ابن طولون: شمس الدين محمد بن علي بن محمد (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)

* أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى. تحقيق محمد دهمان، دمشق ١٩٦٤م.

* مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (٢ق). تحقيق محمد مصطفى، المؤسسة المصرية

العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٢-١٩٦٤م.

٣٤- ابن عبد الظاهر: محي الدين عبد الله بن رشيد الدين (ت٦٩٢هـ / ١٢٩٣م)، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور. تحقيق مراد كامل، القاهرة ١٩٦١م.

* الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر. تحقيق عبد العزيز خويطر، الرياض ١٩٧٦م.

٣٥- العمري: شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)

* التعريف بالمصطلح الشريف. تحقيق سمير الدروبي، منشورات جامعة مؤتة، ١٩٩٢م.

* مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. تحقيق أيمن فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، د.ت.

٣٦- العيني: بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥٩م)

* الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر (ططر). تحقيق هانس ارنست، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٢م.

* السيف المهند في سيرة الملك المؤيد. تحقيق فهيم شلتوت، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧م.

* عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. حوادث (٦٤٨-٦٩٨هـ) تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧-١٩٨٩م. حوادث (٧٩٩-٨٣٠هـ) أنظر المخطوطات. حوادث (٨٢٤-٨٥٠هـ) تحقيق عبد الرزاق الطنطاوي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١ ١٩٨٩م.

٣٧- أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر (٧ج) في ٢ مجلد. دار البحار، بيروت ١٩٦١م.

٣٨- ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، تاريخ ابن الفرات، ج٧-٩، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، المطبعة

الأميركانية، بيروت ١٩٣٩-١٩٤٢م.

٣٩- ابن قاضي شهبة: تقي الدين أبي بكر بن أحمد قافي شهبه الأسدي (ت٨٥١هـ/ ١٤٤٨م)، تاريخ ابن قاضي شهبة (ج٣). تحقيق عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٧٧م.

٤٠- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م). صبح الأعشى في صناعة الانشا، ١٤ج. نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، مصر - د.ت.

٤١- ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م). الفروسية. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧م.

٤٢- مجهول: مؤلف مجهول (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م). تاريخ سلاطين المماليك (٦٩٠-٧٤١هـ). تحقيق زترستين، ليدن، بريل، ١٩١٩م.

٤٣- مجهول: مؤلف مجهول. خزانة السلاح. تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨م.

٤٤- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

* إغاثة الأمة بكشف الغمة. تحقيق محمد زيادة وجمال الدين الشيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٠م.

* السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤ج في ١١م. تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٧-١٩٧٢م.

* المقفي الكبير. تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، سنة ١٩٩٠.

* المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٢ج. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٨٧م (عن طبعة بولاق ١٢٧٠هـ).

٤٥- ابن مماتي: شرف الدين أبو المكارم الأسعد بن مليح (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م). قوانين الدواوين. جمعه ونشره عزيز عطية، الجمعية الزراعية الملكية، مصر ١٩٤٣م.

٤٦- المنصوري: ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار (ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م).

التحفة الملوكية في الدولة التركية (٦٤٨-٧١١هـ). تحقيق عبد المجيد حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٨٧م.

٤٧- النهروالي: قطب الدين المكي الحنفي (ت٩٩٠هـ/ ١٥٨٥م). الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. نشرة وستنفلد، مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٤م.

٤٨- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م). نهاية الأرب في فنون الأدب (ج٦، ٨). طبعة مصورة عن دار الكتب، القاهرة، د.ت.

٤٩- الهروي: علي بن أبي بكر (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م). التذكرة الهروية في الحيل الحربية. تحقيق تومنين سورديل في مجلة:

Bulletin D'etudes orientals (Tom XVII, Anees 1961-1962, P. 242-266.

٥٠- الهمذاني: رشيد الدين فضل الله (ت٧١٨هـ/ ١٣١٨م). جامع التواريخ ٢ج. ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠م.

٥١- ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. ج٣. تحقيق جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٩٦٠م. ج٥. تحقيق حسنين ربيع وزميله، القاهرة ١٩٧٧م.

٥٢- ابن الوردي: سراج الدين عمر بن محمد (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م). تتمة المختصر في أخبار البشر. ٢ج. تحقيق أحمد البدراوي، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٠م.

٥٣- اليونيني: قطب الدين موسى بن محمد اليونيني (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م). ذيل مرآة الزمان ٤ج. مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن الهند ١٩٥٤-١٩٦١م.

جـ- المصادر الأجنبية:

٥٤- **Mignanelli, De: Ascensus Barcoch (Latin Biography of the Mamluk Sultan Barquq of Eygpt Written in 1416, rendered inton English By walter J. Fischel (ARABICA, Tom VI, Brill 1959, P. 57-74, 152-172.**

٢- المراجع

أ- المراجع العربية

٥٥- أشتور، الياهو، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى. ترجمة عبد الهادي عبلة، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق ١٩٨٥م.

٥٦- بارتولد، فاسيلي فلاديمرويج. تاريخ الترك في آسيا الوسطى. ترجمة أحمد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨م.

٥٧- الباشا، حسن. الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٧م.

٥٨- بولياك، أ. ن. الإقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان. ترجمة عاطف كرم، دار المكشوف، بيروت ١٩٤٨م.

٥٩- تيمور أحمد، الرتب والألقاب المصرية لرجال الجيش والهيئات العلمية والقلمية. دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٥٠م.

٦٠- جب، هاملتون. جيوش صلاح الدين في (دراسات في حضارة الإسلام). ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٤م.

٦١- حسن، علي إبراهيم. تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٧م.

٦٢- حسين، محسن. الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م.

٦٣- الحياري، مصطفى. الإمارة الطائية في بلاد الشام، عمان ١٩٧٧م.

٦٤- الخادم، سمير. السلاح الناري وأثره في الشرق في القرنين السادس عشر والسابع عشر. دار النهار للنشر، بيروت ١٩٨٠م.

٦٥- دوزي، عبد الرحمن. تكملة المعاجم العربية ٥ج. ترجمة محمد النعيمي، دار

الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠-١٩٨٢م.

٦٦- زكي، عبد الرحمن. الجيش المصري في العصر الإسلامي، ٢ج. القاهرة ١٩٧٠م.

٦٧- الشدياق، طنوس (ت١٨٥٩م). أخبار الأعيان في جبل لبنان، ٢ج. تحقيق فؤاد البستاني، الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٧٠م.

٦٨- ضومط، أنطون. الدولة المملوكية، دار الحداثة، بيروت ١٩٨٠م.

٦٩- طرخان، إبراهيم

* مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٠م.

* النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م.

٧٠- عاشور، سعيد. مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٢م.

٧١- العبادي، أحمد مختار. قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٩م.

٧٢- عبد الرزاق، أحمد. البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٩م.

٧٣- عبد السيد، حكيم أمين. قيام دولة المماليك الثانية. الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٦م.

٧٤- عرنوس، محمود. تاريخ القضاء في الإسلام. مكتبة الكليات الأزهرية، مطبعة الحلبي، مصر د.ت.

٧٥- العريني، السيد الباز

* المغول. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٧م.

* المماليك. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٨م.

٧٦- عزت، يوسف. تاريخ القوقاز. دار صوت النارتيين للنشر، د.ت.

٧٧- ماجد، عبد المنعم. نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج١ . مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٩م.

٧٨- ماير.ل.أ. الملابس المملوكية. ترجمة صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢م.

٧٩- هنتس، فالتر: المكاييل والأوزان الإسلامية، وما يقابلها في النظام المتري. ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان ط٢، ١٩٨٢م.

ب- المراجع الأجنبية:

٨٠- Ayalon, David, The Mamluk Military Society, London, 1979.

٨١- Glubb, Sir John, Soldier of Fortune (the Story of the Mamlukes), New Yourk, 1973.

٨٢- Lann- Poole, Stanley, Mohammaden Dynnasties, Paris 1925.

٨٣- Ziadeh, Nicola, Urban Life in Syria Under the early Mamluk Period, Beirut 1970.

٣- المقالات

أ- المقالات العربية

٨٤- بارتولد، فاسيلي فلاديمرويج

* (ترك)، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ج٥، ص٣٢-٥٧.

٨٥- در. (جركس)، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ج٦، ص٣٣٧-٣٤٥.

٨٦- العريني، السيد الباز. الفارس المملوكي. المجلة التاريخية المصرية، م٥، ١٩٥٦م، ص٤٧-٧٢.

ب- المقالات الأجنبية:

٨٧- **Ayalon: D**

- Amir Kabir, EI_2 (Vol 1) P. 444

- Atabak, EI_2 Vol (1) P. 732

- Bahriyya, EI_2 Vol (1) P. 944-945

- Barud, EI_2 Vol (1) P. 1058-1061

- Burdjiya, EI_2 Vol (1) P. 1324-1325

- Halka, EI_2 Vol (3) P. 99

- Khasskiyya, EI_2 Vol (4) P. 1100

- Mamluk, EI_2 Vol (6) P. 314-321

- Studies on the Structure of the Mamluk Army, B.S.O.A.S, Vol.XV, 1953. P. 203-228, 448-476, Vol.XVI, 1954, P. 57-90.

-The Plague and its effects upon the Mamluk Army, (J.R.A.S, 1946) P. 67-73.

- The system of payment in the Mamluk Military society, (J.E.S.H.O) Vol (1) Lieden, 1958, P. 38-65, 257-296.

- The Wafidiya in the Mamluk Kingdom (Islamic Cluture), Vol XXV, Heyderabad, 1951, P. 89-104.

٨٨- Gottschaik, H.L, Diwan, EI_2 Vol (2) P. 327-331

٨٩- Kister, M.j, Hadjib, EI_2 Vol (3) P. 47-49

٩٠- Mones, Hussain, Djamakiyya, EI_2 Vol (2) P. 413-414

٩١- Poliak, A.N - Some notes on the feudal system of the Mamlukes (J.R.A.S, 1937) P. 97-107.

- The Influence of Chigizkhan's Yasa- Upon The General organization of the Mamluk state. (B.S.O.A.S) Vol X 1939-1942, P. 862-876.

٩٢- Trition, A.S., The Tribes of Syria in the fourteenth and fifteenth centuries, (B.S.O.A.S) 1948 Vol XII P. 567-573.

إختصارات الدوريات الواردة في القائمة:

B.S.O.A.S: Bulletin of the school of oriental and African studies (university of London).

EI_2: The Encyclopaedia of Islam (New edition) Leidn, London.

J.E.SH.O: Journal of the economic and social history of the orient, Lieden.

J.R.A.S: Journal of the Royal Asiatic society (of great Britain and Ireland).